القسم الاول

الصوفيـة والاسلام

الصوفية طائفة من المسلمين كانت لهم في ايام الحضارة فلسفة في حب الله وعمل في عبادته والوصول اليه . وعملهم كانت له طقوس مرهقة مركزة على الكبت وقهر النفس وتحقير الحيـاة البشرية وذم الدنيا بما فيها من خير وشر . والصوفية في عقيدتهم يخالفون كل الفرق الاسلامية الا « الجبرية » فلهم منهـا النصيب الاوفر ! فعيشهم بـلا تدبـير وهمهم لا يتعلق بقليل ولا بـكثير . والكسب مقدر موهوب والقدر ياتيك به لو كـنت في شاهق جبل . فالاستسلام المطلـق والتوكل بالتفويض هما اساس العقيدة عندهم .

وارادتهم موقوفة على العبادة بالتفـكير في الله وفي الذكـر والصلوات والاعتكاف وقد رتبو لعبادتهم فقها تدريجيا له « مقامات » يتصاعد في درجها المريد من مقـام الى مقام حتى يصل الى نور الله ويفنى فيه بعد الفناء عن نفسه؟ وحتى ان الوصـــول عندهم لا يتم الا بمحض الفضل !

فالطوائـف الصوفية تعيش في عزلة مفروضة لا تهتم بشيء

من شؤون الحياة الكريمة ومع ذلك فقد قدر الله لها ان تعيش فعاشت طويلا ! وما كان لها ان تعيش في حصانة ومناعة لو لم يكن الصوفية بين المسلمين من ضحايا شدة الحب في الله . لا سيما والصوفية القدماء قد تركوا مجال الحياة فسيحا بين المتنافسين في هذه الحياة فهم لا يضايقونهم في شيء منها .

ومع ذلك فقد انكر عليهم الفقهاء غلوهم ونعتوهم بالرهبانية والرهبانية قد ذمها الاسلام فشبت بين الفريقين خصومة حادة عاشت بعض القرون الى ان ظهر البطل الظافر صلاح الدين الايوبي فحمل الامة الاسلامية على السنة وعلى المذهب الاشعري وقرب اليه الصوفية فتكاثر عددهم فاسس لهم التكايا وحبس عليها . واشترط كما يقول المقريزي : ان لا يقبل فيها الا من كان (سنيا اشعريا) [1] وبذلك هدأت الخصومة الحادة التي كانت بين الصوفية والفقهاء وامكن للفقيه ان يتصوف وللصوفي ان يتظاهر بالاشعرية ؟ وفتح كل فريق من الفريقين ابواب بيوت داره في وجه الآخرين . وانطلق الصوفية بعد

---

(1) وفي كتاب المعجب ان المهدي ابن تومرت كان على مذهب الاشاعرة وتبعه عبد المؤمن بن علي وسائر ملوك المغرب بعده

والذي يظهر ان الاشعرية قد فازت بانهيار الدولة الفاطمية في مصر وبالقضاء على اتباعها وانصارها في افريقية .

ف نسبح لملوك الاسلام على منوال طلاح الدين الايوبي فتكاثر
يد دهم في البوادي (او تشيخوا) بين سكانها واسسوا فيها البيوت
روفة بالزوايا للمريدين والاتباع . ومن هنا يتنقل التصوف الى
ة او تزاق وتكسب ، ويتكاثر شيوخه في كل مكان حتى لا تجد
ا غير منسوب الى طريق زاوية من الزوايا في البلاد التونسية
يال الافريقي كله طيلة القرون السبعة الاخيرة . ونجم عن هذا
نتشار الغريب الذي نجم عنه تراجع كبير في التعاليم الصوفية
صول نتائج تلقائية لفائدة سكان البوادي اهمها ان الزوايا اصبحت
ـوم بمهمة رفع الامية ونشر المبادي الاسلامية وايواء الفقراء
ساكين وهو ما اهملته الحكومات المستبدة السابقة اهمالا لا نظير
وتعاقبت الويـلات والنكبات وكانت النهاية دخول البلاد
يازة الاستعمار وكان الاستعمار محنة قاسية عرفنا به العدو من
يق وانتهى الاستعمار بالثورة الجامحة التي دبرها وقادها الزعيم
ب بورقيبة وحرر الشعب منه واسترجع اليه السيادة والعزة
لرامة ، وتصدى لقلب الاوضاع البالية وتجديد طرق الحياة بما
ن للشعب ان يظفر بقوة تمكنه عن جدارة من المناهمة في
ية العصر الجديد .

فكان من طبيعة الحال ان تختفي مدارس الزوايا بعد هذا التحرير والتطور العقلي وان يحل محلها نظام تعليم عام موحد في برامجه ومراحله متمشيا مع طموح البلاد وحاجياتها وتطوراتها السريعة.

ولم يبق بعد هذا الا ان يسجل التاريخ بالنسبة للتصرف انه لا كما يزعم انصاره انه اسلامي وان اهل الصفة وهم من اصحاب رسول الله قد انقطعوا للعبادة وكان الرسول مقرا لهم ومواسيا ، وعن سلوكهم راضيا . وهذا ما يلزم فيه اولا ايضاح الروح الاسلامية ثم ايضاح « الصفة » وان اهل الصفة كانوا على وضعية خاصة .

الاسلام ثورة ودولة مثالية

الاسلام شريعة وعقيدة هما خاتمة الدعائم لبناء الاخلاق والمثل الجامعة لاسباب التفاهم والتقارب والتعاون على الخير بين البشر.

ومن خصائص الدعوة الاسلامية انها لا تفرق بين الاجناس وخير الناس عندها اهل الكتاب والدعوة الاسلامية قامت على حب السلم والعمل الصالح وعلى الايجابية والمسؤولية .

وكان الاسلام ثورة على اهل البغي والفساد وعلى احتكار السيادة بالقهر والاستبداد. والنص في ذم الملوك صريح: «ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا أَعزة اهلها أَذلة وكذلك يفعلون »

ومن الآيات المنزلة في مجاملة اهل الكتاب : « ولا تجادلوا اهل الكتاب الا باللتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم » وقوله تعالى : « وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » .

ويجب ان نفهم ان الرسول المبلغ صلى الله عليه وسلم كان لا يأمن المكر من الذين لا يقابلونه بالمثل لذلك كان على حذر ويقظة من اعداء الدعوة الاسلامية فكان لا يهمل استعداده للحرب ولكنه كان لا يحارب الا من اراد محاربته ك« الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون » « ولقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد » والحديد في الآية رمز للقوة وللتنبه اليها . فكان الرسول يستخدمها الى حد محدود « وان جنحوا للسلم فاجنح لها » وكفى . . .

والاسلام آخر الاديان

« ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيئين » (الاحزاب 40)

والذي يفهم من انه آخر الاديان هو ان الاسلام كان

ينظر الى البشرية وكانها قد بلغت درجة من التفهم والتعقل والكفاءات بفضل ما بلغ اليها من الاديان السابقة واللاحقة ما يؤهلها في النهاية الى « درجة الاجتهاد المطلق » لحل ما يحدث لها من المشاكل الجديدة المختلفة باختلاف ظروفها المكانية والزمانية حالا جديدا تستنير فيه بما تجمع لها من اصول الشرائع الالهية ويتماشى مع المصالح الداعية لهذا الاجتهاد المؤكد وهذا ما انتبه اليه شيوخ من فقهاء الاسلام فقعدوا له علما جديدا عرفوه باسم اصول الفقه » وهذا العلم الى يومنا هذا يعد من مفاخر الحضارة الاسلامية ومجدها الخالد .

هذه حقيقة الاسلام من حيث الدعوة واهدافها العامة ولنا اشارة الى ما كان يتحلى به الرسول الاعظم واصحابه من اهتمام بالشؤون الانسانية والمصالح الدنياوية الامر الذي اهمله الصوفية وخالفوا عنه وظنوا انهم كاهل الصفة (وهم من اصحاب رسول الله) تصوفوا وانقطعوا للعبادة بمسجده في المدينة ولم ينكر عليهم عملهم هذا .

وحقيقة ذلك ان رسول الله كان يحرض على العمل وينكر على القاعدين والمتسولين والمهملين شؤونهم فقد ثبت انه قال : « ان اشرف الكسب كسب الرجل من يده » رواه احمد .

وقال « لان يغدو احدكم فيحطب على ظهره فيتصدق به ويستغنى به عن الناس خير له من ان يسال رجلا اعطاه او منعه ذلك فان اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول » رواه مسلم

ولكن الصوفية استغلوا حالة كان عليها جماعة لم تتوفر لهم الاسباب وهم من المستضعفين والاصحاب . هاجروا من مكة الى المدينة فسكنوا صفة « مسجد الصفة » وعمروا اوقاتهم بالعبادة . وتعاون المهاجرون والانصار على اطعامهم طيلة اعوام الهجرة لضعفهم وشدة فقرهم ووفرة عددهم واشتغال المهاجرين والانصار بما يوفر لهم الاسباب لكسب الانتصار في حروبهم مع قريش ولم يتغير الوضع الا بعد فتح مكة . وبعد الفتح لم يبق اهل الصفة على ما كانوا عليه في الصفة عالة على اخوانهم في كل شيء وهذا ما سياتي عليه الكلام مفصلا .

فمسجد الصفة ؟

هو مسجد بالمدينة اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ما وصل الى المدينة في هجرته من كفار قريش واختار له المكان الذي بركت فيه ناقته التي حملته وجعل قبلته الى بيت المقدس وبنى بيوتا الى جنبه ولما فرغ من بناء المسجد بنى لعائشة في البيت الذي

بابه على الشارع . وبعد ستة عشر شهرا حول قبلته الى الكعبة .
قال ابن سعد : « لما صرفت القبلة الى الكعبة اتى رسول الله مسجد « قبا » فقوم جداره واسسه ونقل رسول الله هو واصحابه الحجارة لبنائه وكان رسول الله ياتيه كل سبت ماشيا [1] » .

واهل الصفة ؟

قال عنهم ابن سعد : « كان اهل الصفة ناسا من اصحاب رسول الله لا منازل لهم فكانوا على عهد رسول الله ينامون في المسجد ويقطنون فيه ما لهم ماوى غيره فكان الرسول يدعوهم اليه بالليل اذا تعشى فيفرقهم على اصحابه وتتعشى طائفة منهم مع الرسول حتى جاء الله بالغنى » .

وقال ابن هشام : « كان رسول الله اذا جلس في المسجد جلس اليه « المستضعفون » من اصحابه : خباب وعمار بن ياسر وابو فكيهة يسار مولى صفوان ابن امية وصهيب بن سنان واشبههم من المسلمين فهزات بهم قريش فنزلت الآية « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى » .

---

(١) ـ يظهر ان مسجد السبت المؤسس في العصر الاغلبي بالقيروان وكان له ميعاد يجتمع فيه العباد كل سبت اسوة بزيارته صلى الله عليه وسلم لمسجد (قبا) كل سبت وهكذا كان ميعاد ابي الحسن الشاذلي واصحابه في كل سبت يجتمع .

وفي رواية ابن نعيم « ان خباب بن الارت وهو من اهل الصفة قال : » .

جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينه بن حصين الفزاري فوجدوا النبيء قاعدا مع بلال وعمار وصهيب وخباب في اناس من الضعفاء المؤمنين فلما راوهم حقروهم فخلوا به « اي بالنبيء » فقالوا انا نريد ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلا فان وفود العرب تاتيكم فنستحي ان ترانا العرب قعودا مع هذه الاعبد فاذا نحن جئناك فاقصهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعدهم ان شئت قال نعم .قالوا فاكتب لنا عليك كتابا فدعا بالصحيقة ليكتب لهم ودعا عليا عليه السلام ليكتب فلما اراد ذلك ونحن قعود في ناحية اذ نزل جبريل فقال : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء » . فرمى رسول الله بالصحيفة ودعانا فاتيناه وهو يقول سلام عليكم فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته (1)

وفي رواية عن عبد الرحمان بن ابي بكر ان اصحاب الصفة كانوا ناسا فقراء وان رسول الله قال من كان عنده طعام اثنين

---

(1) ـ ص 344 ج 1 حلية

فليذهب بثالث . ومن كان عنده طعام اربعة فليذهب بخامس وان ابا بكر ذهب بثلاثة وانطلق نبيء الله بعشرة [1] .

وكان رسول الله يجري عليهم مرافق (تمر) كل يوم بين رجلين . وعن ابي هريرة وكان من اهل الصفة انه قال : (رايت سبعين من اهل الصفة يصلون في ثوب فمنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من هو اسفل من ذلك فاذا ركع احدهم قبض عليه مخافة ان تبدو عورته [2] .

وكان سعد بن عبادة سيد الانصار يرجع الى اهله بثمانين منهم يعيشهم .

فاهل الصفة هم الفقراء المستضعفون من الذين عذبتهم قريش من اجل اسلامهم (كبلال وعمار بن ياسر وصهيب) وهاجروا مع المهاجرين فكان الرسول بهم حفيا وكان الله لهم وليا .

والصفة

والصفة موضع غير البيت ذو ثلاثة حوائط مظلل ليستتر به من البرد والحر .

---

(1) ـ ص 337 ج 1 ـ حلية (2) ص 20 ج 2 طبقات ابن سعد

التعريف بمن عرف من اهل الصفة

ترجم ابن نعيم في الحلية لعدد وافر منهم [1] واننا نقتصر على ما تتم به الفائدة المرجوة من هذا البحث :

فمن اهل الصفة عبد الله بن عبد الاسد المخزومي قال : كنا عند رسول الله فشكونا اليه الفقر والعرى وقلة الشيء فقال عليه السلام : اصبروا فوالله لانا من كثرة اشيء اخوف عليكم من قلته وانه لا يزال هذا الامر فيكم حتى تفتح لكم ارض فارس والروم وارض حمير وحتى تكونوا اجنادا ثلاثة جند بالشام وجند بالعراق وجند باليمن وحتى ليعطى الرجل المائة دينار فيسخطها .

والمفهوم من هذا الحديث ان صح . ان اهل الصفة كانوا على حالة يريدون التخلص منها . وانهم كانوا يتطلعون الى حياة فيها من نعيم الدنيا كل خير وفضل . وان زهدهم قد ارغمتهم عليه الظروف . وانهم لا يحبون الفقر كما يزعم الصوفية وان (قلة الشيء) قد اقلقتهم حتى نفد صبرهم وتقدموا للرسول بهذه الشكوى ؟ !

ومنهم عبد الله بن ام كلثوم الاعمى قدم المدينة بعد بدر

---

(1) ص 337 ج 1 حلية الاولياء .

ونزل الصفة مع اهلها . وعبد الله هذا هو الذي نزلت فيه الآية (عبس وتولى ان جاءه الاعمى) .

ومنهم :

عمرو بن تغلب . قال النبيء صلى الله عليه وسلم وقد خرج الى اهل الصفة ذات يوم : (اني معط اقواما مخافة هلعهم وجوعهم وامنع آخرين اكلهم (الى ما جعل الله في قلبهم) منهم عمرو بن تغلب .

والذي يظهر ان هذا الحديث يشير الى ما كان عليه الرسول من السخا في اكرام ضيوفه بالطعام فقد كانت شيوخ قبائل العرب تفد عليه من كامل انحاء الجزيرة وكان يؤثرهم بما عنده وعند المهاجرين والانصار مدة الاقامة وفيها ابرمت عهود اسلامهم وتحالفهم معه على تأييد الدعوة الاسلامية وكان صلى الله عليه وسلم عند ما يتم له ذلك ويتأهبون الى الرحيل يقدم الى اعيانهم (مثاقيل من معدن الفضة) على وجه الهدية . وكان اهل الصفة يرون هذا الاكرام وهم في خصاصة ! ولكن جعل الله في قلوبهم الصبر والايمان .

ومنهم عكاشة بن محسن الاسدي . قتل في حرب الردة وهو المعني بقوله صلى الله عليه وسلم (سبقك بها عكاشة) ومنهم :

العرباض بن سارية كان من البكائين الذين نزلت فيهم الآية:

« ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا ان لا يجدوا ما ينفقون »(1)

ومنهم فضالة بن عبيد الانصاري . قال فضالة : ان النبيء اذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم في الصلاة مما بهم من الخصاصة وهم اصحاب الصفة جتى يقول الاعراب ان هؤلاء مجانين فاذا قضى رسول الله صلاته انصرف اليهم فيقول : « لو تعلمون ما لكم عند الله لاحببتم انكم تزدادون حاجة وفاقة » رواه ابن وهب ومنهم : قرة ابن اياس المزني . قال ابن اياس : عمرنا مع رسول الله وما لنا الا الاسودان (التمر والماء) وقال احدهم وهو ابن الاسفع . (كنا اصحاب الصفة في مسجد رسول الله وما فينا رجل له ثوب ولقد اتخذ العرق في جلودنا طرقا من الغبار) !

وقال بشر ابن الخصاصية : اذا اتت الى رسول الله هدية اشركنا فيها واذا اتت صدقة صرفها الينا ومنهم :

بلال وسلمان الفارسي وصهيب زمرّ بهؤلاء الثلاثة ابو سفان فقالوا : (ما اخذت السيوف مأخذها من عنق عدو الله هذا) ؟ وسمعهم ابو بكر فقال اتقولون هذا لشيخ قريش وسيدها ؟ ثم اتى

(1) التوبة 92

النبيء واخبره بالذي قالوا فقال صلى الله عليه وسلم : « يا ابا بكر لعلك اغضبتهم » ؟ والذي نفسي بيده لئن كنت اغضبتهم فقد اغضبت ربك) فرجع اليهم ابو بكر وقال : يا اخواني لعلي اغضبتكم ؟ فقالوا لا يا ابا بكر يغفر الله لك . [1] ومن اهل الصفة ابوا ذر الغفاري (جندب بن جنادة) كان الرسول يمدحه ويزكيه وقال في شانه : « ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء اصدق لهجة من ابي ذر »

انتقل ابو ذر بعد وفاته صلى الله عليه وسلم الى الشام في ولاية معاوية بن ابي سفيان وخلافة عثمان وقد بدأ الانحراف يظهر في سياسة الدولة الاسلامية والذي انتبه لهذا الاتجاه المنحرف وانتقده بعنف هو ابو ذر .

كان ابو ذر من المستضعفين والمعذبين ومن اهل الصفة ومن المقربين لرسول الله . فكان يعترض معاوية وينتقد سياسته الخاصة بجمع الثروات واحتكار الرزق لذوي المناصب والجاه دون الفقراء والمساكين . اذ انه اهمل شانهم كما كانت الامور تجري في ايام القياصرة والاكاسرة وتكرر وقوف ابي ذر في وجه معاوية حتى تخوف منه

---

(1) (حلية الاولياء)

ومن قيام الثورة الاشتراكية وبادر بالشكاية منه الى الخليفة عثمان فجلبه الخليفة الى المدينة وانكر على ابي ذر قيامه على معاوية وحكم عليه بالابعاد والاقامة مدة الحياة بالجهة المعروفة (بالربذة) فذهب به اعوانه الى منفاه ولا يتبعه الا زوجه وابنه وبنته واقاموا في خيمة مرقعة بجهة خالية من الناس الى ان مات سنة 32 ه !

وتركزت الدولة الاسلامية بعد صراع وحروب داخلية على المناهج المألوفة من ملوكية وراسمالية واقطاعية فادحة وذهبت خطوط التعاليم الاسلامية من البداية مع من دهب من المستضعنين كابي ذر !

ومن جماعة الصفة :

خباب بن الارت كان خباب من المهاجرين الاول وكان من المعذبين وشهد بدرا والمشاهد .

ومنهم : ابو لبابة الانصاري واسمه بشر بن عبد المقدر وشقران مولى رسول الله ومنهم ابو هريرة وآخرون سجلت اسماؤهم في الحلية) ولم تذكر لهم احداث .

تفرق اهل الصفة بعد وفاة الرسول فمنهم من شارك في الفتوحات وشمله العطاء من الصدقات فاقتصر على ما يحصل له منها الى مماته . ومنهم من تولى المناصب كسلمان الفارسي فقد ولاه عمر

ابن الخطاب واليا على المداين فكان في ولايته يلبس الصوف ويركب الحمار ببردعته بغير ركاب وياكل خبز الشعير وكان ناسكا متعبدا كما ان عمر بن الخطاب ولي عمار بن ياسر واليا على الكوفة بعد ان عزل عنها سعد بن ابي وقاص وهو من اهل الصفة الا ان عمار بن ياسر لم تطل ولايته حتى تشكى منه الناس الى الخليفة وقالوا : « انه غير صالح للولاية ولا علم له بالسياسة ولا يدري على ما استعملته » ! فثبت له ذلك فعزله وسأله عمر : هل اساءك العزل ؟ فقال له والله ما سرني حين استعملت ولقد ساءني حين عزلت . فقال له عمر : « لقد علمت ما انت بصاحب عمل ولكني تاولت الآية « ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين » ثم اقبل عمر بن الخطاب على اهل الكوفة وقال : من تريدون ؟ فقالوا : ابا موسى الاشعري فأمره عليهم بعد عمار . هؤلاء هم اهل الصفة وهذه حقيقتهم وهم كما قلنا من المستضعفين ومن الذين اسلموا في مكة وعذبتهم قريش فهاجروا مع المهاجرين وسكنوا صفة المسجد ثمانية اعوام كانوا فيها في كفالة المهاجرين والانصار . وان انقطاعهم للعبادة كان من افضل ما عمروا به فراغهم . وان وضعيتهم كانت من قبيل المحنة المفروضة ولم يكونوا كالصوفية ينظرون الى

الحياة بعين السخط والتشاؤم ويستعجلون الخروج من الدنيا الى الآخرة عن رغبة وعن طيب نفس واختيار .

بل ان اهل الصفة كانوا يتذمرون من بؤسهم ومن فاقتهم وحرمانهم ويشكون ذلك الى رسول الله فكان صلى الله عليه وسلم يسليهم ويمنيهم بالحياة السعيدة في الدنيا قبل الآخرة . وقد تحقق لهم ذلك فمنهم من وفق في عمله ونجح في تنفيذ خطته من بعد ومنهم من انتقد وانكر على معاوية انحرافاته الخطيرة كابي ذر الغفاري الذي لولا مكانته من رسول الله والمسلمين لقتله صبرا مصلوبا! ومنهم من تعود الفاقة فكان يركب الحمار ويلبس الصوف وهو وال على المدين ومنهم من عجز عن تدبير شؤون ولايته كعمار بن ياسر حتى تشكى منه الناس الى عمر فعزله فقال له عمار والله ما سرني حين استعملت ولكن ساءني حين عزلت وهذا من القول الذي لا يتماشى مع الصوفية ولا يصدر عن قلب زاهد . وقول عمر له : (لقد علمت ما انت بصاحب عمل ولكني تأولت الآية) فالسلف الصالح كان لا يألف الركود ولا يقتنع بالموجود . وطريقهم للدارين واضح . في العمل الصالح ، وان الاعمال التي تمت في ايام الهجرة بدأت بالانتصار في غزوة بدر الكبرى (السنة الثانية للهجرة وفتح مكة في السنة

الثامنة) وكل الغـزوات بينهما ومن غزوة بدر كانت الانطلاقـة من نصر الى نصر الى النهاية .

كان الرسول في اعوام الهجرة (ايام الشدة على اهل الصفة) مشغـولا بالدعوة والغزوات وبمراسلة اعيان قبـائل جزيرة العرب وتبادل السفراء وابرام عقود التحالف والمبائعة على الاسلام والوحدة

الاستعداد لفتح مكة

وما كان فتح مكة بالامر الهين اللين فقد استعد له الرسول ونظم له جيشا عظيما كان من بينه فرقة مجهزة بالحديد تعرف باسم « الكتيبة الخضراء » تعد عشرة آلاف يركـبون الخيل ولباسهم من الحديد . وصفها المقريزي في كتابه (امتاع الاسماع) بعد ان تعرض لقدوم ابي سفيان بن حرب على النبيء واظهار الطاعة مع اسلامه وانه قبل ذلك اندهش واخذه الذعر من كثافة الجيش المتأهب للهجوم على مكة قال المقزيزي : وقف ابو سفيان الى جانب العباس والجيش يمر مع الطريق الى مكة وقد جعل الرسول ابا عبيدة من الجـراح على المقدمة . وخالد بن الوليد على الميمنة والزبير على الميسرة والنبيء صلى الله عليه وسلم في القلب . وقـدم بـين يديه الكـتائب . فمرت القبائل على قادتها والكـتائب على رأيتها . فكانت تمر وابو سفيـان

يسال العبـــاس عنهـا ويقول : من هؤلاء ؟ فيسمـي له القبيلة التي ينتسبون اليهـا . وهكذا كان يسال ويجاب الى ان طلعت الكتيبة الخضراء . فطلع سواد وغبرة من سنابك الخيل ومر الناس حتى مر رسول الله ومعه المهاجرون والانصـار في الحديد لا يرى منهم الا الحدق ! وكان لعمر بن الخطاب فيها صوت رفيـع وهو يزعها . فقال ابو سفيان للنبيء وقد اقترب منه: يا رسول الله امرت بقتل قومك وانت ابر الناس وارحم الناس واوصل الناس. فقال رسول الله (وكان من قبل عليه) غاضبا . يا ابا سفيان اليوم يوم الرحمة اليوم اعز الله فيه قريش [1] .

وبعد ندمه وجزعه توسل ابو سفيان بالعباس وطلب امانا من رسول الله له ولاهل مكة فامنه رسول الله بهذه الكلمات : « من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ومن دخل البيت فهو آمن ومن اغلق عليه داره فهو آمن » فابتهج ابو سفيان لهذا الامان الذي لولا العباس لما كان .

فرجع ابو سفيان الى مكة بسرعة واخبر اهلها قبل وصول جيش الفتح فلجأوا الى بيت ابي سفيان والى البيت الحرام والى بيوتهم وتم الفتح وكان في السنة الثامنة للهجرة . ويقـــول المقريزي : ومن

(1) 371 امتاع الاسماع جزء 1 طبع مصر

مكة خرج الرسول في جيشه الى الطائف بعد فتح حنين وفي الطائف استعمل جيش المسلمين « الدبابة والمنجنيق » قال : ونصب رسول الله المنجنيق على حصن الطائف. قيل قدم به الطفيل بن عمرو مع دبابتين ونثر رسول الله الحسك حول الحصون ودخل المسلمون تحت الدبابتين ثم رجعوا بهما الى جوار الحصن ليحفروه [1] .

وفي السنة الحادية عشر للهجرة توفي الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بعد مضي ثلاثة اشهر من حجة الوداع التي نزلت فيها آية المائدة « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » .

ومن خطبته في حجة الوداع نصائح منها : لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض !

فكانت بعده صلى الله عليه وسلم الدولة الاسلامية المثالية في خلافة كل من ابي بكر وعمر بن الخطاب . ثم شاءت الاقدار ان يقتل الخليفة عثمان وتفترق الكلمة وتتصدع القلوب. وينقلب الوضع السليم الى فتنة مفجعة ، ثم الى حروب متلاحقة بين الكبراء . وقد تغلب فيها معاوية في النهاية واستبد بمنصب الخلافة لنفسه ولاعقابه

---

(1) 371 امتاع الاسماع جزء 1 ط مصر.

وكان الثمن على المسلمين باهضا . اذ تفرقوا (بعد ان كانوا وحدة) الى : شيعة والى خوارج وقد دبت فيهم نعرة الجاهلية « بين اليمنية والقحطانية » والى عنصرية جديدة هي : الشعوبية والعربية . وكل فرقة من هذه الفرق تضمر لغيرها الغدر والفتك والمعاكسة !

الرجوع الى السياسات المالوفة عند الامم الاخرى

والى جانب هذه الانقسامات الحادة التي آلت الى حروب اهلية فضيعة (وكان يتزعمها بعض الحواريين) لكسب السيادة والجاه. ولم تخمد نارها الا بعد القضاء على روح الاهداف الاسلامية البعيدة التي كانت ظاهرة في اجتهدات (الخليفة عمر ابن الخطاب) وهناك طوائف من الذين كانوا يفهمون حقيقة الدين الاسلامي فهما صحيحا الا انهم كانوا من الضعفاء المخلصين للعقيدة. وكانوا يتحدثون بالسنة وآداب الصحبة وبالمثل العالية ولكنهم كانوا يتاوهون ! وقف هؤلاء من هذه الخلافات المدهشة يسالون الله السلامة من غضبه وبطشه فتجنبوا المعارك القائمة وفضلوا العزلة والفقر والاستغفار على حياة لا سلامة فيها من الانانية وحب الجاه والمال . وكان من بين هؤلاء (قرة الهمداني) فكان يصلي في اليوم والليلة بعد ان عاين هذه الفتن خمسمائة ركعة ويقول : لما قتل عثمان حمدت الله الا اكون دخلت في شيء من

فتله فصليت مائة ركعة فلما وقع (الجمل) و (صفين) حمدت الله الا اكون دخلت في شيء من تلك الحروب وزدت مائة ركعة . فلما كانت واقعة (النهروان) حمدت الله اذ لم اشهدها وزدت مائة ركعة . فلما كانت فتنة الزبير حمدت الله اذ لم اشهدها وزدت مائة ركعة !

وهكذا كان (قرة الهمداني) يصلي في اليوم خمسمائة ركعة تحاشيا من الوقوع في النار ! وامثاله كثيرون وكان بنو امية في قصورهم ومن وراء حجابهم وعلى عروش مماثلة لعروش الاكاسرة والقياصرة يوجهون في كل يوم وليلة الآف اللعنات على علي ابن ابي طالب وعلى اشياعه واتباعه .

كان كل شيء يدل على ان هؤلاء المتنازعين لم يفهموا بعد ان الاسلام اخلاص وسلم وتعاون ومنهاج جديد ، ليس الامر سهلا بمثل ما بادروا اليه من فتوحات سريعة واقامة العروش المنيعة والحصون الرفيعة ويبقى الكسب رهين الفوضى بين ذوى الشان

في الاخبار الطوال [1] ان علي ابن ابي طالب لما نادى الناس بالتاهب الى المسير الى العراق دخل عليه سعد ابن ابي وقاص وعبد الله بن عمر الخطاب ومحمد بن مسلمة فقال لهم : قد بلغني عنكم

---

(1) ص 143 ص 160 ص 170

هناة كرهتها لكم . فقال سعد : قدكان ما بلغك . فاعطني سيفا
يعرف المسلم من الكافر حتى اقابل به معك ! ؟
وقال عبد الله بن عمر : لا تحملني على ما لا اعرف وقال مسلمه :
ان رسول الله امرني ان اقاتل بسيفي ما قتل به المشركون فاذا قتل
به اهل الصلاة ضربت به (صخر احد) حتى ينكسر وقد كسرته بالامس
ودخل أُسامة بن زيد على علي وقال له : اعفني من الخروج معك باني
كما عهدت الله الا اقاتل من يشهد لا اله الا الله

وفي حرب صفين قال نفر من اهل حمص لمن استنفرهم وكانوا
(نساكا) : نلزم بيوتنا ومساجدنا وانتم اعلم

وخرج ابو الدردا . وابو امامة والتحقا ببعض السواحل ولم
يشهدا تلك الحروب . وهكذا كانت السيادة مفروضة على خلاف
ما كان يجب ! واليوم قد انقضى كل شيء والتاريخ سجل كل
شيء والذي يهمنا لبحثنا هذا هو انحياز تلك الطائفة التي
هي من امثال (قرة الهمداني) وغيره كثيرون وقد نبذوا الدنيا
واستعجلوا لقاء الله قبل اليوم الآخر وتمسكوا بالصبر والكبت .
فكانوا النواة التي انبثق منها الزهد ثم الصوف . وكانت ظروف
الاهمال مساعدة على هذا الانبثاق وعلى سرعة تكاثره وانتشاره .
وصف يونس بن علية (الحسن البصري) وهو اكبر زاهد من

تابعين فقال عنه : كان اذا اقبل فكانما اقبل من دفن حميمة واذا جلس فكانه اسير امر بضرب عنقه . وكان اذا ذكرت النار عنده فكانما لم تخلق الا اليه .

اما الشق المقابل لهؤلاء المساكين واعني به الذين تهافتوا على مفاتيح السيادة وتمكنوا منها بضرب الرقاب وفرض العقاب . فقد حدثنا التاريخ عنهم انهم قد تركوا ثروات طائفة احرزوا عليها بسرعة. فالزبير ابن العوام قد خلف تركه باربعين مليونا من الدراهم وخلف رباعات كثيرة واراضين في كل من البصرة والكوفة والفسطاط والاسكندرية .

وخلف طلحة بن عبدالله ماقيمته ثلاثون مليونا من الدراهم وخلف من النقود مائة كيس كل كيس به ثلاثة قناطر من الذهب . وخلف عمرو بن العاص (وكان وليا على مصر) ثلاثمائة الف دينارا وخمسة وعشرين الف دينارا ومن الورق النى الف درهم وغلة بما يفي بمائتي الف دينار بمصر وضيعته بمصر قيمتها عشرة الاف الف درهم (1)

وهؤلاء قلة من كثرة انتصبوا في المناصب وتحكموا في

(1) مروج الذهب للمسعودي ص 32 ج 3 - .

بيوت المال وجندوا الجند بالعطاء والفيئى من رجال ضاقت بهم المسالك في الحياة او رجال كانوا يتقربون بالجهاد في سبيل الله . قال ابن الاثير في تاريخه [1] ان عثمـــان بن عفان ارسل في ايام محنته الى معاوية وعبد الله بن سعد والى سعيد بن العاص وعمرو بن العاص وعبد الله بن عامر فجمعهم وشاورهم وقال لهم ان لكل امرئي وزراء ونصحاء وانكم وزرائي ونصحائي واهل ثقتي وقد ضيع الناس ما قد رايتم وطلبوا الى ان اعزل عمالي وان ارجع عن جميع ما يكرهون الى ما يحبون فاجتهدوا رايكم واشيروا علي . فقال له ابن عامر : ارى لك يا امير المؤمنين ان تشغلهم بالجهـــاد عنك حتى يذلوا لك ولا يكون همة احدهم الا في نفسه وما هو فيه من دبر دابته وقمل فروته » !!! وبهذه السياسة تعاقبت الفتوحات السريعة . ففي امد لم يتجاوز المائة الاولى من الهجرة كانت جنود (بني امية) قد اكتسحت حدود الهند وبلاد السند وفتحوا كابل وسمرقند وتاشقند وشمال افريقية والمغرب وبلاد الاندلس . اما الشام وبلاد الفرس والعــراق ومصر فهي البلد الذي يستمدون منه الجند وما يلزم الجند لهذه الفتوحات التي عادت على كسبهم بكل خير !

---

(1) ج 3 ص 75

قال ابن عبد الحكم . حدثنا الليث بن سعد قال : « كتب عمرو بن العاص على لواته من البربر في شرطه عليهم وهم من اهل برقة :

« ان عليكم ان تبيعوا ابناءكم فيما عليكم من الجزية » [1]

وذلك عند ما فتح برقة وهو نص خطير والذي يؤكده ولا يجعله خاصا بقبيلة لواته دون غيرها من قبائل البربر في سائر بلاد المغرب ما ذكره المالكي في كتابه (رياض النفوس) فقد قال وهو يعدد مناقب اسماعيل بن عبيد المتوفي سنة 107 ه [2] .

« كان يوجه المولدات والاحمال الى الشرق فوجه رفقة كلها له . فخرج يشيعهم الى قصر الماء . فسمع بكاء فقال ما هذا ؟ فقيل له هؤلاء المولدت الآئي وجهتن يبكين مع ابائهن وامهاتهن واخواتهن ؟ فبكى اسماعيل !

وقال : « دنيا بلغت بي الى ان افرق بين الاحبة انها لدينا سوء اشهدكم ان من كان له اب او ام او اخت في هذه الرفقة فهي حره لوجه الله عز وجل . وانزل من المحامل سبعين مولدة فاعتقهن »

---

(1) فتوح مصر والمغرب ض 239 ط مصر و ص 225 من فتوح البلاذري

(2) احد الفقهاء العشرة الموفدين على افريقية من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز فسكن القيروان وتعاطى التجارة (رياض النفوس ص 70 ومعالم الايمان ص 147 ج 1)

اليس هذا الذي انتبه اليه (ابن عبيد) المربي الفقيه والتاجر معا هو شعوره بانه قد تورط في نظام جائر لا يقره الاسلام . اما عقيـدة الاسلام فرسخوها بين الناس لم يكن من عمل الولاة ولا من برامج السادات بل كان من محض الوازع الذي كان يحدو اولئك المستضعفين والزهاد والمرابطين والعباد .

وهـذه البلاد التي فتحها الصوفية واصحـاب الطرق بالدعوة بعد قرون وركزوا فيها الاسلام هي اوفر مساحة وعددا من البلاد التي فتحت بالسيوف والرماح . وتلك هي التي قـــد جددت اسلام البرابرة شرقا وغربا في عصور متأخرة .

وهذه كتب (الاموال) المحررة بايحاء من رجال الدولة لا نجد من بينها كتابا ولا بابا فيه مصرف للدعوة الاسلامية الا السيف (الخراج والجزية والفيء) ولا نجد قبل آخر القرن الخامس مدرسة للتعليم المجـاني . وهذا ما يجعلنا نعتقد ان حكومات الاسلام بعد عمر بن الخطاب قد عاشت لنفسها ولم تحقق الاهداف التي كان يدعو اليها الاسلام لقد عاشت مقلدة تجري في الدروب المسهلة التي عبدها الفرس والـــروم. وعمرت فراغها ببناء القصور واختيار الحور . وشرب الخمور . وهم كقطار الابل يقتفي اللاحق خطى السابق شبرا

بشبر وذراعا بذراع . وهذا القطار او هذا « الاطار الملكي »
ينخرط فيه بلا شذوذ حتى من زعم انه من الايمة المعصومين المنزهين
عن الخطايا من اخواننا الشيعة الفاطمية ؟

لقد انتهى كل شيء وها نحن نعيش في عصرنا هذا حياة نورها
مع الاسف يشع من مصابيح الآخرين ! والذي يجب علينا في هذا
الاوان : ان نعترف بالخطايا ونلتزم بان لا نعود اليها ابدا . وان
نخلص لهذاه العقيدة عقيدة الاسلام المنزه الداعية الى الحرية
والاشتراكية في نطاق ابعد من حدود « صدقة الزكاة » واقرب الى
حدود الاحسان « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » وبالاحسان قد تمت
المواخاة بين المهاجرين والانصار وتمت بينهما المشاطرة في المكاسب [1]

اويس بن عامر القربي

. . . ـ 37 هـ 657 م

من اعراب اليمن من بني مراد بلغته الدعوة فاسلم ولم ير
النبيء وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، وفد على عمر بن الخطاب في
خلافته وكان في اليمن يسكن القفار والرمال . وكان ناسكا متعبدا.
وبعد اجتماعه بالخليفة عمر انتقل الى الكوفة وسكنها .

---

(1) راجع ترجمة ابي العباس احمد السبتي في هذا الكتاب .

وشهد وقعة صفين مع علي بن ابي طالب ذكر ابن سعد في طبقاته وفي حلية الاولياء انه مات في غزوة اذ ريبجان ايام عمر بن الخطاب [1]

وتعزى اليه كرامات مفصلة والاختلاف فيها بين : واسندوا اليه حديثا مرويا منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع انه لم يره

وعن ابي هريرة انه قال ـ بينا رسول الله في حلقة من اصحابه اذ قال ـ « ليصلين معكم غدا رجل من اهل الجنة » .

قال ابو هريرة ـ فطمعت ان اكون انا ذلك الرجل . فغدوت وصليت خلف النبيء (صلعم) فاقمت في المسجد حتى انصرف الناس وبقيت انا وهو فبينما نحن عنده اذ اقبل رجل اسود متزر بخرقة مرتد برقعة . فجاء حتى وضع يده في يد رسول الله ثم قال : يا نبيء الله ادع الله لي فدعا النبيء صلى الله عليه وسلم بالشهادة وانا لنجد منه ريح المسك الاذفر . فقلت يا رسول الله أهو هو قال :

« نعم انه لمملوك لبني فلان » قلت : افلا تشتريه فتعتقه يا نبيء الله . قال : وائي لي ذلك . ان كان الله تعالى يريد ان يجعله من ملوك الجنة يا ابا هريرة . ان لاهل الجنة ملوكا وسادة . وان هذا الاسود اصبح من ملوك الجنة وسادتهم . » !

---

(1) ص 83 ج 2 حلية .

(اويس) شخصية ضيعوها بالمبالغات

ولا اقول قد اختلقوهـــا . فالاختلاف في صحبة اويس وتابعيته مع التناقض في التعريف بالمكان الذي استشهد فيه هما سببان لا يساعدان الاعتقاد بما قيل عنه من انه من اولياء الله وان له كرامات ومكاشفات عن شؤون من المغيبات ذكرها ابو نعيم وغـيره . حتى ان وفاته قال عنها عبد الله بن سلمى وكان معه في غزوة اذربجان . انه مرض « اويس » فحملنـــاه فلم يستمسك فمات فنزلنا فاذا قبر محفور وماء مسكوب وكفن وحنوط فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفنـاه . فقال بعضنا لبعض لو رجعنا فعلمنـا قبره فرجعنا فاذا لا قبر ولا اثر [1]

والمرجح انه تابعي مات في صفين مع علي بن ابي طالب وكل ما قيل عنه من المبالغات وخوارق العـــادات من صنيع الشيعة الاسماعلية . وكان منها ذلك سياسة لخداع الناس . وقد قيل انهم اختلقوا وصنعوا مثل ذلك لسلمان الفارسي .

اول بيت لعبادة الزهاد
(او بداية التجمع في الزوايا)

قال المقريزي ـ « واول من اتخذ بيتا للعبادة زيد بن صرحان

---

(1) ص 84 ج 2 حلية

ابن صبرة وذلك انه عمد الى رجال من اهل البصرة قد تفرغوا للعبادة وليس لهم تجارات ولا غلات فبنى لهم دورا واسكنهم فيها وجعل لهم ما يقوم بمصالحهم من مطعم ومشرب وملبس وغيره. فجاء يوما ليزورهم فسأل عنهم فاذا عبد الله بن عامر عامل البصرة لامير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قد دعاهم فاتاه فقال له ـ يا ابن عامر ما تريد من هؤلاء القوم ؟ قال : اريد ان اقربهم فشفعوا فاشفعهم ويسالوا فاعطيهم ويشيروا علي فاقبل منهم . فقال ـ لا ولا كرامة فتاتي الى قوم قد انقطعوا الى الله تعالى فتدنسهم بدنياك وتشركهم في امرك حتى اذا ذهبت اديانهم اعرضت عنهم فطاحوا الى الدنيا ولا الى الآخرة . قوموا وارجعوا الى مواضعكم فقاموا فامسك ابن عامر فما نطق بلفظة [1]

وكانت حلقة الاتصال بين الزهد السلفي الاول وخيوط بدايات التصوف من جهة اخرى تظهر في

الحسن البصري

20 ـ 110 هـ 640 ـ 728 م

قال ابو طالب المكي ـ كان الحسن البصري من خيار التابعين وكانت مجالسه مجالس الذكر يخلو فيها مع اخوانه واتباعه من النساك

---

(1) ص 414 ج 2 الخطط للمقريزي

والعباد في بيته مثل مالك بن دينار وثابت البناني وايوب السختيـاني ومحمد بن راسع وفرقد السنجي وعبد الرحمان بن زيـد . فيقول : هاتوا انشروا النور فيتكلم عليهم في علم اليقين والقدرة وفي خواطر القلوب وفساد الاعمال ووسواس النفوس .

وربما قنع بعض اصحاب الحديث راسه فاختفى من ورائهم ليسمع ذلك . فاذا رآه الحسن قال له يا لكع وانت ما تصنع هـا هنا ؟ انما خلونا مع اخواننا نتذاكر [1] .

الحسن البصري يستخف بفقهاء زمانه

قال فرقد السنجي للحسن البصري : « يا ابا سعيد ان الفقهاء يحابونك (يتكلمون فيه بالخطا) .

فقال : ثكلتك امك . وهل رايت بعينك فـقهاء ؟ انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة والبصير بدينه المداوم على عبادة ربه ، الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم [2] .

هذه بداية الخلاف بين طلائع الصوفية والفقهاء

---

(1) قوت القلوب ج ص 22

(2) » » 28

اما الفقهاء فانهم كانوا ينظرون الى الزهاد بـدون اكبار
قـال مالك بن انس رحمه الله (ادركـت سبعين شيخا من التابعين
منهم عباد ومنهم مستجاب الدعاء ومنهم من يستقى به ما حملت عنهم
علما قط . قيل ولما ذلك ؟ قال : لم يكونوا يدرون ما يحدثون به
ولم يكن لهم فقه يسألون عنه .

وكان الزهوى يقول حدثني فلان وكان من اوعية العلم ولا
يقول (وكان عالما) [1] وكان ابو يزيد البسطامي يفرق بين الصوفية
والعياد وقد قال حقا في قوله ـ اطلع الله على قلوب اوليائه . فمنهم
من لا يصلح لحمل المعرفة صرفا فاشغلهم بالعبادة [2] .

الاعتدال في العبادة مع الورع
هما عين الكمال

قـــال ابو جعفر محمد بن يعقوب الرازي المتوفي سنة 329 هـ
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هـذا الدين متين فاوغلوا فيه
برفق ولا تـكرهوا عبادة الله الى عباد الله كالراكب المنبت الـذي
لا سفرا قطع ولا ظهرا ابقى .

وقـال صلى الله عليه وسلم لا تـكرهوا الى انفسـكم العبـادة

(1) قوت القلوب ج 2 ص 29

(2) طبقات السلمي ص 71

وقال : ان الله عز وجل اذا احب عبدا يعمل عملا قليلا جزاه بالقليل الكثير ولم يتعاظمه ان يجزي بالقليل الكثير له .

وفي (الابريز) : جاء نفر من الصحابة الى دار النبيء صلى الله عليه وسلم فسالوا ازواجه عن عبادته وقيامه وصيامه فذكرن لهم عبادته وقيامه وصيامه فذكرن لهم عبادته (صلعم) فاستقلوها ثم قالوا لسنا كالنبيء فانه عبد قد غفر الله له ما تقدم من ذنب وما تاخر . ثم قال احدهم : اما انا فاصوم الدهر وقال الآخر : اما انا فاقوم الليل كله ولا انام وقال الآخر اما انا فلا اقارب النساء ثم ذهبوا وجاء النبيء على اثرهم فاخبرته عائشة بما رأت منهم وبما قالوا فدعاهم النبيء صلى الله عليه وسلم وقال لهم اما انا : فاخشاكم لله واتقاكم له واعلمكم به واني اصوم وافطر واقوم وانام واقارب النساء ومن رغب عن سنتي فليس مني . وانزل الله : (يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) [1]

قال ابو عبد الله [2] مربي ابي وانا بالطواف وانا حدث وقد

(1) المائدة 87

(2) جعفر الصادق

اجتهدت في العبادة فاراني وانا اتصاب عرقا فقال لي : يا جعفر يا بني ان الله اذا احب عبدا ادخله الجنة ورضي عنه باليسير . وفي رواية قال ابو عبد الله اجتهدت في العبادة وانا شاب فقال لي ابي يا بني دون ما اراك تصنع فان الله عز وجل اذا احب عبدا رضي عنه باليسير :

وعن ابي عبد الله قال : قال رسول الله : يا علي ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة ربك فان المنبت المنرط لا ظهرا ابقى ولا ارضا قطع فاعمل عمل من يرجو ان يموت هرما واحذر حذر من يتخوف ان يموت غدا [1]

وهذا ما يتماشى مع التنزيل . وفي التنزيل آيات بينات يتداعى معها المذهب الصوفي المركز على مجاهدة النفس وصرف كل الارادة الى العبادة والتقرب الى الله بالحرمان والكبت . وترك السعي بالتوكل . والله يقول في كتابه العزيز : يريد الله بكم اليسر ولا يريد لكم العسر (بقرة 185)

وقال تعالى : يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا (النساء 27) وقال : ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج (المائدة 6) .

(1) ص 86 ج 2 الاصول من الكافي ط طهران .

وقال عن شانه : قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق وقل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة (الاعراف 32)

وقال تعالى : وما جعل عليكم في الدين من حرج (الحج 71)

وقال : ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما (النساء 29)

وقال : كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمونا (بقره آية 57 والاعراف آية 260) .

وقال جل جلاله : يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله ان كنتم إياه تعبدون (بقرة آية 172) .

جملة من كلمات الزهاد

1

جاء رجل الى النبيء صلى الله عليه وسلم فقال يا نبيء الله (لا احب الموت) فقال له : هل لك مال ؟ قال نعم . قال : قدمه بين يديك . قال : لا اطيق ذلك . فقال النبيء : (ان المرء مع ماله ان قدمه احب ان يلحق به وان اخره احب ان يتخلف معه) .

2

وقال بعضهم : اللهم ارحم غربتي في الدنيا !

وقال آخر : اللهم انك تعلم ما يصلحني في دنياي وآخرتي فكن بي حفيا .

وقال آخر : اللهم اني اعوذ بك من شر السلطان ومن شر ما تجري به اقلامهم .

وقال غيرهم : اللهم لا تدخلنا النار بعد اذ اسكنت قلوبنا توحيدك . واني لارجو الا تفعل ولين فعلت لا تجمعن بيننا وبين قوم عاديناهم في دينك .

3

قال سفيان : الزهد في الدنيا قصر الامل ليس باكل الغليظ ولا لبس الغليظ .

4

قال يوسف بن اسباط : الزهد لا يكون الا على ترك الحلال المحض . والحلال المحض لا نعرفه اليوم وانما الدنيا حلال وحرام وشبهات فالحلال حساب والحرام عذاب والشبهات عتاب .

5

عن انس ابن مالك قال : جاء فتى من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان امي تكثر البكاء واخاف على بصرها ان يذهب فلو اتيتها فوعظتها . فذهب معه فدخل فقال لها في ذلك .

فقالت يا رسول الله ارايت ان ذهب بصري في الدنيا ثم صرت الى الجنة ايبدلني الله خيرا منه ؟ قال : نعم . قالت : وان ذهب بصري في الدنيا ثم صرت الى النار . فيعيد الله بصري ؟ فقال النبيء عليه السلام للفتى : ان امك صديقة [1]

وقال رياج : (سمعت مالك بن دينار يقول لا يبلغ الرجل منزلة الصديقين حتى يترك زوجته كانها ارملة وياوي الى مزابل الكلاب) !

وقال ابو يزيد البسطامي : العارف همه ما يامله والزاهد همه ما ياكله [2] .

وقال غيره ليس الزهد بترك كل الدنيا ولكن الزهد التهاون بها واخذ البلاغ منها .

وقال الحسن البصري عن الذين يلبسون الصوف : انهم اكنوا الكبر في قلوبهم واظهروا التواضع في لباسهم والله لاحدهم اشد عجبا بكسائه من صاحب المطرف .

وقال سفيان الثوري : دخلت على جعفر بن محمد (جعفر

(1) النصوص الخمسة من كتاب الزهد من ص 261 الى آخر الجزء الثاني من عيون الاخبار وفي الكتاب ما يثبت ان المسلمين كانوا على اتصال وثيق برجال الدين المسيحي وانهم كانوا يترددون على الديارات ويتلقون المواعظ والاشارات .

(2) طبقات السلمي ص 74 .

الصادق) وعليه جبة خز دكناء وكساء خز ايرجاني فجعلت انظر اليه متعجبا . فقال لي : يا ثوري ما لك تنظر الينا ؟ لعلك تعجب مما رايت ؟ قال قلت يا ابن رسول الله : ليس هذا من لباسك ولا من لباس آبائك . فقال لي يا ثوري : كان ذلك زمانا مقفرا مقترا وكانوا يعملون على قدر انفاقه واقتاره . وهذا زمان قد اقبل كل شيء فيه عز اليه . ثم حصر ردن جبته واذا تحتها جبة صوف بيضاء يقصر الذيل عن الذيل والردن عن الردن . فقال لي يا ثوري لبسنا هذا لله وهذا لكم فما كان لله اخفيناه وما كان لكم ابديناه[1].

من الزهد ما يتسبب عن الخوف والجزع

قال عمران بن حصين : (وهو من الصحابة) وددت اني كنت ترابا تذروني الرياح ولم اخلق مخافة العذاب [2].

وقال ابو در : ان قيامي بالحق الى الله لم يترك لي صديقا وان خوفي من يوم الحساب ما ترك على بدني لحما [3]

وقيل ان سلمان الفارسي لما نزلت الآية (وان جهنم لموعدهم اجمعين) صاح صيحة ووضع يده على راسه ثم خرج هاربا ثلاثة ايام[4]

(1) حلية الاولياء جزء (3) ص 193 وجعفر الصادق ولد سنة 80 وتوفي سنة 148 والحسن البصري ولد سنة 21 وتوفي سنة 110 هـ

(2) (3) (4) اللمع للسراج ص 185 وما بعدها .

وقال الحسن البصري : الا ان هذا الموت قد اضر بالدنيا ففضحها .

وقال الطبيب الافريقي اسحق ابن عمران : (نجد كثيرا من النساك والصالحين يقعون في الوسواس بكثرة خوفهم من الله وفزعهم من عقابه او من شدة شوقهم اليه حتى ان ذلك يستولى على النفس ويغلب عليها . فلا يكون لها كلف ولا شغف ولا لهج الا تذكره فيقعون في مثل ما يقع فيه العشاق من القلق والهيمان حتى يفسد اعمال النفس وافعال الجسد جميعا اذ كان البدن يتبع النفس في افعالها والنفس تتبع البدن ايضا في احداثه) عن كتاب المالينخوليا له (مخطوط).

وفي كتاب عقلاء المجانين حكايات كثيرة عن صلحاء مشهورين وعباد متنسكين افرطوا في العبادة حتى فقدوا الرشد والتحقوا بالماريستانات لحدة جنونهم من الخوف والتوهم .

وبعضه من تاثير الصدمات النفسية

قال القشيري : ومن الزاهدين ابو سليمان داود ابن نصير الطائي وكان كبير الشان ومن اصحاب ابي حنيفة فمر يوما في الطريق بمدينة بغداد فنحاه المطرقون بين يدي حميد الطوسي فالتفت داود

فراى حميدا فقال : اف لدنيا سبقك بها حميد . ولزم البيت واخذ في الجهد والعبادة [1] .

وقال الحسن البصري : الزهد في الدنيا ان تبغض اهلها وتبغض ما فيها [2] الا ان السري السقطي قال : مارست كل شيء من امر الزهد فنلت منه ما اريد الا الزهد في الناس [3] .

الانتقال من الزهد الى التصوف

بمجرد انتقال الفلسفة اليونانية وباعتبار ما اشتملت عليه من الافلاطونية الحديثة . الى المسلمين في القرن الثالث . على يد من كانوا بجامعة جنداي سابور [4] مثل ابن ماسويه (ابو زكرياء يوحنا المتوفي سنة 243 ه 857 م) وسابور ابن سهل صاحب ماريستان جونداي سابور المتوفي سنة 255 ه 868 م وكلاهما قد انتصبا للترجمة في بيت الحكمة ببغداد مع من ترجم من السريان والنساطرة الاخرين تحركت عقول المسلمين فتبادلوا اساليب الجدل بينهم وبين النصارى في

---

(1) الرسالة القيشيرية ص 13 – (2) و [3] ص 61 – 62 الرسالة .

(4) مدينة فارسية خصصها سابور الاول لاسكان جماعة من الاسرى اليونانيين ، وفي زمن كسرى انو شروان لجا الى هذه المدينة جماعة من العلماء اطردهم ملك بزنطة يوستنيانوس بسبب ما ظهر من الخلافات الدينية والفلسفية عندهم فرحل بهم كسرى واسكنهم هذه المدينة واسس لهم فيها دارا للعلم ، وهؤلاء العلماء من فلاسفة الافلاطونية الحديثة .

المعتقدات . وكان لمنطق اريسطو حظ عظيم من التذوق والجذب فحكموا قواعده في العقيدة الاسلامية نفسها فكان علم الكلام وكانت المفاهيم المختلفة في علاقة الانسان بخالقه . ونظروا في تحديد الثواب من العقاب وتفسير العدالة الالهية وشرح الصفات . حتى اختلفت المفاهيم فيها وتعددت الاذواق وظهرت (الفرق) وتفرعت منها فروع وفروع واختص كل فريق بمنهاج خاص كالجبرية والقدرية والمعتزلة والمرجيئة وغيرهم . وجميع هؤلاء كلهم يعتمدون في افهامهم السنة والكتاب كما يريدون ويحبون .

فكان ما لا مناص منه بان يتاثر الزهاد بهذه الحركة الفلسفية لا سيما وان موضوعها كان من صميم ما يشتغلون به (علاقة الانسان بالخالق) فالتصقت بعقولهم صور فلسفية وطقوس رهبانية ورياضات برهانية . تسربت اليهم من النساطرة والسريانيين ومن الوافدين من البلاد الاخرى . وممن اسلم من البلاد الشرقية كالسند وفارس وما وراء النهر ، وبذلك كله تطور الزهد الى فلسفة صوفية وظهرت فيه فلسفة الافلاطنية الحديثة بحذافرها كاملة .

الافلاطنية الحديثة

هي فلسفة ترجع الى ما ذهب اليه (فيلون الاسكندري)

من التوفيق بين التوراة والفلسفة فشرح مثلا « حواء » بالحس (والحية) باللذة وقال : ان الله كمال كله بريء من المادة وهو يشمل العالم كله وكانت وفاته سنة 50 بعد المسيح ثم ظهر بعده فلوطين (ولد سنة 203 ومات سنة 269 م) وقد تعلم في الاسكندرية وانتقل منها الى ايطاليا وبها كانت وفاته ورأيه عن حقيقة الاله : « انه الفيض والذي صدر عن نوره « العقل الاول » وعن العقل الاول صدرت النفس الكلية التي تملا العالم . فالعالم من فيوضات نوره ويقول ان النفس الجزئية تستطيع في اثناء الحياة الوصول (لحظات) الى النفس الكلية بعد رياضة خاصة . وان هذا الاتصال تدرك به النفس الانسانية حقائق الكائنات . وان المعرفة لا يستمدها الانسان بطريق الحواس او من التفكير المقصود بل هي تصدر مباشرة من النفس الكلية الى النفس الجزئية . وهي في حال من الذهول عن الحس . وهذا هو (الاشراق) الذي ترد به المعرفة من الملا الاعلى مباشرة على النفس وان هذه المعرفة هي العلم الصحيح !

ولاحظ عن هذه الفلسفة الاستاذ عمر فروخ فقال : ومن المؤسف ان كانت الفلسفة اليونانية قد وصلت الى العرب في صدر نهضتهم من

طريق هؤلاء الاسكندريين الذين لم يكونوا اوفياء لحقيقة الفلسفة [1] .

عناصر اخرى صوفية من اصول هندية

في الصوفية الاسلامية تتلاقى الافلاطنية الحديثة بشيء غير يسير من عقيدة البراهمة (والفضل في ذلك للفتوحات السريعة العاجلة فقد فتح المسلمون بعد فارس بلاد السند واحتلوا مدينة (كابل) قبل ان تمر مائة عام عن الهجرة [2] .

فالقول بـ (وحدة الوجود) التي ظهرت في طائفة من الصوفيين المسلمين يرجع الى اسطورة هندية اعتقادية تزعم ان الله الواحد لا يشعر بالسرور • وهي تصوره كرجل وامراة قد تعانقا وانشقت وحدتهما الى نصفين وتضاجعا فانسل (البشرية) ثم اختفت الزوجة وظهرت في صورة بقرة فانقلب الذكر ثورا فانسل (الماشية) وهكذا حتى صدرت وتكونت منه المخلوقات • فالخالق والمخلوقات شيء واحد .

ويرى الهنود ان العالم كله كوارث ولا فائدة من اشباع

---

(1) قصة الفلسفة اليونانية صحيفة 331 وفجر الاسلام صحيفة 129 والفلسفة اليونانية في طريقها الى العرب ص 77 •

(2) تاريخ المسلمين في الهند صحيفة 57 •

الرغبات ما دام الانسان لا يطمع في يوم لا يدرك فيه اسرار هذا العالم الفسيح المعقد وما دام عقله يكل ويتعب من عملية حسابية صغيرة ولا يجوز للانسان ان يتوقع مشاهدة (الابـدي) في نفسه اذا كان غارقا في الظـواهر والجزئيات . فاذا طهر الانسان نفسه من ادران العمل والتفكير وصام اياما فان روحـه تدخل في خضم الارواح ولا يعود الفرد موجودا كفرد . وبذلك يظهر (الاتحاد) .

وفي بلاد الهند الى يومنا هذا طائفة تعد ثلاثة ملايـين من النفوس دابهم تعذيب انفسهم ليظفروا (بسكينة المعرفة) وذلك بقتل الشهوة وتحرير النفس من كل رغباتها وتمني الخير للكائنات جميعا . وايقاف الاحساس . ونسيان كل شيء والاقتصار على اقل ما يمكن من الهواء في التنفس . واملاء العقل والحواس بفكرة واحدة مـع تكرار المقطع المقدس (اوم)[1]

ويلاحظ ان جميع ما تقدم ذكره هو ما يمارسه الصوفية في الاسلام بعد القرن الثاني حتى ان المقطع المقدس (اوم) لم يتغير الا بتعويض تكرار اسم الجلالة (هو هو) ؟

---

(1) قصة الحضارة الجزء 3 صحيفة 262 .

طريق المعرفة يتفرع

وفي النصف الثاني من المائة الثانية بدأ طريق المعرفة يتفرع واخذت الفروع تتجه الى الاختصاص مع التمحيص والتدوين .

فكانت المدرسة الاولى في مدينة البصرة . وبعد حين قليل من ظهور الدولة العباسية وتسوية العرب بالموالي ظهرت المدرسة الثانية للمعرفة بمدينة الكوفة واخذ التنافس والتحدي بينهما يظهران في كل علم باتزان . وفي صعيدهما تعقد مجالس النظر من اهل الثقافات الفارسية والهندية واليونانية . ومن نضج علمه وصحت بضاعته انتقل بها الى بغداد والى غير بغداد .

فكان من بين ما ظهر علم المنطق وعلم الكلام . وجرى للعقيدة الاسلامية ما جرى للمسيحية عند ظهورها في الاسكندرية من الصراع الذي آل في النهاية بالنسبة للمسيحية الى ما يعرف بالافلاطونية الحديثة . وقد ترجمها المسلمون والسريان الى العربية واعتنقوا منها الشيء الكثير . وكان ضروريا ان يتطور العقل العربي لهذه الاسباب او ان يصل به نشاطه الى العقيدة نفسها والى محاولة فهم المغيبات وتاويل المتشابهات ؟

وظهرت الفرق الاسلامية واشهرها فرق الاعتزال والقدرية والجبرية والمرجئة واخيرا فرقة الاشاعرة .

وفي هذا الخضم الذي تحرك له كل ساكن في العالم الاسلامي . خرج الزهاد من عزلتهم وتطفلوا على مجالس الآخرين وحكموا اذواقهم فيما يسمعونه منهم فاعتنقوا ما لا يتنافر بما عندهم ورفضوا ما سوى ذلك كما ان الفرق الاخرى قد انتقل منها الى الزهد كثيرون . وهذا ما جعل الزهد يتطور بسرعة الى مذهب قائم على اركان مدعمة بنصوص مؤولة من القرآن والحديث ومن الفلسفة الخاصة بعلم ما وراء الطبيعة وهذا هو الذي صار يعرف بعد المائة الثانية بـ (بالتصوف) .

وظهر في البداية اشتغال الصوفية بـ (بالمعرفة) وقد جاءت في اقوال ذي النون المصري و بـ (بالحب) وهو من خصائص رابعة العدوية وهذه كلها اعتبرها علم التصوف فيما بعد من (المقامات) التي لا بد منها لمن اراد (الوصول) .

ومن جهة العقائد فالصوفية قد اعتنقوا عقيدة الجبرية اولا ثم تحولوا عنها باعتدال الى العقيدة الاشعرية لان الاشعري الذي اعتزل (الاعتزال) ودون لنفسه عقيدة من الحل الوسط يقول برؤية الله ويثبت الكرامة وهذا ما جعل اهل السنة من فقهاء ومحدثين ومتكلمين يعتدلون مع الصوفية ويتسامحون معهم ويتبادلون معهم المعرفة . فمعظم الفقهاء قد تصوفوا بعد ما انكروه والعكس .

وهذا ما جعل التصوف ينتشر في العالم الاسلامي انتشارا سريعا نتيجة لهذا الاعتراف الماثل في العقيدة الاشعرية .

والقدر الذي اشترك فيه الصوفية والفقهاء قد تسبب عنه من جانب الفقهاء شلل في الراي فقد كانت ملكة الفقه والتشريع في الاسلام من معجزات الحضارة الاسلامية فخمدت جذوتها وانقلبت تقاوم الفلسفة وتحقير العقل ووقفت مع التصوف جنبا الى جنب وانتهى كل شيء بعد الغزالي وبعد نكبة ابن رشد يقرب الفلسفة من عقول المسلمين .

وكان المعتزلة ينفون الصفات الالهية ويقولون : المعارف كلها عقلية (حصولا ووجوبا قبل الشرع وبعده) واكثرهم على ان الامامة بالاختيار .

محنة القول بخلق القرآن

هذه المحنة كانت صادرة من الخليفة المامون على من لم يوافق من العلماء الاعلام والقضاة وسائر الفقهاء والمحدثين في العالم الاسلامي (الذي كان يمتد من افريقية الى اقصى بلاد المشرق خاضعا لسلطان الدولة العباسية) والمحنة تعذيب لمن لا يقول ويصرح ان (القرآن كلام الله مخلوق) والمامون كان مسلما دينا اشتهر بحب الفلسفة وتحكيم العقل حتى في المفاهيم الدينية . وقد قيل انه كان تلميذا

ليحي بن المبـــارك الزيدي المتهم بالاعتزال • وفي سنة 218 (شهر ربيع الاول) وجه المـــامون مناشير لولاته في سائر بلدان المملكة العباسية يامرهم باحضار العلماء والقضاة واستجوابهم عن القول بخلق القرآن وعزل من لم يوافق على ذلك وتسليط المحنة عليه [1]

وكانت القيروان من العواصم المتـأثرة بهذه المحنة في حيـاة الامام سحنون والقاضي ابن ابي الجواد وآلت المحنة بينهما الى صراع بين الاتباع (المذهب مالك ومذهب ابي حنيفة) ودامت المحنة في العالم الاسلامي اعواما الى ان توفي المامون وناصره في هـذا الراي من بعده اخوه المعتصم بالله وتبعه الواثـق من بعدهما ولم ترفع الا في ولاية المتوكل على الله جعفر سنة 234 ه 848 م فـقد اظهر المتوكل الميل الى السنة ونصر اهلها ورفع المحنة وكتب بذلك الى الافاق •

والعجب انمناشير المامون لم تتعرض لذكر السبب الذي حمل المامون على الافراط في العنف والحماس في مسالة يظهر انها لا تضر المؤمن مع ايمانه ! والتعصب من المامون قد بلغ به الى حد الجنون في مسالة القرآن بدون مبرر ظاهر • ولم ار من تعرض لبيان الحقيقة سوى ما جاء عفوا في كتاب الروم [2] قال : (ورفض ابو قرة بعثة

---

(1) عصر المامون ج 3 ص 5 ـ ج 1 ص 395

(2) كتاب الروم لاسد رستم ج 1 ص 348

محمد رسولا وجادل فكرة الخلق المستمر ونصيب الله في اعمال المخلوقات واعتبرها اقوالا يجر اليها الدخول في الاسلام ومما قاله ابو قرة انه اذا قيل بخلق المسيح لزم ان يكون الله قد بقي زمنا بدون (كلمة وروح) . وبالتالي لزم ان يكون القرآن الذي هو كلمة الله مخلوقا [1] .

والذي يظهر من هذا النص ان المامون (ومعه المعتزلة) قد حمل الناس على القول بخلق القرآن حتى لا يتغلب النصارى عليهم بالوهية المسيح التي انكرها المسلمون .

وكانت في بغداد تعقد مجالس بين المسلمين والنصارى في الجدل الديني استمرت الى القرن الرابع [2] .

عقيدة الخير والشر

للصوفية غاية من التصوف هي (معرفة الله) وكلمة (المعرفة) عندهم لا مفهوم لها الا المعرفة بالله والوصول اليه في هذه الدنيا بـ (الفناء وفناء الفناء) ومعرفة الله قد بحثها المسلمون في فجر انتقال

---

(1) بدا ابو قرة في اول الدولة العباسية وفي بلد (ميمارة) التحرير بالعربية بدل اليونانية وكتب بها (ابو كاليبس) بحيرة الحوار بين عبد المسيح الكندي وبين عبد الله الهاشمي .

(2) راجع جذوة المقتبس للحميدي ص 101 .

الفلسفة اليونانية الى العرب وجادلوا فيها اليعاقبة [1] والنساطرة [2] وغيرها من النصارى القائمين في البلاد المفتوحة وكان هؤلاء النصارى من الطوائف المسيحية المثقفة بالفلسفة الدينية على مناهج الافلاطونية الحديثة . ونتج عن هذا الجدل المعرفة بـ (علم الكلام) وظهرت الفرق في الامة الاسلامية فمعرفة الاعتزال تنكر تعدد صفات الله لانها لا تتفق والوحدانية والقضاء الازلي . ومعرفة القدرية ادت بهم الى الاعتقاد بان الانسان مسؤول عن اعماله . ومعرفة المرجئة في اعتقادهم ان الايمان فوق الاعمال .

وتفسير المشكل : مشكل صدور الخير والشر عن ذات الله سبحانه وهما من المتناقضات نجده في الفلسفة اليونانية [3] ونجده بنصه عند ابن سينا : (ويقال شر لمثل النقص كالجهل والضعف والتشويه والظلم والزنا) فالشر بالذات هو العدم او ما يحول عن كمال الوجود

وابن سينا يقول ايضا بالفيض وان هذا العالم من فيض الله خير محض ويقول : الخير المحض واجب الوجود لذاته وهو ما يتشوفه

---

[1] اليعاقبة طائفة مسيحية تقول بالطبيعة الواحدة تزعمها يعقوب النردعي اسقف (الرها) وهم السريان القدماء او الارتوذوكس تمييزا عن السريان الكاتوليك .

(2) النساطرة او الاشوريون على مذهب نسطور بطريرك القسطنطينية .

(3) قصة الفلسفة ص 141 .

كل شيء ويتم به وجوده والشر لا ذات له وهو بذاته معشوق وعاشق ولذيذ وملتذ وان اللذة هي ادراك الخير الملائم[1] .

ومن هنا تتلاقى بعض الجوانب من فلسفة ابن سينا الالهية بالفلسفه الصوفية ، فالصوفية تطورت من الزهد الى التصوف الفلسفي على حساب ما ظهر من بحوث الفلاسفة وعلماء الكلام وأهل العقائد واصحاب الجدل .

التصوف في عصر الحضارة الاسلامية

اختمر الزهد في المائة الاولى والثانية وتتطور في المائة الثالثة الى (التصوف الفلسفي) فاخذ بعضهم يدون اقوال الشيوخ في البداية فظهرت فروع علم التصوف قبل اصوله (كالفقه) . وكان الصوفية يتحدون الفقهاء وهم يتحدثون ويتفقهون ويتفلسفون ايضا فدونوا (المعرفة) عن ابراهيم بن ادهم وذي النون المصري ودونوا الحب والفتوة عن معروف الكرخي والسقطي ودونوا (الزهد) عن بشر الحافي ودونوا (الحب) عن الشبلي ورابعة العدوية (ان صح وثبت ما ينسب اليها) ودونوا (الفناء والبقاء) عن ابي سعيد الخراز ودونوا (الملامة) عن حمدون القصار والسلمي وهكذا تجمعت لهم فروع العلم وتم لهم الاقتباس من هنا وهناك .

---

(1) ص 154 جزء 3 الملل والنحل و ص 373 من كتاب النجاة .

قال البسطامي : اجتمعت بالسندي في مكة للحج فكان ياخذ مني علم المناسك ويعطني علم الطريق (التصوف) ؟

ثم ظهر تدوين علم التصوف بالسراج الطوسي في كتاب (اللمع) وابي طالب المكي في كتاب (قوت القلوب) وكلاهما في المائة الرابعة ودون السلمي تراجمهم في كتاب (الطبقات) والف رسالة في الملامة ودون ابو نعيم (الحلية) في التراجم وانتهى التاليف الاصيل برسالة القشيري المتوفي سنة 465 هـ 1071 م وما زاد بعد هؤلاء احد شيئا في علم التصوف وتدوينه ومن كتب بعدهم فقد اقتصر على الشرح ولم يات بشيء جديد اذا استثنينا القائلين بوحدة الوجود كابن عربي وامثاله .

شيوخ الصوفية وفلاسفتهم

ابراهيم ابن ادهم

كان من كورة بلخ من اولاد الملوك يذكرون له قصة شبيهة بقصة (بوذا) فيما حمله على نبذ حياة القصور والهروب الى حياة الزهد . وفي ذلك روايات ذكرها ابو نعيم في الحلية [1] .

قال ابن ادهم بعد نزوله 24 عاما في الشام : ما نزلتها لجهاد

(1) ص 367 و 395 جزء 7 - و ص 3 و 8 جزء 8 .

ولا لوباط ولكن لاشبع من خبز حلال . وكان يعمل حارسا وحصادا .

وقال : ما تركت شيئا اشد علي من مفارقة الاوطان . وقال: عالجت العبادة فما وجدت شيئا اشد علي من نزاع النفس الى الوطن وكان يكره السلطان واعوانه : قيل انه كان يعمل في فلسطين عاملا بكراء . فاذا مر به الجيش الى مصر وهو يسقي الماء قطع الدلو والقاه في البئر لئلا يسقيهم واذا هم سالوه الطريق تخارس حتى لا يدلهم [1] .

ويقول : اني لاتمنى المرض حتى لا تجب علي الصلاة في جماعة ولا ارى الناس ولا يروني . ولكنه كان يشارك في الغزو وهو راجل ويابى الركوب ولا ياخذ في غزواته سهما ولا نفلا ولا ياكل من متاع الروم .

ومما قال : لما راى القوم اني لا أنافسهم في دنياهم اقبلوا ينظرون الي كاني دابة من الارض او كاني آية عدهم ولو قبلت منهم لابغضوني ، كان ابراهيم كثير التفكير . وما كان كثير الصلاة ! وكان يكتب وينصح ويقول : اقلوا من الاخوان والخلان .

---

[1] ص 379 جزء 7 حلية .

وساله رجل عن التزوج فقال : لا حاجة لي في النساء ورجع اليه هل لك عيال فقال الرجل نعم فاجابه ابن ادهم بقوله : روعة من روعة عيالك افضل مما انا فيه .

وقال عن سفيان الثوري : قد سمعنا كما سمع (رواية الحديث) فلو شاء لسكت كما سكتنا .

واذا سئل ابراهيم عن العلم جاء بالادب الصوفي .

وقال : تعلمت المعرفة من راهب يقال له ابا سمعان دخلت عليه في صومعته (ودار بينهما حوار في هذا الشان) .

وكانت وفاته في سنة 162 هـ (778 م) .

قال ابن بطوطة في رحلته : ابراهيم بن ادهم ورث الملك عن جده ابي امه واما ابوه ادهم فكان من الفقراء الصالحين ـ وقبره بجبله قرب (اللاذقية) وعلى قبره زاوية حسنة وبها الطعام للصادر والوارد يحتفلون فيها الناس ليلة النصف من شعبان في سائر اقصار الشام واكثر اهل هذه السواحل هم الطائفة (النصيرية) الذين يعتقدون ان علي ابن ابي طالب (اله) لا يصلون ولا يصومون [1] .

---

(1) ص 46 رحلة ابن بطوطة طبع التقدم مصر .

رابعة (ام الخير فاطمة بنت اسماعيل العدوية البصرية)

وفاتها سنة 185 هـ (801 م)

شخصية رابعة شخصية وجودية لا خرافية فقد ورد ذكرها مع الزاهدين على السنة الثقات ، الا ان ادبها كما وصل الينا منسوبا اليها او صادرا عنها ففيه غموض وشكوك ، فهو من حيث قوته ونضجه الفلسفي لا يتفق مع زمانها الباكر . والمرجح ان بعض الصوفية قد نسب اليها اقوالا واشعارا تقيه حينما بدأ يتطور الزهد الى فلسفة مسترابة . وقد اردنا بهذا التنبيه الا يعتقد غير من لا يفهم هذا ، ان فلسفة التصوف قد ظهرت في منتصف القرن الثاني للهجرة اي انها سابقة لاوانها الحقيقي بقرن .

ورابعة تلقب بشهيدة العشق الالهي كانت ولا غرابة عابدة زاهدة ينسب اليها انها قالت عن بيت الله الحرام : هذا الصنم المعبود في الارض انه ما ولجه الله ولا خلا منه ؟ وهذا القول يشير الى وحدة الوجود التي ظهرت بوارقها على لسان ابي يزيد البسطامي في شطحاته ثم على لسان ابن عربي وابن سبعين وابن هود والششتري وعبد الكريم الجيلي واحمد التجاني صاحب الطريقة التجانية . قيل ان رابعة كانت لها احوال شتى فمرة يغلب عليها الحب ومرة يغلب

عليها الانس ومرة يغلب عليها الخوف . وهذا من تفريعات الشيوخ الصوفية في القرن الثالث والقرن الرابع .

ومما نسب اليها من الشعر :

حبيب ليس يعدله حبيب ولا لسواه في قلبي نصيب
حبيب غاب عن بصري وشخصي ولكن في فؤادي ما يغيب

وقالت في الانس :

ولقد جعلتك في فؤادي محدثي وابحت جسمي من اراد جلوسي
فالجسم مني للجليس موانس وحبيب قلبي في الفؤاد انيسي

وقالت في الخوف :

وزادي قليل ما اراه مبلغي أللزاد ابكي ام لطول مسافتي
اتحرقني بالنار يا غاية المنى فاين رجائي فيك اين مخافتي

قال الثوري : (بين يدي رابعة) واحزناه . فقالت له لا تكذب قل واقلة حزناه لو كنت محزونا ما هنأك عيش . وكان الثوري يتردد عليها ويتعظ بقولها ويلقبها بالمؤدبة .

قالت رابعة يوما : من يدلنا على حبيبنا فقالت لها خادمة لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه .

قال الزبيدي في شرحه : « اعلم ان رابعة قدس سرها كانت

راسا في المعرفة والمحبة كما هو مشهور من حالها ولا يخفى عليها مقام المعية وانها قالت ما قالت وهي في مقام الاستغراق الـــذي هو من نتائج المحبة وغلب عليهـا الشوق الى المشاهدة . والمحبة في مقـــام القرب قد يتطلب من ياخذ بيده ويتعلق بالاذيال . فنبهتها الخادمة ! على ان الوصول الى مقـام المشاهدة لا يكون الا بعد المفارقة من هذا العالم فتمتنع عنه القواطع » .

قيل لرابعة كيف حبك للرسول صلى الله عليه وسلم ؟فقالت والله اني لاحبه حبا شديـدا ولكــن حب الخـالق شغلني عن حب المخلوقين ! .

قال المناوي : سمعت رابعة قارئا يقرا « ان اصحـاب الجنـة اليوم في شغل فاكهون » فقالت : مساكـين اهل الجنة في شغل هم وازواجهم ! ومعنى فاكهون في كثير من التفاسير (يفتضون الابكار) قــال محمد بن عمر : دخلت على رابعة وكانت عجوزا كبيرة بنت ثمانين سنة .

الفضيل بن عياض التميمي (.... ـ 187 هـ) 802 م

خراساني من ناحية مرو ـ ولد بسمرقند

كان في اول امره شاطرا يقطع الطريق بنواحي سرخس

ولتوبته قصة طريفة ذكرها ابن خلكان ثم صار بعد توبته من كبار السادات .

حدث سفيان بن عيينة قال دعانا هرون الرشيد فدخلنا عليه ودخل الفضيل آخرنا مقنعا راسه بردائه وقال لي يا سفيان وايهم امير المؤمنين ؟ فقلت هذا واومأت الى الرشد . فقال له يا حسن الوجه انت الذي امر هذه الامة في يدك وعنقك ؟ لقد تقلدت امرا عظيما فبكي الرشيد ثم اتى كل رجل منا ببدلة فكل قبلها الا الفضيل . فلاطفه الرشيد والح عليه فاستعفاه منها . وبعد الخروج قال لو ابو عيينه هلا اخذتها وصرفتها في ابواب البر ؟ قال فاخذ بلحيتي ثم قال يا ابا محمد انت فقيه البلد . وتغلط بمثل هذا الغلط ؟ لو طابت لاولئك لطابت لي. قال له الرشيد يوما ما ازهدك فقال له الفضيل ! انت ازهد مني . قال : وكيف ذلك؟ قال لاني ازهد في الدنيا وانت تزهد في الاخرة مع انها باقية !

قال ابو علي الرازي : صحبت الفضيل ثلاثين سنة ما رايته ضاحكا ولا متبسما . وكان عبد الله بن المبارك يقول : اذا مات الفضيل ارتفع الحزن من الدنيا وتوفى سنة 187 ه وله نصائح زهدية واخلاقية بعضها يجري مجرى الحكم كقوله : اشتهي مرضا بلا عواد

وكقوله : (تباعد من القراء فانهم ان احبوك مدحوك بما ليس فيك وان ابغضوك شهدوا عليك وقبل منهم . وقوله : ان فيكم خصلتين هما من الجهل : الضحك من غير عجب والتصبيح من غير سمر .

ومن كلامه : طوبى لمن استوحش من النـــاس وانس بربه وبكى على خطيئته .

ابو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي

.... (200 هـ) 815 م

رجل من الصالحين من موالي علي بن موسى الرضا كان ابواه نصرانيين وكانت له وهو صبي معهما قصة حين اسلم على يد سيده فاسلم ابوه ايضا . فالكرخي من صلحاء الشيعة .

قال سري السقطي وكان تلميذا له : رايت معروفا الكرخي في النوم كانه تحت العرش والباري جلت قدرته يقول لملائكته من هذا ؟ وهم يقولون انت تعلم . فقال هذا معروف الكرخي سكر من حبي فلا يفيق الا بلقائي .

فالكرخي من طلائع المحبين في التصوف .

مر معروف بسقـاء وهو يقول رحم الله من يشرب فتقدم وشرب وكان صائما فقيل له : الم تك صائما ؟ قـــال : بلى ولكن رجوت دعاءه .

وقيل له في مرض موته : اوص فقال : اذا مت فتصدقوا بقميصي فاني اريد ان اخرج من الدنيا عريانا كما دخلتها عريانا .

وتوفي سنة 200 وقيل 201 وقيل 204 ه ببغداد وقبره مشهور بها يزار . قال السلمي : كان من جملة المشائخ وقدمائهم والمذكورين بالورع والفتوة اسلم على يد علي بن موسى الرضا وكان بعد اسلامه يحجبه . فازدحم الشيعة يوما على باب علي بن موسى فكسروا اضلع معروف فمات ودفن ببغداد .

ومن اقواله : ما اكثر الصالحين واقل الصادقين في الصالحين ؟

وقال : غضوا ابصاركم ولو عن شاة انثى .

وسئل عن المحبة فقال : المحبة ليست من تعليم الخلق انما هي من مواهب الحق وفضله . وقال : (للفتيان) علامات ثلاث : وفاء بلا خلاف ومدح بلا جود وعطاء بلا سؤال .

ابو نصر بشر بن الحارث المعروف بالحافي

(150 ـ 226 ه) 767 ـ 840 م

اصله من مرو اشتهر بالتقوى والورع وسلوك الطريقة سكن بغداد وكان من اولاد الرؤساء والكتاب .

---

(1) علي بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن علي الحسين بن علي بن ابي طالب الهاشمي . كان سيد بني هاشم وكان المامون يعظمه ويجله وعهد اليه بالخلافة واخذ له العهد . مات مسموما سنة 203 ه !

ولقب بالحافي لانه جاء الى اسكاف يطلب منه شسعا لاحدى نعليه وكان قد انقطع فقال له الاسكاف ما اكثر كلفتكم على الناس؟ فالقى النعل من يده والاخرى من رجله وحلف الا يلبس نعلا بعدها

ويحكى انه اتى باب المعافي بن عمران فدق عليه الحلقة (حلقة الباب) فقيل : من؟ فقال بشر الحافي فقالت بنت من داخل الدار . لو اشتريت نعلا بدانقين لذهب عنك اسم الحافي ! قال بعضهم : سمعت بشرا يقول لاصحاب الحديث : ادوا زكاة هذا الحديث قالوا وما زكاته ؟ قال اعملوا من كل مائتي حديث بخمسة احاديث .

وروى عنه سري السقطي وجماعة من الصالحين . وكان لبشر ثلاث اخوات وهن مضغة ومخة وزبدة وكن زاهدات عابدات ورعات .

قال بشر تعلمت الزهد من اختي .

وتوفي سنة 226 بمدينة بغداد .

الحارث بن اسد المحاسبي

.... (243 هـ) 857 م

اصله من البصرة جمع علم الظاهر والباطن . اشتهر بالمحاسبي لانه كان يحاسب نفسه كثيرا . ورث عن ابيه سبعين الف درهم فلم

ياخذ منها شيئا قيل لان اباه كان يقول بالقدر فرأى من الورع ان لا ياخذ ميراثه وقال : صحت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه إنه قال « لا يتوارث اهل ملتين شتى » ومات.وهو محتاج الى درهم ؟

الف كتاب (التوهم) وصف فيه الجنة والنار وصفا ماديا ساذجا والظاهر انه قد الفه في الصغر .

اما كتابه (الرعاية) فهو آية في تصوير محاسبة الانسان نفسه عن خطواته وحركاته وسكناته .

قال الجنيد : كان المحاسي يجيئني الى منزلنا فيقول اخرج معي فاذا حصلت معه في المكان الذي يجلس فيه قال لي سلني فاقول له ما عندي سؤال اسالك . فيقول لي سلني عما يقع في نفسك فتنهال علي السؤالات فاساله عنها فيجيبني عليها للوقت ثم يمضي الى منزله فيعملها كتبا ؟

وقال اخيار هذه الامة الذين لا تشغلهم اخرتهم عن دنياهم ولا دنياهم عن اخرتهم .

سئل عن العقل ما هو ؟ فقال : نور الغريزة مع التجارب يزيد ويقوى بالعلم والحلم وتوفي سنة 243 .

قال السمعاني : كان الامام احمد ابن حنبل يكرهه لنظره في

علم الكلام وتصنيفه فيه وهجره فاستخفى من العامة فلما مات لم يصل عليه الا اربعة نفر .

ظهور الاعتقاد بالحلول

قال السراج الطوسي[1] بلغني عن ابي حمزة[2] الصوفي انه دخل دار حارث المحاسبي وكان للحارث دار حسن وثياب نظاف وفي داره شاه مرغ . فصاح الشاة مرغيا فشهق ابو حمزة شهقة وقال: (لبيك يا سيدي) قال : فغضب الحارث وعمد الى سكين فقال : ان لم تتب من هذا الذي انت فيه ذبحتك ، قال فقال له ابو حمزة : انت اذا لم تحسن ان تسمع هذا فما هذا الذي انت فيه ؟ فلم لا تاكل النخالة بالرماد ؟ إيش بينك وبين اكل الطيبات والتوسع في الدار والثياب؟ يريد بذلك ان انكارك على شبه احوال المريدين والمبتدئين مع توسعك على نفسك وبسطك في الدخول في السعات يشبه حال الانبياء والصديقين » الذين لا يضرهم الدخول في السعات » !

قال السراج : سمعت ابا علي الروذباري يقول اطلق على ابي

---

[1] اللمع ص 495

(2) هو ابو حمزة الخرساني من اقران الجنيد وابى تراب النخشي توفي سنة 290 (902 م) ترجم له في طبقات السلمي وفي الرسالة القشرية ولا يوجد فيهما من اقواله ما جاء في اللمع ص 495 .

حمزة انه حلولي وذلك انه كان اذا سمع صوتا مثل هبـــوب الـرياح وخرير الماء وصياح الطيور فكان يصيح ويقول لبيك ؟ فركـوه بالحلول لبعد فهمهم في معنى اشاراته .

وفي هذه الرواية ما يفهم منه :

1) ان المحاسبي كان في سعة ونعمة على خلاف اصحابه .

2) وان الاراء الحلولية كانت قبل ظهور الحلاج .

ذو النون « ابو الفيض ثويان المصري »

توفى (245 هـ) 859 م

ويعرف بذي النون الحكيم الصوفي . اشتهر بالعلم والورع والادب والحال . وهو معدود في جملة من روى الموطأ عن الامام مالك

كان ابوه نوبيا وقيل من اهـل اخميم مولى لقريش . وكان رجلا نحيفا تعلوه حمرة ليس بابـيض اللحية ، وشيخـه في الطريقـة شقران العابد [1] .

---

(1) هو ابو علي شقران من علماء القيروانـ كان عالما بالفرائض والحساب والحديث وكان مؤاخيا للبهلول روى عنه سحنون وعون بن يـوسف وكان وحيد زمانه في الزهد والـورع وكان ينطق بالحكمة ويعده السلمي من شيوخ ذي النون المصري ترجم له في رياض النفوس ج 1 ص 222 وفي المعالم جزء 1 ص 208 ويظهر ان اجتماع ذي النون بشقران كان عند مالك بالمدينة او عند مرور شقران بمصر وهو ذاهب او راجع من الحج .

ومن كلامه اذا صحت المناجاة بالقلوب استراحت الجوارح

وقد سعوا به الى المتوكل فاستحضره من مصر فلما دخل عليه وعظه فبكى المتوكل ورده مكرما .

وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص 232) ناقلا عن السلمي من كتابه (المحن) ان ذا النون اول من تكلم بمصر في ترتيب الاحوال ومقامات اهل الولاية فانكر عليه عبد الله بن عبد الحكم وكان رئيس مصر ومن جملة اصحاب مالك بن انس وقال عنه انه احدث علما لم يتكلم فيه السلف . فدعاه امير مصر وعرف عنه المتوكل فاستحضره الخ ...

وقال اسحاق بن ابراهيم السرخسي بمكة سمعت ذا النون وفي يده الغل وفي رجليه القيد وهو يساق الى المطبق والناس يبكون حوله وهو يقول هذا من مواهب الله ومن عطاياه وكل فعاله عذب حسن طيب ! .

وقال ابن النديم في الفهرست [1] كان متصوفا وله اثر في الصنعة وله كتب مصنفة فمن كتبه كتاب الركن الاكبر وكتاب الثقة في الصنعة (اي الكيميا)

---

(1) ص 503 طبع مصر .

ابو الحسن سري السقطي

. . . (251 هـ) 865 م

احد رجال الطريقة وارباب الحنيفة كان في زمانه وحيدا في الورع وعلوم التوحيد وهو (خال) ابي القاسم الجنيدي واستاذه وكان تلميذا لمعرف الكرخي .

قال الجنيدي : اتت عليه ثمان وتسعون سنة ماريء مضطفعا الا في غسله وفي علة الموت .

كان السقطي تاجرا في بغداد قبل انقطاعه . وحكى عن نفسه فقال : منذ ثلاثين سنة وانا في الاستغفار من قولي مرة (الحمد لله) قيل له وكيف ذلك ؟ قال وقع حريق ببغداد فاستقبلني واحد وقال : نجا حانوتك . فقلت الحمد لله . فانا نادم من ذلك الوقت على ما قلت حيث اردت لنفسي خيرا من الناس . وكان محبا من المحبين كثيرا ما ينشد :

اذا ما شكوت الحب قالت كذبتني

فمالي ارى الاعضاء منك كواسيا

فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشا

وتذهل حتى ما تجيب المناديا

وكانت وفاته ببغداد سنة 251 وبجانب قبره قبر الجنيد .

قال السري : ما ارى لي على احد فضلا ـ وقيل له « ولا على المخنثين » ! ؟

قال ولا على المخنثين[1] .

وقـال : من أراد ان يسلم دينه ويستريح قلبه وبدنه ويقل غمه فليعتزل الناس لان هذا زمان عزلة ووحدة .

وقال اربعين اخلاق الابدال : استقصـاء الورع وتصحيح الارادة وسلامة الصدر للخلق والنصيحة لهم .

ويقول : كل الدنيا فضول . الا خمس خصـال خبز يشبعه وماء يرويه وثوب يستره وبيت يكنه وعلم يستعمله .

وله في المحبة ـ اللهم ما عذبتني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب

وقال : الادب ترجمان العقل .

وله من قلة الصدق كثرة الخلطاء .

وله : حسن الخلق كـف الاذى عن الناس واحتمال الاذى عنهم بلا حقد ولا مكافاة .

---

(1) طبقات السلمي ص 50

قيل له كيف انت فقال :

(من لم يبت والحب حشو فؤاده
لم يدر كيف تفتت الاكباد)

ابو يزيد طيفور البسطامي

(... 261 هـ) 874 م

كان جده مجوسيا ثم اسلم وكان له أخوان زاهدان عابدان ايضا . (آدم وعلي) وكان ابو يزيد اجلهم .

وكان ابو يزيد من كبار الصوفية في بغداد وهو يعد في طليعة من تطورت الصوفية باشاراته وشطحاته وهذا ما نجده مدونا عنه في كتاب (اللمع) الذي تصدى صاحبه (السراج) للدفاع عنه وتاويل اقواله لتخريجها على مخرج حسن . ويظهر من كلام السراج ان الجنيد (سيد الطائفة الصوفية) قد الف كتابا فسر فيه كلام ابي يزيد البسطامي وما كانت له من اشارات في شطحاته [1] .

يقول السراج : مما ينتقد على ابي يزيد قوله : رفعني (الله) مرة فاقامني بين يديه وقال لي (يا ابا زيد ان خلقي يحبون ان يروك)؟

---

(1) اللمع ص 461

فقال : زيني بوحدانيتك والبسني انانيتك وارفعني الى احاديتك ؟

ويقول السراج [1] .

كان ابن سالم بالبصرة يكفره من قوله : سبحاني سبحاني ؟.

فان سيوح وسبحان اسم من اسماء الله تعالى الـذي لا يجوز ان يسمى به غير الله واجتاز ابو يزيد بمقبرة اليهود فقال : معذرون ومر بمقبرة المسلمين فقال : مغرورون !

ويحكى السراج انه قد جرى بينه و بين ابن سالم الخوض في كلام ابي يزيد وسمع منه ان سهل بن عبد الله قال : ذكر الله تعالى باللسان (هذيان) وذكر الله بالقلب (وسوسة) ؟ وانه قال : مولاي لا ينام وانا لا انام ! وقد اول كلامه هذا ولم ينتقده .

والذي يستفاد من كلمات البسطامي انها كانت بداية القول بما يشبه الحلول وان الحلاج قد كون امتداد المذهب البسطـــامي وان المحنة التي اصابت الحلاج قد هيأها ابو يزيد البسطامي عن غير عمد ولكنهـا كانت اول مفاجـأة وجدت من اصحـــابه الاقوياء من عالجها بالتاويل والتخريج والتبرير كصاحبه سيد الطائفة (الجنيد) وغيره من اهل السنة .

---

(1) اللمع ص 472

وفي تذكرة الاولياء (انه كان يتكلم يوما عن (الحق) فامتص شفتيه وقال : انا الشارب والشراب والساقي .

وقال : خرجت من (بايازيديتي) كما تخرج الحية من جلدتها ونظرت فاذا العاشق والمعشوق والعشق واحد ! لان الكل واحد في عالم التوحيد .

وقال العارف همه ما يامله والزاهد همه ما ياكله ؟ .

وقال : اطلع الله على قلوب اوليائه فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفا فشغلهم بالعبادة .

وقال المناوي عنه : كان ابن عربي يسميه با يزيد الاكبر ويلقبه بالقطب الاكبر وغوث زمانه .

ونقل عنه انه قال : سبحاني وما في الجنة الا الله . ما النار ؟ اجعلني من اهلها والا اطفاتها . ما الجنة الا لعبة الصبيان . هب هؤلاء اليهود ما هؤلاء حتى تعذبهم ؟ ويقال قال هذا في حالة سكره . وهذا ما ذهب اليه ابن عربي من بعد وقال لا اريد من الله الا الله [1]

والكرامات عنده في التجليات ومكارم الاخلاق وكان يحذر اصحابه من الاعجاب بها .

توفي سنة 261 وقد جاوز السبعين .

---

[1] الكواكب الدرية ص 300 مخطوط .

عقيـدة الحلـول
لا تقتصـر على الحـلاج

بدعة القول (بالحلول) اعتقدها طوائف من المسلمين كاتباع عبد الله ابن سبا وهم الذين اللهوا علي ابن ابي طالب .

وفي وسط القرن الثالث تسربت لبعض الصوفية الكبار كابي يزيد البسطامي وابي حمزة الخرساني ثم الحلاج .

ظهرت عند ابي يزيد في كلمات واشارات مجملة وفي شطحاته الغامضة الا انها لا تخرج عن (الوحدة) و (الحلول) و (الفيض) وهي للحلول اقرب .

وابو حمزة الخراساني وكان من اقران الجنيد وتوفى سنة 290 ه وهو صوفي قال عنه السراج في كتابه اللمع : « بلغني عن ابي حمزة انه دخل دار (حارث المحاسبي) وكان لحارث دار حسن وثياب نظاف وفي داره شاة مرغ .

فصاح الشاه مرغيا فشهق ابو حمزة شهقة وقال : لبيك يا سيدي ؟ فغضب المحاسبي وعمد الى سكين وقال : ان لم تتب من هذا الذي انت فيه اذبحك فقال له ابو حمزة : انت اذا لم تحسن ان تسمع هذا ! فما هذا الذي انت فيه ؟ ولم لا تاكل النخالة بالرماد ؟[1]

---

(1) اللمع ص 495

وقال السراج سمعت ابا علي الروذباري يقول : اطلق على ابي حمزة انه حلولي وذلك انه كان اذا سمع صوتا مثل هبوب الرياح وخرير الماء وصياح الطيور فكان يصيح ويقول « لبيك » فرموه (بالحلول) .

ثم ظهرت عقيدة الحلول في فلسفة الطائفة الاسماعيلية واستقل بها ايمتهم واعتقدوا عصمتهم . وفي رسائلهم (اخوان الصفاء) نصوص تشير الى هذا منها قولهم في وصف الله عز وجل « هو الفائض منه وجود الموجدات وهو المظهر صور الكائنات في الهيولى المبدع جميع الكيفيات بلا زمان ولا مكان بل قال كن فكان . وهو موجود في كل شيء من غير المخالطة ومع كل شيء من غير الممازجة كوجود الواحد في كل عدد[1] وفي هذا النص القول بالفيوضات وصدور العالم عن الله مع الحلولية التي يدين بها الحلاج » وهي حلولية سالمة من المزح فقد قال الحلاج (ومن قال بالمزج فقد كفر) وبلادنا التونسية تعرف هذا الحلول من بني عبيد (في رقادة والمهدية وصبرة) وهم من الشيعة الاسماعلية ونجده مذكورا في شعر مدح به محمد البديل كاتب ابي قضاعة عبيد الله الشيعي حين نزوله برقادة فقال :

---

(1) رسائل اخوان الصفاء ص 50 - 51 ج 4

حل برقادة المسيح ... حل بها آدم ونوح
حل بها احمد المصفى ... حل بها الكبش والذبيح
حل بها الله ذو المعالي ... وكل شيء سواه ريح [1]

وبينما كان الناس يترنمون بهذا الشعر في قصور (رقادة) كان الحلاج في بغداد يترنم بمثله في الشوارع وفي القصور وفي كل مكان منها حتى وهو يعذب حين شرعوا في تعذيبه وقتله .

الحلاج

هو ابو الغيث الحسين بن منصور ، بغدادي اصله من مجوس بلاد فارس . نشأ بواسط وتعلم وتصوف وامعن في رياضات الحب والمعرفة . وكان متشيعا وله صحبة بالجنيد والنوري وعمر المكي وغيرهم . سافر الى اصقاع بعيدة منها بلاد الهند . وكان متزعما متظاهرا بالكرامات وخوارق العادات وله اتباع في خراسان وفيما وراء النهر . وله املاك ودار بمدينة بغداد .

وعقيدة الحلول عنده ايمان وصراحة واصرار ؟ ولا يتورع من الافصاح عنها ولا هي عنده من قبيل « الشطحات الغامضة » فقد قال في كتابه الطواسين (ص 135) : من هذب في الطاعة جسمه . وملك نفسه ارتقى به الى مقام المقربين . فاذا لم يبق فيه من البشرية

---

(1) البيان المغرب ص 220 بيروت .

نصيب حل فيه روح الله الذي كان منه عيسى بن مريم ! وهذا ما تسبب عنه قتله . وقد كتب عليه ابن النديم في كتابه الفهرست اسرارا غريبة ، وحياة ابن النديم قريبة من حياة الحلاج . وما كان بينهما لا يفوت الخمسين سنة .

وقد قيل ان الطبري المؤرخ هو اول من دون وارخ حادث قتل الحلاج فقد انهى كتابه لحوادث سنة 302 ولم يؤرخ شيئا بعدها الا حادث الحلاج التابع لسنة 309 وتوفي الطبري في سنة 310 هـ.
وقتل الحلاج معروف وقد وصفته كتب الاخبار القديمة لا فائدة من إعادة ذكره ومن المعاصرين الذين فتنوا (بالحلاج وحياة الحلاج . وبقتل الحلاج) السيد ماسنيو المستشرق الفرنسي [1] فقد جمع له الشيء الكثير والف عنه كتابا ضخما . وطبع كتابه المعروف بـ (الطواسين) وطبع ديوان شعره وتجلياته الاول في باريس 1913 والثاني في باريس 1955 .

وكتاب الطواسين

مقسم الى :

طاسين السراج ـ طاسين الفهم . طاسين الصفـــاء . طاسين

---

(1) بلغنا نعيه في نهاية عام 1962

الدائرة . طاسين النقطة . طاسين الازل والالتباس . طاسين المشيئة طاسين التوحيد . طاسين الاسرار في التوحيد . طـــاسين التنزيه . بستان المعرفة وبعد ذلك متفرقات من (ص 56 ـ 57) وصفحـــات الكتاب منصفة نصفها للنص العربي والنصف الآخر للنص الفارسى.

مختارات من الطواسين والديوان

قال « تناظرت مع ابليس وفرعون في الفتوة فقال ابليس : ان سجدت سقط عني اسم الفتوة ».

وقال فرعون : « ان آمنت برسوله سقطت من منزلة الفتوّة »

وقلت انا : « ان رجعت عن دعواي وقولي سقطت من بساط الفتوة » « صفحة 50 »

وقال : رايت ربي بعين قلب . فقلت : من انت؟ قال : انت ص 31) .

وقال :

سبحـــان من اظهرنا سوته	سرسنـــا لاهوته الثـــاقب
ثم بـــدا لخلقـه ظـــاهرا	في صـــورة الاكل والشارب
حتى لقـد عـــاينه خلقـــه	كلحظة الحاجب بالحاجب (ص 130)

وقال :

انا من اهوى ومن اهـوى انا　　نحن روحان حللنـا بدنا
فـاذا ابصـرتني ابصرته　　واذا ابصرته ابصرتنا (ص 134)
قـل لاخوان راوني ميتا　　فبكوني اذ رأوني حـزنا
اتظنـون باني ميتكم　　لست ذاك الميت والله انـا
فاهدموا البيت فرضوا قفصي　　وذروا الكل دفينا بـينـنـا
وقميصـي مزقـوه رمـما　　وذروا الطلسم بعدي وثنـا
انا سر الحق مـا الحق انا　　بـل انا حق فـفـرق بـينـنـا
انا عين الله في الاشيا فهل　　ظاهر في الكون الا عيننا (ص184)

قـال ابراهيم بن محمد النصر ابادي : ان كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج (ص 137) .

وقال الحلاج :

دنيـا تخاذعني كاني　　لست اعـرف حـالها
ذم الاله حـرامهـا　　وانا اجتنبت حـلالهـا
مـدت الي يمينهـا　　فرددتهـا وشمالهـا
ورأيتهـا محتـاجـة　　فـوهبت جملتهـا لهـا
ومتى عرفت وصالهـا　　حتى اخاف مـلالها

(الديوان ص 80) .

وقال في وحدة الاديان :

تفكرت في الادياني جد تحقق فالفيتهـا اصلا له شعبا جمـا
فلا تطلبن للمرء دنيا فانه يصد عن الاصل الوثيق واتما
يطـالبه اصـل يعبر عنده جميع المعالي والمعاني فيفهما

(الديوان ص 84) .

وقال :

مالي وللناس كم يلحـونني سفها ديني لنفسي ودين الناس للناس

(ص 68) وبقية الديوان اشعار في وصف حالات واشارات ومقامات صوفية لا تزيد عن القول المالوف منهم . وبهذا القدر نكتـفي من اشعاره واقواله .

ولابن النديم في كتابه الفهرست اخبار عن العلاج وعـن اسماء الكتب التي الفها وذكر فيها ثمانيـة واربعين كتـابا من بينها كتاب (طاسين الازل ولجوهر الاكبر والشجرة الزيتونة النورية) هكذا سماه

حمدون القصـار النيسابـوري

... ـ 271 - 884 م

قال السلمي : هو شيخ الملامة بنيسـا بور ومنه انتشـر مذهب الملامية ، كان ابو صالح حمدون عالما فقيـــها على مذهب الثـوري

واسند الحديث . سئل عن طريق الملامة فقال . : هي خوف القدرية ورجاء المرجيئة (والقدرية تزعم ان الله لا يقدر الشر ،والخير منه والشر من الشطان . والمرجئة طائفة من القدرية يؤخرون العمل عن الايمان) . وابي عبد الرحمان السلمي صاحب الطبقات المتوفي سنة 412 ه . رسالة في خصائص هذا المذهب الجديد في التصوف (مذهب الملامة) وعلاقته بالتصوف واهل الفتوة [1] . وسنذكر شيئا منها في هذا االكتاب وللقصار اقوال تجري مجرى الحكم : قال : اصل رفع الالفة بين الاخوان حب الدنيا . وقوله : منذ علمت ان للسلطان فرصة في الاشرار ما خرج خوف السلطان من قلبي .

وقال : قعود المؤمن عن التكسب الحاف في المسالة ؟

واوصى اصحابه : اوصيكم بشيابن : صحبة العلماء والاحتمال عن الجهال .

ونصح : كفايتك تساق اليك باليسر . والتعب في الفضول ؟.

احمد بن عيسى (ابو سعيد الخراز)

... - 277 - 890 م

من اهل بغداد ، صحب ذا النون المصري والسري القطي وغيرهما .

ط مصر سنة 1945 بعناية الدكتور ابو العلا عفيفي .

يقول : كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل •

وقال : رايت ابليس في النوم وهو يمر عني ناحية فقلت له تعال مالك ؟

فقال : ايش اعمل بكم . انتم طرحتم عن نفوسكم ما اخدع به الناس •

فقلت : وما هو ؟ قال : الدنيا • فلما ولى عني التفت الي وقال: غيران لي فيكم لطيفة قلت وما هي ؟ قال صحبت الاحداث [1] قال السلمي : هو اول من تكلم في علم الفناء والبقاء • وله في الحديث اسناد •

قال ابو سعيد وقد استيقظ من نومه: اكتب ما وقع لي في هذا النوم : ان الله تعالى جعل دليلا عليه ليعرف • وجعل الحكمة رحمة منه عليهم ليؤلف .

فالعلم دليل الى الله والمعرفة دالة على الله • بالعلم تنال المعلومات وبالمعرفة تنال المعروفات • والعلم بالتعلم والمعرفة بالتعرف • فالمعرفة تقع بتعريف الحق والعلم يدرك بتعريف الخلق ثم تجري الفوائد بعد ذلك » •

---

(1) الرسالة القشيرية (ص 24) وفي طبقات السلمي ص 232 بزيادة « قال ابو سعيد وقل : من يتخلص من هذا من الصوفية » •

ويقـول من ادعى الفناء : (فعـلامته ذهاب حظه من الدنيا وآلاخرة الا من الله) طبع له اخيرا في القاهرة كتـــاب « الطريق الى الله » او « كتاب الصدق » حققها الاستاذ عبد الحليم محمود استاذ الفلسفة الاسلاميـة في كلـية اصول الدين الا ان الاستاذ لم يتعرض لوصف النسخة التي اعتمدها ولا لمن تعرض لذكر الكتاب ونسبته الى الخـراز ، ولا في اي مكتبة يوجد اصـل المخطوط الذي تم

ابو القـاسم الجنيـــد بن محمد

. . . – 397 – 909 م

الخزاز القواريري الزاهد المشور . من نهاوند . ولد ونشأ بالعراق ، كان شيخ وقته وفريد عصره ، تفقه على ابي ثور صاحب الامام الشافعي وقيل كان على مذهب سفيان الثوري . صحب خـاله السري السقطي والحارث المحاسبي و غيرهما ، وصحبه ابو العباس ابن سريج الفقيـه الشافعـي ، وكان اذا تـكلم في الاصـول والفروع اعجب الحاضرين ، ويقول هذا من بركة مجالستي ابا القاسم الجنيد.

سئل الجنيد عن العارف ؟ فقال من نطق عن سرك وانت ساكت.

وكان يقول مذهبنا امقيد بالاصول والكـتاب والسنة ، كانت في

يديه سبحة فقيل له : مع شرفك تاخذ في يدك سبحة ؟ فقال : طريق وصلت به الى ربي لا افارقه ! .

ومن اقواله : ليس من طلب الله ببذل المجهود كمن طلبه من طريق الجود !

وقال اهل المعرفة بالله يصلون الى ترك الحركات من باب البر و التقوى و هذا قول قوم تكلموا باسقاط الاعمال . وهذه عندي عظيمة والذي يسرق ويزني احسن حالا من الذي يقول هذا

وقال : اكثر الناس علما بالآفات اكثرهم آفات . وقال: مقام الغريب ببغداد بعد خمسة ايام فضول . ومن قوله : قد مشى رجال باليقين على الماء ومن مات على العطش افضل منهم يقينا .

توفي سنة 297 ه ودفن بجوار خاله السري السقطي .

ابو بكر دلف المعروف بالشبلي

... - 334 ه - (945 م)

خراساني الاصل ولد ونشا ببغداد . كان جليل الدر مالكي المذهب صحب ابا القاسم الجنيد . كانت له مجاهدات فوق الحد . وكان يبالغ في تعظيم الشرع المطهر .

دخل يوما على شيخه الجنيد فوقف بين يديه وصفق بيديه وانشد

عودوني الوصال والوصل عذب ورموني بالصد والصد صعب

زعموا حين ازمعوا ان ذنبي فرط حبي لهم وما ذاك ذنب

لا وحق الخضوع عند التلاقي ما جـزا من يحب الا يحب

وله اناشيد رقيقة في الحب الالهي.. توفي سنة 334 وعمره 87 سنة روى عنه النصر باذى قوله : التصوف التآلف والتعاطف .

قال احـدهم ـ كنت واقفا على حلقة الشبلي فجعل يبكي ولا يتكلم فقال رجل يا ابابكر ما هذا البكاء كله ؟ فـانشد يقول :

اذ عـاتبتـه او عـاتبوه شكا فعـلي وعـدد سيآتي

ايا من دهره غضب وسخط اما احسنت يوما في حياتي ؟

قيل للشبلي نراك جسيما بدينا والمحبة تضني ؟ فانشد :

احب قلبي ومـا درى بدني ولودرى ما اقام في السمن

قال الجنيد للشبلي ـ لورددت امرك الى الله لاسترحت

فقال الشبلي ـ يا ابا القاسم لورد الله امرك اليك لاسترحت

فقال الجنيد ـ سيوف الشبلي تقطر دما !

ونقل عنه انه قال ـ قلوب اهل الحق طائرة اليه باجنحة المعرفة ومستبشرة اليه بمد الاة المحبة ٠ ومن قوله ـ رفع الله قدر الوسائط

يعلو همم . فلو اجرى على الا وليـاء . ذرة مما انكشف للانبيـاء لبطلوا و تقطعوا .

قال رجل للشبلي ـ هل شـاهده احد بحقيقته ؟ فقال الحقيقة بعيدة ولكن ظنون واماني وحسبان .

والشبلي من كبـار المحبين له في الحب اشعـار دقيقة منها :

نسيت اليوم من عشقي صلاتي فلا ادري عشاتي من غداتي

ومنها : ولو اخرجته من سقمي نادى ، لهيب الشوق بي يساله ردا .

وكان متهما بعقيدة العلاج ولكنه انكر عليه التصريح وابتعد منه

وله نزعـة اشتراكية تظهر لنا من الحكاية المذكـورة عنه :

قال الشعراني في[1] طبقاته كان ابن بشار ينهي الناس عن الاجتماع به وعن الاستماع لكلامه فجاء ابن بشار يوما يمتحنه فقال ابن بشار : كم في خمس من الابل ؟ فسكت الشبلي فاكثر عليه ابن بشار فقال له الشبلي : في واجب الشرع شاة وفيما يلزم امثالنا كلها . فقال له ابن بشار هل لك في ذلك امام ؟ قال نعم قال من ؟ قال ابوبكر الصديق رضي الله عنه حين اخرج ماله كله فقال له النبيء صلى الله عليه وسلم

---

(1) الطبقات الكبرى ج 1 ص 117

ما خلفت لعيالك قال الله ورسوله فرجع ابن بشار ولم ينه بعد ذلك احدا عن الاجتماع به

ابو العباس احمد بن محمد الدينوري

... - 340 هـ (901 م)

قال السلمي :

صحب يوسف بن الحسين وعبد الله الخراز والجويري ولقى رويما وهو من افتى المشائخ واحسنهم طريقة واستقامة .

ورد نيسابور واقام بها مدة وكان يعظ الناس ويتكلم على لسان المعرفة باحسن كلام ثم رحل من نيسابور الى سمرقند ومات بها.

قال محمد بن احمد بن ابراهيم : دخلت على ابي العباس الدينوري حين اراد الخروج الى سمرقند . وقلت له : ما الذي يحملك على الخروج اليها مع ميل اهل نيسابور لك ومحبتهم اليك ؟ فانشد :

اذا عقد القضاء عليك عقدا   فليس يحله غير القضاء

فما لك قد اقمت بدار ذل   ودار العز واسعة القضاء

ويقول :

مكاشفات الاعيان بالابصار ومكاشفات القلوب بالاتصال

وقال: ان ادنى الذكران ينسى ما دونه ونهاية الذكران يغيب

الذاكر في الذكر عن الـذكر ويستغرق بمذكـوره عن الرجوع الى مقام الذكر . وهذا حال فناء الفناء .

وقال : لباس الظاهر لا يغير حكم الباطن .

وله : ان لله عبـــادا لم يستخلصهم لمعرفه فشغلهم بخدمته وله عباد لم يستصلحهم لخدمته فاهملهم .

ابو عثمان سعيد بن سلام القيرواني

(... ـ 373 هـ ـ 983 م)

قال الســـامي : ومن الصوفية ابو عثمان المغربي سعيد بن سلام من ناحية (قيروان) من قرية يقال لها (كركنت) اقام بالحرم مدة صحب ابا علي بن الكاتب وحبيبا المغري وابا عمر الرجاجي ولقي ابا يعقوب النهرجـوري وابا الحسن ابن الصائغ الدينوري وغيرهم من المشائخ . كان اوحد في طريقته وزهده لم ير مثله في علو الحال وصون الوقت وصحة الحكم بالفـراسة وقـوة الهيبة . ورد نيسابور ومات سنة 373 هـ انتهى قوله .

وابن سلاّم هذا قد يكون من احفاد يحي ابن سلام القيرواني المفسر المتوفي سنة 200 هـ ودفن بسفح المقطم بمصر . وعـــاش ولده من بعده في القيروان محمد وحفيده يحي .

وانقـل خلفهم من القيروان الى قـرية « كركنت »[1] عند ما اشتد ضغط الشيعة على اهل السنة في القيروان .

شيء من اقواله : الحكمة هي النطق بالحق - والتقوى تتولد من الخوف، لا تصحب الا امينا او معينا . فان الامين يحملك على الصدق والمعين يعينك على الطاعة .

ابو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي

... 378 هـ 988 م

كان يلقب بطاوس الفقراء عالم زاهد . وكان المنظور اليه في ناحيته في الفتوة ولسان القوم مع الاستظهار بعلوم الشريعة وكان على طريقته اهل السنة . الف كتابه المعـروف باسم « اللمع » وفي هذا الكتاب يظهر السراج وهو كسراج وهاج بعلمه وفنه الرائع وبمهارته في التصدي لاقناع المنازعين لاهل التصوف وبدفاعه الرصين وفي كتابه يظهر لك كيف هيـأ « للتصوف » مكانة احترام وتقدير . لا تقل في الاعتبار عن مكانة علماء الفقه واصول الشريعة في المجتمع الاسلامي . وفي كتـابه « اللمع » بحوث رائـعة ودقة فائقة ! اخذ عن الطوسي جعفر الخلدي والدقي والسائج وغيرهم وله سياحات ودعايات .

ويقول السلمي : كان ابو نصـر من اولاد الزهاد مـات ابوه

---

(1) في معجم البلدان (كركنت) بلد على ساحل البحر في صقلية

ســـاجدا وكان السلمي من تلاميذه وعلى السلمي تتلمذ عبد الكريم القشيري صاحب الرسالة القشيرية .

وفي مقدمة اللـمع (مطبعة السعـادة بمصر 1960) اشـارة الى ان للتصوف السني مدرستين الاولى مدرسة الامام ابو القاسم الجنيد ببغداد . والثانية مدرسة الامام ابو نصر الســراج الطوسي بنيسـابور

« ابو طالب محمد بن علي المكي الحارثي »

... ـ 386 ـ هـ 996 م

اشتهر بالصلاح والمجاهدة في العبادة ولم يكن من اهل مكة وانما كان من اهل الجبل وسكن مكة فنسب اليها . كان يستعمل الرياضة كثيرا حتى قيل هجر الطعام زمانا واقتصر على اكل الحشائش المباحة فاخضر جلده من كثرة تناولها . لقي من اهل الحديث وعلم الطريقة واخذ عنهم .

ودخل التبصرة وقدم بغداد فوعظ الناس واجتمع الناس عليه في مجـلس الـوعظ فخلط في كلامه وحفظ عنه انه قال : (ليس على المخلوقين اضر من الخالق) فتركه الناس وهجروه وامتنع من الكلام بعد ذلك وله كتب في التوحيد وله كتاب « قـــوت القلوب » طبع في اربع مجلدات وهومن اهم كتب التصوف نسج الامام الغزالي على منواله في تصنيف الاحياء .

وتوفي سنة 386 ه ببغداد ودفن بمقبرة المالكية .

ابو عبد الرحمان السلمي

(325 — 412 ه) - 936 - 1021 م

هو محمد بن الحسين ينتسب الى سليم فهو عربي مضري . ولد في نيسابور من مدن خراسان [1] .

وكان والده من شيوخ الورع والزهد صحب ابن منازل وابا علي الثقفي وهما من شيوخ الملامتية في خراسان . واخذ عنه ابو عثمان الحبري وتوفي والده سنة نيف واربعين وثلاثمائة فكفل صاحب الترجمة جده للام عمرو بن نجيد . وانصرف ابو عبد الرحمان الى دراسة الحديث والتصوف وشيخه في الحديث ابو الحسن الدافطني وفي التصوف ابو نصر السراج (صاحب كتاب اللمع) وابو القاسم النصر اباذي . ورحل مرات عديدة في سبيل المعرفة . وانجرله الثراء من جده للام كفيله (ابي عمرو نجيد) عند وفاته سنة 366 ه (976 م)

كان لابي عبد الرحمان بيت بالكتب جمع فيه ما لم يجمع من طرائف كتب الصوفية والمحدثين . وكان ينقطع في هذا البيت للقراءة والتآليف . وقد ابتدأ التصنيف في سنة نيف وخمسين وثلاثمائة .

---

[1] اشهر مدن خراسان : هراة ومرو وبلخ ونيسابور

وظل يؤلف ما يزيد عن الخمسين عاما انتج فيها ما يقارب ثلاثين كتابا [1] منها تفسير القرآن على المنهج الصوفي وكتاب طبقات الصوفية وصنف في علوم القوم سبعمائة جزء (والجزء عندهم كراسة) وله رسالة في غلطات الصوفية . قال الاستاذ نور الدين شريبة في تصديره لكتاب طبقات الصوفية وهو يصف الرسالة التي يقول صاحب الرسالة في آخرها :

وهذا كله خطا وباطل والصواب ما قاله الله تعالى : « ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي » وهي مخلوقة ليس بينها وبين الله نسب ولا مسبب الا انه خصها بلطافة الخلقة » ثم يتلو ذلك فصل في اقسام علم الشريعة وفصل آخر في الشطح ومدلوله وفصل فيه الرد على القائلين بالحلول . انتهي وله رسالة (الملامتية) وقد نشرها الاستاذ ابو العلاعفيفي سنة 1945 في القاهرة وهي رسالة قيمة

والسلمي رماه البعض من معاصريه بوضع الاحاديث للصوفية . وبعضهم قال عن تفسيره : (ان كان قد اعتقد ان ذلك تفسير فقد كفر) وسمى تفسيره بحقائق التفسير .

وبعضهم يرجعه الى مدرسة (الجنيد) التي ترفض الراي

---

(1) ذكرها نور الدين شريبة مفصلة في تصديره لكتاب « طبقات الصوفية » للسلمي

المخالف للكتاب والسنة . وان مدرسة الجنيد قام لها نظير في نيسابور وما جاورها ومن انصارها ابو نصر السراج صاحب اللمع وتلميذه ابو عبد الرحمان السلمي وتلميذه القشيري صاحب الرسالة القشرية .

وفي اخريات ايامه ابتنى للصوفية خناقاه صغيرة كانت مشهورة في نيسابور وفيها دفن وقد توفاه الله في سنة 412 ه [1] .

وهذه فقرات من تسفره للقرآن [2]

« ويسالونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا » الكهف آية 83 .

تفسيره للآية :

« قال ابن عطاء جعلنا له الدنيا طوع يده فاذا اراد طويت له الارض واذا احب قلب له الاعيان . واذا شاء مشى على الماء . واذا هوى طار في الهواء وكذا من اخلص لنا سريرته مكناه من مملكتنا يتقلب فيها كيف شاء » !

ومن تاويلات كهذه اعتقد الصوفية ان فلانا يسير بقدمية على ظهر الماء . وان فلانا رايناه يرتفع ويطير في الهواء وان الآخر يطوي المسفات البعيدة في لمح البصر ؟

(1) ملخصة من التصدير . ـ (2) وعندي منه نسخة خطية

وفي كتب المناقب تذكر هذه الكرامات بكثرة ويقولون : رايته يطير او رايته على الماء يسير !

وهذا من المبالغات الحادة فيها اما تعمد الكذب ؟ او انه من اختلاط العقل واضطراب الحس . ومن كان حاله هكذا فكيف يصدقه عاقل فيما يزعمه من المكاشفات والمعرفة بالمغيبات ؟

ابو نعيم احمد بن عبد الله الاصبهاني

336 ـ 430 هـ (947 ـ 1038 م)

كان من اعلام المحدثين دخل في الاسلام جده مهران تصوف والف ابو نعيم كتاب (حلية الاولياء) في طبقات الصوفية في عشرة اجزاء دونها على منهاج المحدثين . والف كتاب (تاريخ اصبهان) عرفه ابن خلكان ونقل منه [1]

ابو القاسم عبد الكريم القشيري

346 ـ 465 هـ (957 ـ 1072 م)

جمع بين علم الشريعة وعلم الحقيقة من اصل عربي ومن الذين قدموا خراسان توفي ابوه وهو صغير . قرأ الادب في صباه وشاء

---

(1) ص 75 ج 1 ابن خلكان (مطبعة السعادة بمصر) .

اولا ان يتعلم الحساب فحضر نيسابور على هذا العزم . فاتفق حضوره مجلس ابي علي الدقاق . فاعجبه كلامه ووقع في قلبه فرجع عن تعليم الحساب وسلك طريق الارادة .

فقبله الدقاق واقبل عليه وتفرس فيه النجابة واشار عليه بالاشتغال بالعلم فخرج الى درس ابي بكر محمد ابن ابي بكر الطوسي وشرع في الفقه حتى فرغ من تعلمه ثم شرع فتعلم (الاصول من الاستاذ ابي بكر بن فورك ثم تردد على ابي اسحاق الاسفرايني . وهو مع ذلك يحضر مجلس ابي علي الدقاق واخيرا زوجه ابنته مع كثرة اقاربها .

وبعد وفاة الدقاق سلك مسلك المجاهدة والتجريد واخذ في التصنيف وصنف « التفسير الكبير » قبل سنة 410 ه وسماه « التيسير في علم التفسير » وصنف « الرسالة » في علم التصوف ورجال الطريقة وخرج الى الحج في رفقة فيها ابو محمد الجويني والد امام الحرمين فسمع منه الحديث ببغداد والحجاز .

وكان له في الفروسية واستعمال السلاح يد بيضاء (وهي منه فتوة) وما مجالس الوعظ والتذكير فهو امامها وعقد لنفسه مجلس الاملاء في الحديث سنة 437 ه .

قال الباخرزي في كتاب (دمية القصر) في حقه : لو قرع

الصخر بصوت تحذيره لذاب ولو ربط ابليس في مجلسه لتاب ؟

قدم بغداد سنة 448 ه وحدث بها وكتبوا عنه وكان يعرف الاصول على مذهب الاشعري والفروع على مذهب الشافعي وتوفي بمدينة نيسابور سنة 465 ه ودفن بالمدرسة تحت شيخه ابي علي الدقاق الذي توفي سنة 412 ه [1] .

الامـام محمد الغزالي

(450 ـ 505 هـ ـ 1058 ـ 1111 م)

ولد بمدينة طوس كان والده فقيرا يغزل الصوف ويبعه في دكان . ولما حضرته الوفاة وصى به وباخيه احمد الى صديق له متصوف . فقام بهما ولما عجز عن الانفاق عليهما دخل الغزالي الى المدرسة لمواصلة الطلب . فكان الغزالي يقول : طلبنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله .

كان الغزالي يحفظ علمه حتى لا يتجرد منه ان سلبت منه كتب العلم .

ارتحل الى نيسابور ولازم (امام الحرمين) واخذ عنه علما كثيرا . ولما مات امام الحرمين خرج الغزالي الى العسكر قاصدا

---

(١) ملخصة عن وفيات الاعيان .

للوزير نظام الملك • فولاه التدريس بمدرسة ببغداد وامره بالتوجه اليها . فقدم بغداد سنة 484 ه ودرس بالنظامية فاعجب الناس حسن كلامه وكمال فضله وفي سنة 488 ه استناب اخاه احمد في التدريس وخرج الى الحج وفي رجوعه عاد الى دمشق واعتكف في زاويته بالجامع الاموي . ولبس الثياب الخشنة • وقلل طعامه وشرابه واخذ في تصنيف (الاحياء) وصار يطوف المشاهد ويزور الترب والمساجد ويأوى الى القفار ويجاهد نفسه ويكلفها مشاق العبادات •

ثم رجع الى بغداد وعقد بهـا مجلس الوعظ وتكلم على لسان اهل الحقيقة وحدث بكتابه « الاحياء » ثم عاد الى خرسان ودرس بالمدرسة النظامية بنيسابور مدة يسيرة ورجع الى طوس واتخذ الى جانب داره مدرسة للفقهاء وخانقاه للصوفية ووزع اوقاته وتوفي سنة 505 ه

كان الغزالي في بغداد يطالع كتب الفلسفة مما ألفه الفرابي وابن سينا وغيرهما والف اثر ذلك كتابه « مقاصد الفلاسفة » وسلك فيه سبيل الحياد ثم الف (تهافت الفلاسفة) لابداء شكوكه في قيمة العلم وبراهينه المنطقية • وبلغ به الشك الى درجة جعلته يعتزل التدريس ويترك الاهل والولد والمال ويخرج من بغداد سنة 488 ه بعد اتمام تهافت الفلاسفة . والغزالي الف كتبا اخرى منها معيار

النظر في المنطق ثم ميزان العمل في الاخلاق وآخرها ما الفه عن شكوكه وخروجه من مرض الحيرة والشك في كتابه القيم « المنقذ من الضلال والموصل الى ذي العزة والجلال » .

قال ابن العماد : ان القاضي ابا بكر ابن العربي قال : رايت الامام الغزالي في البرية وبيده عكازه وعليه مرقعة وعلى عاتقه ركوة وقد كنت رايته ببغداد يحضر مجلس درسه نحو اربعمائة عمامة من اكابر الناس وافاضلهم ياخذون عنه العلم .

قال : فدنوت منه وسلمت عليه وقلت له يا امام اليس تدريس العلم ببغداد خير من هذا ؟

قال : فنظر الي شزرا وقال : لما طلع بدر السعادة في فلك الارادة وجنحت شمس الوصول في مغارب الاصول :

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل وعدت الى تصحيح اول منزل
ونادت في الاشواق مهلا فهذه منازل من تهوى رويدك فانزل
غزلت لهم غزلا رقيقا فلم اجد لغزالي نساجا فكسرت مغزلي[1]

والذي يريد ان يفهم الغزالي وكيف برح به مرض الشك حتى كاد ان يقتله فليقرأ كتابه « المنقذ من الضلال » ففيه ان

---

(1) شذات الذهب ج 4 ص 13 ـ .

« الشك » قد زعزع عقيدته حتى تداعت صحة بدنه ولزم فراش المرض الى ان من الله عليه باليقين فصح ونهض من فراش المرض الى التصوف دون غيره . والمفهوم من قوله هذا انه لو لم يكن له قلب عامر بالايمان من قبل لما استطاع التخلص من الشك (المنطقي) الى اليقين (التصوفي) بالسهولة التي ذكرها

اما كتابه الاحياء فلو انه لم يكن ولم يظهر لما فقد علم الصوف شيئا من اصوله وفروعه . فمتون هذا العلم وشروحه المستكملة قد دونت في (اللمع) و (قوت القلوب) و(الرسالة) من قبل وحتى (عوارف المعارف) الذ الف بعد الاحياء كان موضوعه في صميم التصوف بلا تهافت ولافضول . والغزالي قد اهمله الشعراني ولم يعرض لذكره في الطبقات !

واذا كان الغزالي قد سفه الفلسفة وحذر الناس منها فلانه لم يتعلم الفلسفة عن الفلاسفة انفسهم فقد اقتصر على المرور بها من بعض الكتب وشرع في الحكم عليها قال عن الفلسفة بنية الرد على اهلها سلفا ! فشمرت على ساق الجد في تحصيل ذلك العلم من الكتب بمجرد المطالعة من غير استعانة باستاذ واقبلت على ذلك في اوقات فراغي من التصنيف والتدريس في العلوم الشرعية وانا ممنوع بالتدريس والافادة الى ثلاثمائة نفس من الطلبة ببغداد !

وفي قوله هذا شيء من الاعجاب بالنفس وقد يكون من باب التحدث بالنعمة ؟

ومن يقلب اوراق المنقذ من الضلال يجد في آخره مثلثا يعرف بمثلث الغزالي ويجد عنه تنويها بشان خواصه العجيبة من تسهيل الطلق عن الحامل اذا كتب على خرقتين لم يصبهما ماء وتنظر الحامل اليهما بعينها وتضعهما تحت قدميها . قال الغزالي فيسرع الولد في الحال الى الخروج ! هذه عقلية الغزالي الذي انتهى بها الى قوله « فاطلعني الله سبحانه وتعالى بمجرد المطالعة في هذه الاوقات المختلسة على منتهى علومهم (علوم الفلاسفة) في اقل من سنتين[1] .

وقد قال عنه السبكي في طبقاته انه كان لا يعرف علم الحديث ولا علم النحو وكان معروفا (باللحن) رغم فصاحة لسانه .

والشيء الثاني ان الفلسفة في عصره قد افسدتها الشيعة الاسماعيلية ولوثتها بخليط من العقائد السخيفة البارزة في انجيلهم (اخوان الصفاء) .

ومع ذلك فلو انه كان كابن رشد في معرفة الفلسفة الاصلية لما جنح لذمها وتحقيرها يقول الغزالي ان الفقر اصلح لكافة الخلق

---

(1) المنقذ من الضلال ص 69 ط سورية سنة 1956

وافضل (ص 203 ج 4 من الاحيـاء) وان الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة (ص 204 ج 4) .

يقول في معنى الاشراق (ووحدة الوجود) عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في نهاية الاشراق والاستغراق والشمول حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات و الارض . فعـدم ظهوره سبب خفائه فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصائر والابصار بظهوره (ص 321 ج 4) .

وختم الاحيـاء (بكتاب ذكر الموت) فقـال : بسم الله الرحمان الرحيم الحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبـابرة وكسر به ظهور الاكاسرة وقصر به آمـال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق فارداهم في الحافرة فنقلوا من القصور الى القبور . ومن ضيـاء المهود الى ظلمة اللحود . ومن ملاعبة الجواري والغلمان الى مقاساة الهوام والديدان . ومن التنعم بالطعام والشراب الى التمرغ في التراب .

ويقول عن المراة والنساء

... والغـالب عليهن سوء الخلق وركاكـة العقل (ص 307)

احراق كتاب الاحياء

لما وصل كتاب الاحياء الى فاس في ولاية علي بن يوسف بن تاشفين (500 ـ 537) انتقده القاضي واعيان الفقهاء واشاروا على الامير باحراق ما وجد منه فامر بذلك واحرق ما كان منه موجودا ومنع كسبه في بلاد المغرب والاندلس[1]

وكان ذلك سنة 507 هـ

وانتقده :

ابو الوليد الطرطوشي كان منحرفا عن الغزالي وله في (الاحياء) كلام وكان سيء الاعتقاد فيه منكرا عليه[2]

ومن المنتقدين عليه :

محمد بن ابي الفرج المازري المعزوف بالذكي[3]

قال الدباغ : ان القاضي ابا عبد الله بن داوود كان يقول : شيخنا الذكي كان افقه من ابي عمران الفاسي ومن كل مالكي . رحل الى المشرق ودخل العراق وسكن اصفهان وقد جرت له فيها حروب في مطالبة (الغزالي وكان احد القائمين عليه .

ومن المكرين عليه :

---

(1) الاستقصاء ج 2 ص 67 ـ (2) الطرطوشي صاحب كتاب سراج الملوك وكتاب الحوادث والبدع ط تونس 1959 تحقيق الاستاذ الطالبي (3) ترجم له الدباغ في المعالم

عن (عنوان والدارية) ان ابا الربيع سليمـــان الاندلسي المعروف بكثير كان ينتقد كتاب (الاحياء) ويقول : متى ماتت علوم الدين حتى تحيا ؟ فانها مازالت حية ولا تزال وللدكتور زكي مبارك انتقادات على الغزالي في كتابه (الاخلاق عند الغزالي) تطرف فيها الدكتور كعادته غفر الله له .

الانكار على الصوفية وعلى الغلو في الدين

قال الاوزاعي بلغني ان من ابتدع بدعة خـــلاه الشيطان والعبادة والقى عليه الخشوع والبكاء لكي يصطاد به [1]

قال يسار بن الحكم خرج رهط من القـراء منهم معضد وعمرو بن عتبة وبنوا مسجدا بالنخيلة قريبا من الكوفة فوضعوا جرارا من ماء وجمعوا اكواما من الحصبـــاء للتصبيح : ثم اقـاموا يصلون في مسجدهم ويتعبدون وتركوا النـاس . فخرج اليهم (ابن مسعود) فقالوا مرحبا بابي عبد الرحمـــان : انزل ؟ فقال : ما انا بنازل حتى يهدم مسجد (الخبال) هذا ، فهدموه .

وقال صلعم : اياكم والغلو في الدين فانما اهلك من كان قبلكم الغلو في الدين (النسائي سنن ج 2 ص 49) [2] .

---

(1) الحوادث والبدع ص 138

(2) المصدر ص 134

وكان الحسين بن علي الطبري يكره التصوف ويقول : اشتغال العالم بالعبادة فرار من العلم [3] .

الشيخ عبد القادر الجيلاني

491 ـ 561 هـ ـ (1097 ـ 1165 م)

هو عبد القادر ابن ابي صالح بن جنكي دوست ينتهى نسبه الى الحسن بن علي زاهد من الحنابلة صاحب مقامات وكرامات .

قدم بغداد وتفقه . وسمع الحديث . وكان ياكل من عمل يده . وتكلم في الوعظ . وظهر له صيت . قدم بغداد شابا وتفقه على ابي سعيد المخرمي فقه الحنابلة . وروى الحديث وسمع منه ابو سعد السمعاني وغيره . ولازم الادب على ابي زكريا التبريزي واشتغل بالوعظ الى ان برز فيه .

وصحب الشيخ احمد الدباس واخذ عنه علم الطريق .

وعقد المجلس سنة 521 واظهر الله الحكمة على لسانه . وجلس للتدريس والفتوى سنة 528 وصار يقصد بالزيارة وصنف في الاصول والفروع وله كلام على لسان اهل الطريق .

ومن اقواله : الدنيا اشتغال والآخرة اهوال ؟

---

(3) فقهاء اليمن ص 151 .

وقال : فتشت الاعمال كلها فما وجدت فيها افضل من اطعام الطعام . اود لو ان الدنيا بيدي فاطعمها الجياع .

وقال عبد الرزاق ولده : ولد لوالدي تسعة واربعون ولدا عشرون ذكورا والباقي اناث !

وقال الشعراني : كان الشيخ عبد القادر يلبس لباس العلماء ويتطيلس ويركب البغلة وترفع الغاشية بين يديه ويتكلم على كرسي عال .

وقال متحدثا عن نفسه : « قاسيت الاهوال في بدايتي فما تركت هولا الا ركبته وكنت اقتات بخرنوب الشوك وقمامة البغل وورق الخس من شاطيء النهر وكنت آخذ نفسي بالمجاهدات وكنت اتظاهر بالتخارس والجنون . وحملت الى البيمار ستان . وانام خمسة وعشرين سنة في صحراء العراق سائحا .

رجل يرى الله ببصره !

ورفع له شخص ادعى انه يرى الله عز وجل بعيني راسه فقال له احق ما يقولون عنك ؟ فقال نعم فانتهره ونهاه عن هذا القول واخذ عليه ان لايعود اليه . فقيل للشيخ امحق هذا ام مبطل ؟ فقال هذا محق ملبس عليه وذلك انه شهد ببصيرته نور الجمال ثم خرق

من بصيرته الى بصره لمعة فراى بصره ببصيرته • وبصيرته يتصل شعاعها بنور شهوده فظن ان بصره راى ما شهده ببصيرته وانما راى بصره ببصيرته فقط وهو لا يدري؟

سئل عن الدنيا فقال اخرجها من قلبك الى يدك فانها لا تضرك •

ومن اصحابه عدى بن مسافر وكان من كبار الصوفية بعده. وله مواعظ واشارات وفي الحديث عنه خرافات لا فائدة من ذكرها[1]

واجتمع ابو مدين دفين تلمسان بالشيخ عبد القادر في مكة ولبس الخرقة من يديه واخذ طريقه ورجع ابو مدين الى افريقية فاجتمع به في تونس عبد العزيز المهدوي وابو علي النفطي والطاهر المزوغي وابو يوسف الدهماني واخذوا عن ابي مدين (القادرية)

مثال من كلامه في التوسل والادعية والاذكار

(ورد) الجلالة للشيخ عبد القادر الجيلاني

هو ان تقرا اسم الجلالة (الله) 166 مرة وبعد القراءة تقسم عليها بهذا القسم وهو بسم الله الرحمان الرحيم اللهم اني اسالك بالالف القائم الذي ليس قبله سابق وباللامين اللتين طمست بهما الاسرار

---

(1) عن فوات الوفيات والطبقات الكبرى

وجعلتهما بين العقل والروح واخذت عليهما العهد الواثق وبالهاء المحيطة بالعلوم الجوامد والمتحركة والصوامت والنواطق ...

حزب الحمد للجيلي (2)

بسم الله الرحمان الرحيم الحمد لله رب العالمين حمدا يفوق ويعلو ويفضل حمد الحامدين رب الاولين والاخرين حمدا يكون له رضى ولنا حفظا وذخرا عند رب العالمين الرحمان الرحيم الذي دحا الاقاليم واختار موسى الكليم واحيى العظام وهي رميم وسمي نفسه الرحمان الرحيم فهما اسمان كريمان عظيمان جليلان رحيمان شريفان شفاء لكل سقيم ودواء لكل عليل وغنىً لكل عديم مالك يوم الدين ليس له في الملك منازع ولا قرين . ولا نظير ولا شريك ولا وزير ولا معين بل كنت قبل وجود العالمين اجمعين احاطتنا من جميع الشياطين وسطوة السلاطين وعوننا على الاقربين والابعدين ووجهتنا الى الاجناس المختلفين. اياك نعبد الله بالاقدار ونعترف بالذنوب والعجز والتقصير ونخجل من الذنوب ونستغفرك من جميع الذنوب والاثام ونشهد الا اله الا انت وحدك لا شريك لك ونشهد محمدا عبدك ورسولك ونبيك وصفيك صلى الله عليه وسلم .

---

(2) ص 60 من مجموع احزاب طبع المطبعة الرسمية التونسية 1303 هـ

السهروردي المقتول (شهاب الدين يحي بن حبش)

549 ـ 586 هـ (1154 ـ 1190 م)

فيلسوف واديب وعالم صوفي مشهود له بحدة العقل والبراعة ونفود البصيرة كان صديقا لفخر الدين المارديني الذي قال عنه « ما اذكى هذا الشاب وافصحه لم اجد احداً مثله في زماني الا اني اخشى عليه لكثرة تهوره واستهتاره وقلة تحفظه ان يكون ذلك سببا لتلفه » فارق السهروردي اصحابه سنة 579 هـ وخرج من الشرق الى حلب وناظر بها الفقهاء وتفوق عليهم فكثر تشنيعهم عليه فاستحضره السلطان الملك الظاهر ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن ايوب واستحضر الاكابر من المدرسين والفقهاء والمتكلمين ليسمع ما يجرى بينهم وبينه من المباحثات والكلام فبان له منه فضل عظيم وعلم باهر وحسن موقعة عند الملك الظاهر وقربه وصار مكينا عنده واختص به فازداد تشنيع اولئك عليه وعملوا محاضر بكفره وسيروها الى دمشق الى الملك الناصر صلاح الدين وقالو ـ « ان بقي هذا فانه يفسد اعتقاد الملك الظاهر (ابن صلاح الدين) وكذلك ان اطلق فانه يفسد اي ناحية كان بها » .

فبعث صلاح الدين الى ولده الملك الظاهر بحلب كتابا في حقه بخط القاضي الفاضل يقول فيه لا بد من قتل هذا الشهاب

السهروردي ولا سبيل انه يطلق ! ولما تحقق السهروردي من انه سيقتل اختـــار انه يترك في مكـــان مفرد ويمنع من الطعام والشراب وتم له ذلك وتـوفي سنة 586 ه وعمره 38 سنة ودفن بظـاهر حلب .
كان رث الملابس وصفه احد اصحابه فقال - وهو لابس جبة قصيرة مضربة زرقاء وعلى رأسه فوطة مفتولة وفي رجليه زربول .

وله من الشعر تلك القصيدة المشهورة بطالعها :

ابداً تحـن اليكم الارواح   ووصـالكم ريحانها والـراح

وقال عن حقيقة موته !

قل لاصحـابي راوني ميتـــا   فبكوني اذا راوني حـزنا
لا تظنـوني بـــاني ميــت   ليس ذاك المـيت والله انا
انا عصفور وهـذا قفصي   طـرت عنه فتخلى رهنـــا
وانا اليوم اناجـي مـــلا   وارى الله عيـــانا بـينا
لا ترعكم سكرة الموت فما   هي الا الانتقـال من هنـا
عنصر الارواح فينا واحد   وكذا الاجسام جسم عمنا
مـا ارى نفسي الا انتـم   واعتقادي انكم انتم انا [1]

وله مؤلفات عديدة اهمها كتاب (حكمة الاشراق) قـال

---

[1] ح 2 ص 170 عيون الانباء والقصيدة مماثلة لقصيدة الحلاج

عنه السهروردي نفسه : كان في الفرس امة يهدون بالحق وبه كانوا يعدلون حكماء فضلاء غير مشبهة المجوس قد احيينا حكمتهم النورية الشريفة التي يشهد بها ذوق افلاطون ومن قبله في الكتاب المسمى بحكمة الاشراق وما سبقت الى مثله » وفي موضع آخر يذكر ارباب الحكمة التي اراد ان يحييها ويقول : « واودعنا علم الحقيقة كتابنا المسمى « بحكمة الاشراق » احيينا فيه الحكمة العتيقة التي مازالت ائمة هند وفارس وبابل ومصر وقدماء يونان الى افلاطون يدورون عليها ويستخرجون منها حكمتهم وهي الخميرة الازلية» والسهروردي يقسم الحكماء الى فيئتين فئة الاشراقيين ومنهم الفرس واليونان حتى افلاطون وفئة المشائين من ارسطو واتباعه ويضم اليهم علماء الكلام(2)

والمراد بذلك منه انه لا يعد ارسطو ومن تبعه من الاشراقيين لانه منطقي !

وما كتبه وترجمه عن السهروردي الدكتور عبد الرحمان بدوى في كتابه (شخصيات قلقة في الاسلام) فهو غير واضح .

التصوف يصل الى حده من الكمال

قبل ان تنتهي المائة الرابعة استقل التصوف والتأمت اجزاؤه متناسقة الاصول والفروع . وظهر مدونا في كتب شيوخه المبرزين

(2) ص 43 نصوص ودروس ط بيروت !

مثل الطوسي في كتابه (اللمع) وابي طالب المكي في (قوت القلوب) وابي نعيم في (حلية الاوليـــاء) والسلمي في (طبقاته) وفي تفسير القرآن والقيشري في (الرسالة) وما اشبه الرسالة القشيرية برسالة ابن ابي زيد في الفقه المالكي . فكلاهما عمد الى التخليص من المطـولات بالنسبة لعلمه تيسيرا لفهمه وكسبه للطلاب .

ومعنى ذلك الامام ان الامـــام الغزالي لم يظهر في التصوف بكتابه (الاحيـاء) الا بعد نضج التصوف واستكماله فتناوله سهلا ميسرا ؟ فهو كما قال المنفلوطي عن حافظ « هو شاعر ماهر لا غني قادر » .

والصوفية كانو يتتبعون بطريق التحدي خطوات علمـاء الفقه وتقعيدهم لقواعده . فنسجوا على منوالهم في التمحيص والاستنتـاج والتعليل والتاويل والفوا كتبهم على نسق متشابه باساليب الفقهاء في التدوين قال السراج الطوسي : « وانما انكر علم التصوف جماعة من المترسمين بعلم الظـاهر لانهم لم يعرفوا من كتـاب الله تعالى ولا من اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما كان في الاحكام الظـاهرة وما يصلح الاحتجاج على المتخـالفين . والناس في زماننـا هذا الى مثل ذلك امين لانه اقرب الى طلب الرئاسة واتخاذ الجاه عند العامة والوصول الى الدنيا . والتصوف علم الخصوص ممزوج نالمـرارة والغصص فمن

اجل ذلك ترك العلماء هذا العلم واشتغلوا باستعمال علم يخف عليهم المؤن ويحثهم على التوسع والرخص والتاويلات [1]

ويقول متحديا : « وللصوفية مستنبطات في علوم مشكلة على فهوم الفقاء والعلماء لان ذلك لطائف مودعة في اشارات لهم تخفى في العبارة من دقتها ولطافتها . فالصوفية متخصصون بحل هذه العقد » [2]

واخيرا يعلن عن استقلال علم التصوف ويقول : فللفقهاء خصوصية لا يشاركهم فيها رجال الحديث . ولهؤلاء خصوصية . وللصوفية اختصاص بعلم التصوف يستقلون به كاستقلال الآخرين بعلومهم .

وكتاب « اللمع » كتاب علم ونقد وعرض وتحليل الف في منتصف المائة الرابعة وقد اثبت فيه صاحب (الطوسي) سلم الصعود بالمريد الى الفناء في الله سبحانه هكذا .

١ ـ مقام التوبة : وهي الرجوع من كل شيء ذمه العلم والدين وهو يقتضى الورع

2 ـ الورع : ترك للشيء اذا رابك وهو يقتضي الزهد

3 ـ الزهد : هو اول قدم القاصدين الى الله ويقتضي الفقر

4 ـ الفقر : اول منزلة من منازل التوحيد والفقير لا يسال وياخذ

---

(1) اللمع ص 3: (2) اللمع ص 23

بدون ان يسال ويقتضي الصبر .

5 ـ مقام الصبر : التحمل لما هو كائن بدون جزع وهو يقتضي التوكل .

6 ـ التوكل : ترك تدبير النفس والانخلاع عن الحول والقوة بالاعماد على الله ويقتضي الانس .

7 ـ الانس : ارتفاع الحشمة مع الهيبة ويقتضي الطمانينة

8 ـ الطمانينة سكون النفس لاحكام الله ويقتضي المشاهدة

9 ـ المشاهدة : لا يبقى معها في القلب الا الله (وهي وصل بين رؤية القلوب ورؤية العيان) وتقتضي اليقين .

10 ـ اليقين هو المكاشفة وارتفاع الشك (او المشاهدة ونهاية اليقين وحلاوة المناجاة وصفاء النظر الى الله لمشاهدة القلوب [1]

ولكل من هذه المقامات (احوال) والحال يطلق مثلا على مزاقبة الخواطر (القرب) و (المحبة) و (الخوف) و (الرجاء) والشوق) .

ولم يبق من كمال التصوف الا القلوب بـ (حدة الوجود) وقد اخرنا الكلام عنه والحقناه بالحديث عن الطرق وما يتعلق بالطريقة (التجانية).

---

(1) اللمع من ص 165 الى ص 104

ابو الحسن علي الاشعري

(260 ... 324 هـ) (873 - 941 م)
(270 - 330) (883)

و نيف 330

هو المتكلم صاحب القعيدة الاشعرية وصاحب الاصول القائم بنصرة مذهب السنة وقد ناصر مذهبه ابو بكر الباقلاني وايد اعتقاده . كان من اهل لاعتزال ثم ناب من القول بالعدل وخلق القرآن في المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة رقي كرسيا وناد باعلى صوته : من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا اعرفه بنفسي : انا فلان بن فلان كنت اقول بخلق القرآن وان الله لا تراه الابصار وان افعال الشر انا افعلها وانا تائب مقلع معتد للـــرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم ومعائبهم ! وبلغت مصنفاته خمسة وخمسين كتابا

قال ابن خلكان : وكان فيه دعابة ومزاح كثير وقد الف كتبا عديدة منها كتاب « اللمع » وكتاب « الموجز » وكتاب « التفصيل في الرد على اهل الافك والتضليل » وغيرها . توفي فجأة ودفن بين الكرخ وباب البصرة في مشرع الزوايا .

وكان ياكل من غلة ضيعة وقفهـــا جده (بلال بن ابي برده) وكانت نفقته في كل يوم سبعة عشر درهما (1)

وقال عنه ابو حيان التوحيدي شاهدت في مكة سنة ثلاث

---

(1) ابن خلكان

وخمسين وثلاثمائة (ابا زيد المروزي) وهو يقول : كنت اقرا الكلام على الاشعري ايام حداثتي بالبصرة فرايت في المنـــام كاني قد فقدت عيني جميعا فاستعبرت حاذقا يعبر لي الرؤيا فقال لعل هـــذا الرائى قد سلخ دينه . وفارق حقا كان عليه . وانه وضع دلائل البصر على الدين والعقيدة . قال فاستوحشت من هذه العبارة وانقطعت عن المجلس فسال عني وجد في تعرف خبري . فبينا انا على انقباض اذا جمعني وياه طريق. فبدأ بالسلام واطال طرف الحديث وشهد تغيري في الاجابة واستيحاشي من الطريقة . فقال لي عند آخـر كلامه : ان كنت تنفر من مقالتنـا التي شاهدناها وناصرناها فاحضر واقرأ اي مقالة احببت فاني ادرسها لك ! قال ابو زيد فازددت في نفسي نفورا

وكان سبب الحافه وتشدده « اني كـــنت حديث السن وكان للعين في مجال » ؟ [2]

موقف الصوفية من الفرق الاسلامية والتماشي مع الاشعرية

1 ـ الجبرية : وهم الغلاة في نفي استطـــاعة العبد قبل الفعل وبعده مع نفي الاختيـــار له ونفي الكـــسب (والجهمية منهم) .

2 ـ الجهمية : اتباع جهم بن صفوان السمرقندي هلك في سنة 128 هـ .

---

(2) البصائر والذخائر لا في حيان ص 66 ج 2 عن كتاب (ابو حيان) .

قتل بامر من نصر ابن سيار . وافق المعتزلة في نفي الصفـــات الازلية ونفي رؤية الله ويقول بخلق القرآن . وان الجنة والنار تفنيان وان الايمان (هو المعرفة فقط) دون سائر الطعات . ولا فعل لاحد في الحقيقة الا الله والانسان مكره على افعاله [1] .

3 . المرجئة : يعتقدون انه لا يضر مع الايمان معصية . كما لا ينفع مع الكفر طاعة . واخروا حكم الكبائر الى الآخرة وصاحب المذهب الحسن بن محمد المعـروف بابن الحنفية بن علي بن ابي طالب .

4 . القدرية : هم الغلاة في اثبات القدرة للعبد ويقولون انه لا يحتاج الى معاونة من الله .

5 . المعتزلة : ينقسمون الى عشرين فرقة و (الواصليـــة) منهم وهم اصحاب واصل بن عطا [2]

وجميعهم يقولون : ان الله لا يخـــلق الشر ولا يرى في الآخرة وانكروا عذاب القبر وان القرآن مخلوق محدث مع القول بالقدر.

6 . الاشـاعرة : تنتسب الى ابي الحسن علي الاشعري المنقدم ذكره وبدا انتشار مذهبه في العراق والشام من سنة 380 هـ وقد ناصره

---

[1] الفرق بين الفرق

(2) ولد بالمدينة سنة 80 ونشا بالبصرة وتوفي سنة 131 لازم الحسن البصري ثم اعتزل عنه له (المنزلين المنزلتين كان يلتغ في كلامه وعنقه طويل جدا .

صلاح الدين الايوبي والمهدي بن تومرت وكافة علماء السنة ومنهم الغزالى [1] والتاييد الاول كان من السلجوفيين ووزيرهم نظام الملك وهكذ كان الغزالي وابن تومرت وصلاح الدين من الاشاعرة بالتبعية. يقول ابن الاثير (ص163 ج8 ان الوزير نظام الملك قد ازال لعن الاشعرية من المنابر .

وعقيدته ان الله عالم بعلم وقادر بقدرة حي بحياة ومريد بارادة الخ ... وان قدرته تتعلق بجميع ما يصح وجوده .

وان لالفاظ المنزلة على لسان الملائكة هي دلالات على الكلام الازلي فالمدلول وهو القرآن المقرؤ قديم ازلي والعبارة وهي القراءة مخلوقة محدثة . وان الله اراد الخير والشر والنفع والضر وجميع افعال العباد مخلوقة مبدعة من الله مكتسبة للعبد .

والكسب هو الفعل القائم بمحل قدرة العبد .

قال الشهرستاني : [2] (ان الاشعري يقول ونثبت للعبد فعلا بالقدرة الحادثة نسمي ذلك (كسبا) والقدرة الحادثة مو ثرة في اثبات فائدة زائدة على كونه مفعولا مخلوقا للباري) تعالى وهذا من الاشعري براعة سياسة كانت وضعية المسلمين في حاجة اليها لكثرة ما اصابها من المحن وسفك الدماء والبلبلة بسبب الاختلاف في

---

(1) الخطط للمقريزي ص 358 - 309 ج 2

(2) ج ا ص 168

العقيدة : فالاشعري قد جاء . بالحل الوسط و ما كان الاشعري لينجح بهذا الحل لو بقي الاعتزال قائما ولم يقض عليه المتوكل قبل مائة سنة حتى ان البعض من اهل السنة لم يرضوا عن الاشعري كل الرضا ورأوا ان بعض تعاليمه دسائس من اصول المعتزلة ولكنها على كل حال قد قربت بين المختلفين مسافات الخلف لاسيما بين الصوفية والحنابلة في بداية الامر وقد قال الاشعري عن عقيدته (والكرمات للاولياء حق وهي من وجهة تصديق للانبياء وتاكيد للمعجزات) وقد صح السمع بان المؤمنين يرون الله في الدار الاخرى ولا يجوز ان . يرى في مكان ولا صورة مقابلة واتصال شعاع فان ذلك كله محال .»

والاشاعرة يخالفون المعتزلة في الوعد والوعيد والسمع والعقل والايمان عند الاشعري هو التصديق بالقلب والقول باللسان والعمل بالاركان .

وصاحب الكبيرة اذا خرج من الدنيا عن غير توبة محكمة الى الله ولا يخلد في النار كل ذلك فحسب السمع دون العقل . وان كرامات الاولياء حق . وان الامامة تثبت بالاتفاق والاختيار دون النص والتعيين على واحد معين . وان علي ابن ابي طالب كان على حق وكان الخوارج ومعاوية من اهل البغي .

فالاشاعرة يعترفون بالصوفية ويعتقدون ان كرامات الاولياء

حق . حتى ان المهدي بن تومرت وهو من تلاميذ الامام الغزالي قد اعترف بالصوفية وناصرهم وهذا ما ساعد على ظهور (الطرق الصوفية) في المغرب وشمال افريقيا في العهدين الموحدي والحفصي .وانتشارها بين الناس بسرعة وكثرة ومثله ما ظهر في الشرق بتاييد من صلاح الدين الايوبي . وكلاهما من انصار السنة والاشعرية ومن هنا بدا التقارب وبدأ التحالف بين الاشاعرة والصوفية وبقي الخلاف قائما بين الصوفية والخوارج والمعزلة .

الحب والتصوف

من الذي لا يعرف الحب ؟

الحب جاذبية النفس الى الجمال والكمال . وهو اظهر في حب النوع لجمال نوعه وقد يتفرع الحب فتنجذب النفس لجمال ما . يظهر بالمشاركة والشبه بنوع آخر !

وهذا كله من قبيل مايتعذر تعليله لانه من فيض الغرائز .

وفي الحب والوانه ونوادره . الفت كتب ودواوين شعرية وقصص وروايات لاتحصى ولا تعد . لكثرتها وتعدد السنتها . والانسان بلا حب حيوان جامد مارد .

ومن فروع الحب والوانه الشاذة ذلك النوع المفصل في كتاب المأدبة [1] .

وهو الحب الشريف ؟ يرى اصحابه ان من يعمر قلبه الحب السماوي يميل الى الذكور دون الاناث ؟ وان الحب الصريح انبل من الحب المستور . وان الحب الشريف يدوم ويبقى ولا يزول بسرعة .

ويمثله اليونان برسول الهي نصفه انسان ونصفه اله . وفي استطاعته ان يعبر البرزخ الذي يفصل دنيا الناس عن عالم الاله ؟

والحب اخيرا هو الرغبة في الامتلاك الدائم للخير . وسلم الحب عندهم يبدا بحب الغلمان وينتهي بحب الجمال الالهي ويظفر في النهاية بالخلود .

ولا عجب ان يعتقد اليونان في شرف هذا الحب فان حظ المراة عندهم كان منقوصا وهم ينظرون اليها بعين الاحتقار ولا يرونها الا متاعا للنسل .

ونظرية اليونان قد تاثر بها البعض من الصوفية ولهم فيها روايات ذكرها رواة المناقب في مناقبهم .

---

(1) نقلة من الانكليزية الى العربية وليم الميري ط مصر 1954 وهو يصور فلسفة افلاطون في الحب الشريف .

من ذلك ان ابراهيم ابن اسـ ـاق الحربي كان اماماً في العلم وراسا في الزهد عارفا بالفقه متبصرا في الاحكام ضابطا للحديث وله مؤلفات منها كتابه «غريب الحديث».

وقد تفقه عن الامام بن حنبل وكان يحضر مجلسه جماعة من الشبان للقراءة عليه. ففقد احدهم يوما وسال عنه مراراً والتلاميذ يقولون انه (مشغول) فقال لهم اخيرا: ان كان مريضا قوموا بنا لنعوده وان كان محبوسا سعينا لخلاصه فخبروني عن حقيقة حاله ؟ فقالوا نجلك على ذلك؟ فقال لا بد ان تخبروني فقالوا: انه ابتلى بعشق صبي فاوجم ابرهيم ساعة ثم قال: هل هذا الصبي مليح ام قبيح ؟ فعجب القوم من سؤاله مع جلالته في انفسهم. وقالوا ايها الشيخ مثلك يسال عن هـذا ؟ فقال انه بلغني ان الانسان اذا ابتلى بحب صورة قبيحة كان بلاء تجب الاستعـاذة من مثله. وان كان مليحا كان ابتلاء يجب الصبر عليه واحتمال المشقة [1]

والنهي عند الصوفية عن صحبة الاحداث معروف فقد قيل ان السري السقطي كان من المتهمين وقد قال يوما:

ما ارى لي على احد فضلا ـ فقيل له ولا على المخنثين قال: ولا على المخنثين.

---

(1) ص ٥ ج ١ فوات الوفيات.

وقال الفتح الموصلي : صحبت ثلاثين شيخا كل يوصيني عند مفارقتي اياه بترك عشرة الاحداث وقلة الاكل [1]

ومن كتب الحب المؤلفة في العربية كتاب (طوق الحمامة) لابن حزم الظاهري تكلم فيه عن الحب المتعارف بين الناس ووصف فيه حالات عجيبة وشؤون طريفة مماله وجود واقعي . فالكتاب (ظاهري) مركز على مذهب صاحبه قال في آخره « وانما اقتصرت على الحقائق المعلومة التى لا يمكن وجود سواها اصلا » .

وفي اول الكتاب انواع من المحبة متبوعة بوقائع وحكايات مثل وصفه لجماع ترغبه النساء . ووصف قصته لحب اصـــابه فوصفه وصـفا رائعا . ويذكر « ابن قزمان » وكيف امتحن بمحبة « اسلم بن عبد العزيز » حتى قضى نحبه . واشار الى مـا الفهابن قزمان في غناء زرياب واخباره .

ويقول : « في بلاد البربر قرب الاندلس لا يمنع الفاسق من قضاء حـــاجته ان جعلها بابا للتوبة » ؟ ويصف ابن حزم محبوبة له ويتفاخر بالعفة والنزاهة . كما انه تحدث على شيخه الذي كان يلازمه في صغره ويقول عنه انه كان حصورا

---

(1) عوارف المعارف ص 170 (ملحق بكتاب الاحياء) وراجع ترجمته وترجمة الخراز في كتابنا هذا

ويخبر عن ابراهيم بن سيار النظام المعتزلي انه الف لمشعوق له نصراني كتابا في تفضيل التثليث !

ويبدع في وصف خمسة من النساء كيف يزنين مع ربان مركب ركبن فيه عند رجوعهن من الحج وكيف يسعين اليه ليلا خفية عن بعضهن ؟ الى آخر ما جاء في كتابه

اما الحب عند الصوفية ففيه عناصر من الحب الافلاطوني الا انه يتجه الى السماء ؟ ومنزلة الحب في سلم الطريق الصوفي (حال) للمريد اذ ما بلغ مقام (الرضا) في سلوكه . ولهم على ذلك شواهد مؤولة من كتاب الله عز وجل ويتلون الآية « فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » والآية « يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله » .

ومن الذي لا يترنم من الصوفية بقول الشاعر :

شربت الحب كاسا بعد كاس فما نفد الشراب ولا رويت

والمحب هو الذي لا يكون عارفا (الا اذا انصرف بفكره الى انس الجبروت مستديما شروق نور الحق في سره ابدا) . قال يحي معاذ الحربي المتوفي سنة 258 : مثال خردلة من الحب احب الي من عبادة سبعين سنة بلا حب .

ومن الكتب المؤلفة في هذا الحب الالهي خاصة كتاب

(مشارق انوار القلوب) لابي زيد عبد الرحمان الدباغ التونسي المتوفي سنة 699 هـ [1] . وهو كتاب محكم في موضوعه وفي سبك العبارة واختيار النسق الرفيع . يقول : ان المحبة هي اصل جميع المقامات والاحوال) على خلاف ما يرى الطوسي وغيره .

والحب قد ذهب بعقول الكثير من الصوفية . وفي كتاب النيسابوري [2] (عقلاء المجانين) تراجم ونوادر لبعض الصوفية ممن سكنوا المارستانات .

(الخضر) بين الاسماعيلية والصوفية

قصة (الخضر) مع موسى كانت معروفة قبل الاسلام عند الاحبار والقسيسن . والمؤرخون يقولون عنها انها اسطورة ملفقة من عناصر يهودية ومسيحية تداولها الادب الديني عند السريانيين وغيرهم ثم انتقلت الى الاسلام . وقد اثارها اليهود فسالوا النبيء ﷺ عن قصة اصحاب الكهف وقالوا لقريش : ان اخبركم بها فهو نبيء والا فهو غير نبيء فذكر الله قصة موسى والخضر ليعلموا ان الانبياء لاتلزمهم المعرفة بجميع القصص .

قال الامام البخاري في تفسيره : عن ابن عباس انه سمع من

---

(1) وله كتاب (معالم الامان في علماء القيروان) ترجم له ابن ناجي في تعليقاته عليه (ج 4 ص 89) .

(2) هو ابو القاسم الحسن النيسابوري المتوفي سنة 604 هـ .

أُبيٌّ ابن كعب انه سمع رسول الله يقول « ان موسى قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل ايى الناس اعلم ؟ فقال موسى (انا) فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم عليه فاوحى الله اليه : ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك » !

فذهب موسى وفتاه الى مجمع البحرين للتعرف الى هذا الذي هو عبد من عباد الله وقد علمه الله علما ورزقه صبرا لم يتوفر منهما شيء لموسى المعظم عند الخالق والمخلوق .

وفي الآية : « فوجدا عبدا من عبادنا فاتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما » . والقصة طريفة سامية المغزى .

١ . اذ انها كانت لغرض الوعظ والتنبيه لما قد يكون لعبد من عباد الله من الحكمة والمعرفة التي قد لا تعطى من قبل الله الى الرسل والانبياء . وفي ذلك تكريم لاحد له لهذا الانسان العالم المتعلم ولو لم يكن من الرسل او الانبياء

2 . والقصة في القرآن لا تفقد روعتها من حيث هي اسطورة (كما يقولون) ما دامت قريش باغراء اليهود لاتصدق برسالة محمد ان وردت في القرآن نصوص هذه القصص القديمة على غير ما كانت عليه والاسطورة كاذب في القرآن لها وزن ولا تضر ما دامت خارجة عن

حـــدود المعتقدات والاحكام المنسوخة بالاسلام . الا ان الصوفية والعلوية المتطرفة كالاسماعيلية استخرجت من هذه الاسطورة الوعظية اساطير خرافية جديدة منها ان الخضر فرضت له حياة لا تنتهي الا بنهاية العالم ؟ ومنها انه يعلم ما في الغيب كله وهو العلم « اللدني » ومنهـا انه صوفي ينتقـل في عالم السموات والارض من جهة الى جهة اخـرى في لمح البصر ومنها انه مسخر لكل قطب ولكل عـارف صـــوفي ليجتمع به في صورة عادية متشبها بذوات وبملابس وحالات مختلفة حتى لا يتنبه اليه الناس ليتحادث معه ويسعفه بما يريد استكشافه من المغيبات .

والعجب من الصوفي انه يجهد نفسه الى حد « الفنــاء » للتخلص من شواغل الدنيا وهمومها وهو من جهة اخرى يهتم بما هو منها ومغيب عن اهلها فيستكشف الخضر عن تلك المغيبات ! ؟

القطب واعـوانه يديرون العالم ؟

اعتقد الصوفية من الاسمـــاعيلية او الاسماعيلية من الصـوفية ان شؤون العـالم مناطة بالذي يعرف عندهمـا (بالقطب) والقطب يستعين باربعة من (الاوتـــاد) وتحت تصرف الاوتاد اربعون من (الابدال) وبـدون هذا العدد المقسم كما ذكـر لايبقى لهـذا العالم نظام ولا اتزان ! وبمجرد مـوت واحد منهم يعوض حالا والقطب ينتقل بسرعة خاطفة ولا تمنعـه الحواجز امـــا الاتاد فهمها الطـواف حـول

الارض و اخبار القطب بما قد يقع فيها !

والابدال هم المبرزون في الصلاح (الصوفي) واذا مات منهم واحد عوض بآخر و في رسائل اخوان الصفاء وهي من مؤلفات الشيعية الاسماعيلية مايتفق مع كل هذا المعتقد الصوفي لفظا ومعنى من ذلك قولهم « لاتزال في هذه الامة اربعون رجلا من الصالحين على ملة ابراهيم الخليل عليه السلام » ومن هؤلاء الاربعين اربعة ابدال وان الاربعين منتقون من اربعمائة من الزهاد العارفين والاربعمائة منتقون من اربعة الآف من المؤمنين التائبين . وكلما مضى شخص من الاربعين قام في رتبته شخص من الاربعمائة »[1].

وجاء في رسائلهم : « اعلم يا اخي بان هؤلاء القوم الذين تقدم ذكرهم هم ورثة انبياء الله وخلفاء رسله في الارض وان الذي ورثوه منهم انما هو العلم والايمان والتعبد والزهادة في الدنيا والرغبة في الآخرة والاشتياق اليها » !

ويعترف اخوان الصفاء بهذا (الخضر) ومميزاته فيقولون عنه :

من معشر موحدين دينهم كدين عبد الله مولانا (الخضر)

يرون في عين النفوس ما يرى غيرهم في حسنها في المنتظر

رسائل اخوان الصفاء ج ا ص 297 ـ

في كل عصر منهم ذو دعـــوة   يجر من سفر البحار ما عبر [1]

والوسائل تردد من حين الى حين المعنى المـركز عليه اعتقاد الصوفية كقولهم (الرغبة في الدنيا مع طلب الآخرة لا يجتمعان » .

والمفهوم من هذه النصوص والمصطلحات الشائعة بين الطائفتين ان الصوفية قد وقعت في احبولة الدعاية الاسماعيلية قبل ان تظهر لها الدولة العبيدية في افريقية والفاطمية في مصر .

وبلـغ الافتتان بالخضر وعلمه (اللـــدني) ان السهروردي الصوفي قد ذكر في السر المكتوم عن الخضر فقال حدثنا الخضر بثلاثمـــائة حديث سمعه من النبيء مشافهة اورد ذلك الالوسي في تفسيره ورد على هذا الافتراء المكشوف والزيغ المفضوح .

الـــردود على هذا المعتقد

قال ابن القيم الجوزية : ان الاحاديث التي يذكر فيها الخضر وانه لا يزال حيا لا يصح منها حديث واحد ومن ادعى الصحة فعليه البـيان . اعتمدا منه على قول رســول الله ﷺ : « ان على راس مـائة سنة لا يبقى على وجه الارض احد ممن هو عليها » .

وقال ابن حجر في الاصابة [2] .

---

(1) رسائل اخوان الصفاء ج 4 ص 193 .

(2) ج ا ص 432

عن ابن دحية بان الطرق المتحدث بها عن الخضر لم يصح منها شي ولا ثبت اجتماع الخضر مع احد من الانبياء • الا مع موسى كما قص الله من خبره • ثم قال وجميع ماورد في حياته لا يصح منه شيء باتفاق اهل النقل وانما يذكر ذلك من يروى الخبر ولا يذكر علته •

وقال : واما ما جاء عن المشائخ الصوفية فهو ما ينقم منه • كيف يجوز لعاقل ان يلقى شخصا لا يعرفه فيقول له انا فلان فيصدقه ؟

ونقل الالوسي في تفسيره عن صدر الدين القونوي من كتابه « تبصرة المبتدي » : « ان الخضر عليه السلام لا يوجد الا في عالم المثال » .

الملامتية والصوفية

الملامة ضرب من النفاق المحمود ؟ تفرع عن التصوف ولكنه لم يفرض على السالك ان يتحمله مثل (المقام) فاستقلت به طائفة منهم والتزمت ان تتخلق به .

والملامة : ترك التزين بكل حال وترك رضاء الناس في نوع من الاخلاق والافعال .

فالملامي : لا يكترث بمدح الناس وذمهم ويجب عليه ان تكون حقائقه مستورة واول من تكلم في اصولها ابو صالح حمدون القصار المتوفي سنة 271 ه (884 م)

ويقول : هم قوم اظهروا للخلق قبائح ما هم فيه وكتموا عنم محاسنهم. فالخلق (يلومونهم) على ظواهرهم وهم (يلومون) انفسهم على ما يعرفونه من بواطن انفسهم. وبذلك على حد قوله : اكرمهم الله بكشف الاسرار والاطلاع على انواع المغيبات .

ومن تلاميذ القصار في الملامة والتصوف ابو عثمان الحيري المتوفي سنة 298 ه) ومحفوظ بن محمود النيسابوري المتوفي سنة 530 ه 1135 م واشتهر كثيرون من بعدهم .

قال ابن عربي : ينقسم السلوك الى ثلاثة اقسام [1]

الاول ـ العباد الذين غلب عليهم الزهد وافعال الظاهر المحمودة وتطهير النفس من مرذول الافعال .وهؤلاء لا علم لهم بالاحوال والمقامات والعلوم الدينية وان قرا احدهم شيئا مثل كتاب (الرعاية) للحارث المحاسبي وما يجري مجراه .

الثاني : وهم الصوفية الذين يرون الافعال كلها لله وان لا فعل لهم اصلا وهم مثل العباد في الورع والزهد والتوكل اهل خلق وفتوة. يظهرون في العامة بما ينالونه من الكرمات وخوارق العادات

---

[1] الفتوحات المكية ج 3 ص 45 ـ 46 عن مقدمة رسالة الملامتية ص 20 تحقيق وتقديم الدكتور ابو العلا عفيفي .

ولا يبالون باظهار اي شيء يؤدي الى معرفة الناس بمنزلتهم من الله لانهم لا يشاهدون في زعمهم الا الله .

الثالث : الملامتية وهم رجال قطعهم الله اليه وصانهم صيانة الغيرة عليهم لئلا تمتد اليهم عين فتشغلهم عن الله « لقد انفردوا مع الله راسخين لا يتزلزلون عن عبوديتهم طرفه عين ... وليس ثم من حاز مقام الفتوة والخلق مع الله دون غيره سوى هؤلاء ».

وكان للملامه ظهور في تونس فقد وصفها الشيخ عمر الراشدي مؤلف كتاب (ابتسام الغروس في مناقب الشيخ احمد بن عروس) وعرف بالملامة والملامتية . و خرج البعض من تصرفات الشيخ ابن عروس المذمومة على مذهب اهل لملامة [1] .

وفي حياة الشيخ القشاش خرج من زاويته جماعه من المريدين عراة مكشوفي العورات [2] ومروا بسوق البلاط وغيره على حالة الكشف بما ازعج الناس وقيض اليهم اعوان السلطان فادبهم السلطان وجلدهم الاعوان والمفهوم من ذلك انهم كانوا على مذهب الملامة

الفتوة

هي من اخلاق الصوفية وتمتاز بالشجاعة وبفضائل اخرى

---

(1) ص 280 مناقب سيدي ابن عروس .

(2) انظر ترجمة القشاش في كتابنا هذا .

كالمرؤة والكرم وقد رجعوا بها الى علي بن ابي طالب وبدات الفتوة بين الافراد ولم تنظم في جماعات الا في المائتين الثالثة والرابعة .

قال الحسن البصري : كان (الفتى) اذا نسك لم نعرفه بمنطقه وانما نعرفه بعلمه وهو العلم النافع .

واخيرا ظهر الكتاب الجامع القيم (كتاب الفتوة) لابي عبد الله محمد المعروف بابن المعمار المتوفي سنة 642 هـ 1244 م [1] .

وخلاصتها فيما ذكره السخاوي : « كان ابتداء الفتوة في سنة 578 1182 م (وهي الفتوة المنظمة كجيش) وذلك ان ندماء الخليفة الناصر لدين الله ابي العباس احمد بن المستضي بامر الله [2] .

حسنوا له ان يكون (فتى) واحضروا له رجلا يعرف بعبد الجبار ابن يوسف بن صالح له اتباع كثيرة ومعه ولده شمس الدين علي والبس عبد الجبار الخليفة الناصر (سراويل الفتوة) واخبره انه لبسها من شيخ الى علي بن ابي طالب .

وقد نظمها الخليفة الناصر وحرر فيها مناشير وزعت في الافاق سنة 604 هـ 1207 م وانخرط الشباب في طريقها افواجا . فكان المريد يلبس سروال الفتوة بالسند مثل الخرقة عند الصوفية .

(1) طبع ببغداد سنة 1958 - 1960 قدم له الدكتور مصطفى جواد مقدمة رائعة جمعت ما تفرق من تاريخ الفتوة وتطوراتها .

(2) ولد سنة 553 هـ وتولي الخلافة سنة 575 هـ وتوفي سنة 622 هـ

وكان للفتوة الاثر العظيم في الحروب الصليبية وقد طلب احد الامراء الالمان من الناصر الدخول في فتوته !

والفتوة في القيروان

يظهر انها كانت معروفة في القيروان وان سحنون كان يعتز بالفتيان وقد استنجد بهم في خلاف له جرى مع القائد زوكاي [1] .

وكان محمد بن سحنون الدكالي دفين سوسة يعرف (بشيخ الفتوة [2]

المرقعة والفتوة

قيل لابي عبد الله السجزى : (لما لا تلبس المرقعة) ؟ فقال من النفاق ان تلبس لباس الفتيان ولا تدخل في حمل اثقال الفتوة فقيل له ما الفتوة ؟

فقال : رؤية اعذار الخلق وتقصيرك وتمامهم ونقصانك والشفقة على الخلق كلهم برهم وفاجرهم.وكمال الفتوة هو ان لا يشغلك الخلق عن الله عز وجل [3] .

وقال السهروردي كان الفقراء يلبسون المرقع وربما كانوا

---

(1) رياض النفوس ص 282

(2) ص 41 ج 4 معالم الايمان .

(3) طبقات السلمي ص 255 وابو عبد الله السجزى ترجم له في الحلية ج 10 ص 350

ياخذون الخرق من المزابل ويرقعون بها ثوبهم . وقد فعل ذلك طائفة من اهل الصلاح وهؤلاء ما كان لهم معلوم يرجعون اليه .

فكما كانت رقاعهم من المزابل كانت لقمهم من الابواب [1] .

وقال : حكي ان جماعة من اصحاب المرقعات دخلو على بشر بن الحارث فقال لهم : يا قوم اتقوا الله ولا تظهروا هذا الزي فانكم تعرفون به وتكرمون له ؟ فسكتوا كلهم . فقال له غلام منهم الحمد لله الذي جعلنا ممن يعرف به ويكرم له . والله ليظهرن هذا الزي حتى يكون الدين كله لله [2]

وقال : مات ابو الدردا فوجد في ثوبه اربعون رقعة وكان عطاؤه اربعة الآف [3] .

لباس الخرقة

وقال : السهروردي لا خفاء ان لبس الخرقة على الهيئة التي تعتمدها الشيوخ في هذا الزمان (القرن السادس) لم يكن في زمن رسول الله ﷺ . وهذه الهيئة والاجتماع لها والاعتداد بها من استحسان الشيوخ (وهي) ارتباط بين الشيخ وبين المريد . وتحكيم

---

(1) و(2) عوارف المعارف الملحق بكتاب الاحياء ج 5 ص 179

(3)عوارف المعارف 181 ـ .

من المريد للشيخ في نفسه . والخرقة خرقتـــان خرقة ارادة وخرقة تبرك وفيهما معنى المبائعة .

فاما خرقة التبرك فيطلبها من مقصوده التبرك بزي القوم ومثل هذا لا يطالب بشروط الصحة بل يوصى بلزوم حدود الشرع ومخالطة هذه الطائفة لتعود عليه بركتهم ويتـادب بادابهم . فسوف يرقيه ذلك الى الاهلية لخرقة الارادة ؛ فعلى هـــذا : خرقة التبرك مبذولة لكل طالب .

وخرقة الارادة ممنوعة الا من الصادق الراغب . ولُبس الازرق من استحسان الشيخ في الخرقة . فـان راى شيخ ان يلبس مريدا غير الازرق فليس لاحد ان يعترض عليه . ويجـوز للشيخ ان يلبس المريد خرقا في دفعات على قدر مـا يرى من المصلحة للمريد في ذلك [1] .

التعريف بالمصطلحات الصوفية [2]

المجذوب : المراد اي المجذوب عن ارادته مع تهيء الامور له فجاوز الرسوم كلها والمقامات من غير مكابرة .

المقام : عبارة عن استيفاء حقوق المراسم على التمام .

---

(1) ص 78 ـ 80 عوارف المصارف الملحق بكتاب الاحياد

(2) من رسالة ملحقة بكتاب تعريفات الجرجاني ط مصر 1321 ـ .

الحال : ما يرد على القلب من غير تعمد ولا اجتلاب ومن شرطه ان يزول ويعقبه المثل وقد قيل الحال تغير الاوصاف على العبد .

الشطح : كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى . وهي نادرة ان تكون من المحقيقين .

القطب : هو الغوث وهو الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان وهو على قلب اسرافيل .

الاوتاد : اربعة رجال منازلهم على منازل اربعة اركان من العالم شرق وغرب وشمال وجنوب مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة .

البدلاء : هم سبعة ومن سافر من القوم عن موضعه ترك جسدا عن صورته حتى لا يعرف احد انه فقد فذلك هو البدل لا غير وهم على قلب ابراهيم عليه السلام .

النقباء : هم الذين لهم خبايا النفوس وهم ثلاثمائة .

النجباء : هم اربعون وهم المشغولون بحمل اثقال الخلق فلا يتصرفون الا في حق الغير .

الامامان : هما شخصان احدهما عن يمين الغوث ونظره في الملكوت

والآخر عن يساره ونظره في الملك وهو اعلى من صاحبه وهو الذي يخلف الغوث .

الامناء : وهم الملامتية .

الملامتية : هم الذين لم يظهر على ظواهرهم مما في بواطنهم اثر البتة وهم اعلى الطائفة وتلامذتهم يتقلبون في اطوار الرجولية .

القبض : حال الخوف وقيل وارد يرد على القلب يوجب الاشارة الى عتاب وتاديب .

البسط : حال من يسمع الاشياء ولا يسعه شيء يوجب الاشارة الى رحمة وانس .

الانس : اثر مشاهدة جمال الحضرة الالهية في القلب وهو جمال الجلال .

الجلال : نعوت القهر من الحضرة الالهية .

الوجد : ما يصادف القلب من الاحوال المنفية له عن شهوده والتواجد اظهار حالة الوجد من غير وجد .

جمع الجمع : الاستهلاك بالكلية في الله .

المحق : بقاؤك في عينه .

المحادثة : خطاب الحق للعارفين من عالم الملك والشهادة كالنداء من الشجرة لموسى .

التجلي ومعرفة الغيب

التجلي بطريق الافعال رتبة من القرب ومنه يترقى الى التجلي بطريق الصفات ومن ذلك يترقى الى تجلي الذات .

والاشارة في هذه التجليات الى رتب في اليقين ومقامات في التوحيد شيء فوق شيء وشي اصفى من شيء .

والتجلي بطريق الافعال يحدث صفو الرضا والتسليم .

والتجلي بطريق الصفات يكسب الهيبة والانس .

والتجلي بالذات يكسب الفناء والبقاء .

الفناء

فالفناء الظاهر فناء الارادة وترك الاختيار والوقوف مع فعل الله .

والفناء الباطن هو محو اثار الوجود عند لمعان نور الشهود يكون في تجلي الذات وهو اكمل اقسام اليقين (عوارف ص 100).

ومن السالكين من يجد الله بطريق الافعال . وهو رتبة في التجلي فيبقى فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله ويخرج في هذه الحالة من التدبير والاختيار . وهذه رتبة في الوصول .

ومنهم من يوقف في مقام الهيبة والانس فما يكاشف قلبه به من مطالعة الجمال والجلال وهذا تجلى الصفات وهو رتبة في الوصول .

ومنهم من ترقى لمقام الفنـــاء والمشاهدة مغيبا في شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص المقربين .

وفوق هذا حق اليقين (عوارف ص 246) .

قال الجنيد : حق اليقين ما يتحقق العبد بذلك وهو ان يشاهد الغيوب كما يشاهد المرئيات مشاهدة عيان ويحكم على الغيب فيخبر عنه بصدق (ص 250) [1] وخير ما نختم به هذا الاقتبـاس قـول الله عز وجل : « ولما جا موسى لميقاتناو كلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني . فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قـال : سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين [2] »

---

(1) ملخصة من عوارفا لمعـارف لشهاب الـدين بن محمد السهروردي (539 ـ 632) هـ

(2) الاعراف 142

القسم الثاني
الصوفية في افريقية

مدخل :

كانت افريقية بعد دخولها في الاسلام الى نهاية القرن السادس شرقية في علومها وآدابها ولهجاتها وحتى في خطوط اقلام كتابها .

ويمكن اعتبار سقوط دار الخلافة في بغداد سنة 656 بداية تحول الاتجاه الى المغرب والاندلس نتيجة لحملة عبد المؤمن بن علي وتخليص السواحل التونسية من يد (روجار) وانتصاب الحكم الحفصي وهجرة نخبة من بلاد الاندلس واستقرارها بمدينة تونس .

وتبعا لذلك تحول التصوف عن الشرق وصار اندلسيا مغربيا. فظهر في بداية هذا العهد الجديد ابو مدين وابو الحسن الشاذلي ومن هذين الشيخين انتشر مذهب الصوفية في افريقية وتونس وتكاثرت الطرق حتى غمرت كل الناس جميعا ! وكانت هذه الطليعة ومن كان بعدها تسير في منهاج التصوف على ما هو مدون في الرسالة القشيرية وكتاب الاحياء للغزالي مع احزاب وادعية مروية عن الامام ابي الحسن الشاذلي.

اما بداية التصوف في افريقية عند ما كان مشرقيا فانها ظهرت في نطاق الزهد والورع . والشيء الذي يستلفت الانظار ان بعض

العلماء قد انكروا حتى على الزهاد زهدهم وبكاءهم وانقطاعهم وحملوا عليهم . والفوا الكتب عنهم وعن بدعتهم مثل يحي بن عمر الذي انكر على جماعة زهاد مسجد السبت في القيروان .

وفي القيروان قبل نهاية القرن الثاني كان يعيش الزاهد المعروف باسم عبد الخالق القتات وكان فقيرا . وعلم الامير ابراهيم ابن الاغلب الاول بضعف حاله (وكلاهما من تميم) فاحضره الامير ابن الاغلب (مؤسس الدولة الاغلبية)وقال لعبد الخالق القتات : بلغني ان لك عيالا وانك من العرب فخذ هذه المائة دينار فقال له القتات : انا غني عنها . فقال ابن الاغلب : زيدوه مائة اخرى فقال القتات : لو كانت لي حاجة اليك لكانت لي في المائة الاولى كفاية . فلم يزل ابن الاغلب يقول زيدوه وعبد الخالق يقول كلامه الاول حتى بلغ معه خمسمائة دينارا فتعجب ابن الاغلب وقال اليه : لقد افسدكم (البربري) والله لو ادركته لجعلته يرقص خلفي [1] .

والبربري الذي يعنيه ابن الاغلب هو البهلول بن راشد وكان زاهدا ومن شيوخ القتات ورحل الى المشرق وحج واخذ الموطأ عن مالك بن انس ويقال انه اجتمع بذي النون المصري . ورجع الى القيروان وعلم الناس العلم والزهد فكان القتات من تلامذه المتأثرين بزهده .

---

(1) رياض النفوس ص 133 والمعالم للدباغ ص 7 و ا ج ا ـ .

اما ابراهيم بن الاغلب فهو المؤسس لدولة بني الاغلب . تعلم في الشرق واخذ علما كثيرا عن الليث بن سعد ، وكان الليث يقربه ويعظمه لعلمه ونفاذ بصيرته .

وموقف آخر يماثله : جرى للخليفة هرون الرشيد مع قاضيه (ابو البختري) حكاه وكيع في اخبار القضاة قال : قال ابو البختري: كنا مع الرشيد في سفر له الى الروم وقد تقدمت حمولة الثلج فاستسقى الرشيد . فبعث الخيل في طلب الثلج ، فجعلت الخيل تحصب الجبل وقد اشتد عطشه فقال اسقني من ماء الرحل فلما اقره في فيه مجه فقال له البختري : يا امير المؤمنين قد كنت التمس موضعا لوعظك فلا اجد . وقد امكنني الآن افتاذن لي ؟ قال : نعم قال : فقلت يا امير المؤمنين لو شربت الحار والقار . ولبست اللين والخشن واكلت الطيب والخبيث فانك لا تدري ما يكون من تصرف الدهر ! فانتفخ الرشيد في ثوبه حتى ظننته سينماز عنه ثم انحمص وعاد لونه وقال : يا ابا البختري : انا نلبس هذه النعمة ما اعطتنا فاذا فرقتنا واعوذ بالله رجعنا الى عود غير حوار (اي الى عود صلب لا يلين لتقلبات الدهر [1] .

وهكذا شاء القدر ان يتكلم الخليفة هارون الرشيد في بغداد

(1) اخبار القضاة ص 250 ج ١ - (2) ص 48 المسالك .

ويرفض الزهد ! ويتكلم ابراهيم بن الاغلب في القيروان وينتقد زهد القتات وكلاهما (الخليفة والامير) يعيشان في وقت واحد وهما ينظران الى الحياة بمنظار واحد .

وفي افريقية الوان من الزهد منها ما ظهرت بقاياه :

في جزيرة شريك

قرب سيدي داود النوبي والهوارية شمال ولاية نابل قال البكري في مسالكه وهو يصف تلك الجهة « .... ثم مرسى بونه في قبالته جزيرتان احداهما تعرف بالجامور الصغير والاخرى بالجامور الكبير وهي اكبر ثم جبل ادار يظهر منه جبل صقلية وفي هذا الجبل قوم متعبدون تخلوا عن الدنيا وسكنوا في هذا الجبل مع الوحوش لباسهم البردى وعيشهم من نبات الارض ومن صيد البحر يتناولون من ذلك ما يكون بلغة لهم اذا جاعوا والدعوة من اكثرهم مستجابة . وهذا الجبل معروف بالتزام هؤلاء فيه منذ فتحت افريقية [2] .

ويتفرد البكرى بهذا النص دون غيره من المؤرخين الا ان البكري كان ينقل عن كتب الوراق الافريقي الذي كتب اسفارا عديدة عن البلاد الافريقية وهي اليوم من الكتب المفقودة . فالخبر صحيح عن وجود هؤلاء الزهاد بجبل ادار (راس ادار) ونعلم من

---

(2) ص 48 المسالك .

جهة اخرى ان جزيرة شريك كانت في العصر الاغلبي عامرة بقصور المرابطين فمن قصر قربص الى قصر النخلة ومن قصر نوبه الى قصر راس ادار ومن قصر قليبية الى قصر لبنة ومن قصر سعد الى قصر قربة . فما هؤلاء الزهاد لا يعيشون في قصور المرابطين وفضلوا عنها التشرد في الجبل مع الوحوش ؟

هل انهم كانوا من بقايا الخوارج ، في حروبهم مع ابن الاشعث القائد العباسي للخليفة ابي جعفر المنصور الذي خلص افريقية والقيروان من حكم الخوارج ؟ قد يكون هذا وقد يكون انهم من بقايا المرابطين وقد شردتهم جيوش الدولة العبيدية بعد ان هدمت قصر رباطهم (رباط جبل ادار) الذي كان قريبا منهم وهذا الراي ارجح . وكيفما كان امرهم فان هؤلاء الزهاد قد انقرضوا ولم يبق احد منهم .

ولا ينصرف الظن الى انهم الاصول لاصحاب الزوايا المعروفة في وقتنا هذا بزوايا ا (المعاويين) لان هؤلاء المعاويين من الاعراب الزاحفة مع بني هلال ولم تكن لهم زوايا ولا مشيخة قبل الاحتلال التركي والمؤسس لزاواياهم جدهم الشيخ معاوية الشارف كان معاصرا لوالد الشيخ ابي الغيث القشاش التونسي المتوفي في اول القرن الحادي عشر للهجرة وشيخا له .

هذه صور من الزهد في افريقية اما بداية التصوف في القيروان.
فقد ظهر اسم (التصوف) اولا .

في القيروان

وكان ظهوره في حياة الامام سحنون . في عهد ولايته قضاء افريقية والقيروان (233 هـ 847 م ـ 240 هـ 854 م) نشبت ثورة في جزيرة شريك اخمدها احد قواد بني الاغلب ويعرف بابن زوكاي وعلم القاضي سحنون ان زوكاي قد رجع من جزيرة شريك وادخل داره سبع عشرة امراة قرشيات وعربيات كنساء مسبيات فانكر سحنون على ابن زوكاي سبي المسلمات القريشات قال المالكي : فارسل سحنون الى جميع البوادي في طلب (الصوفية) فاجتمع اليه نحو الف رجل فقالوا : مرنا بما شئت فقال سحنون : تخيروا منكم مائة رجل اريدهم لامر يؤجرني الله عليه . فكانوا عنده الى المغرب وهم لا يعملون غرضه فلما صلى العشاء ندبهم وقال : تمضون الى دار زوكاي فتضربون عليه حصارا فاذا فتح بلغوا سلامي . وقولوا له ان يخرج الحرائر اللائي اتى بهن من الجزيرة الساعة . ولا تجعلوا له الى غلق الباب سبيلا لئلا يحترز هو ومن معه فيدافعكم ويفضي الامر الى اراقة الدماء . وان هو لاطفكم ومانعكم فاشغلوه حتى يلج سبعة مشائخ منكم

حتى ينتهوا الى الباب الاوسط وينـــادوا بهن اين الحرائر المسبيات بالجزيرة يخرجن الى القاضي . فاذا خرجن جميعهن اتيتم بهن وتركتموه وسبيله . ففعلوا ما امرهم به فلما ابى عليهم زكاي قبضـوا عليـه حتى اخرجهن الشيوخ كما حدده سحنون لهم وحملوهن الى سحنون . فركب القائد زوكاي الى القصر (القـــديم) حيث يسكـن الملك . فوجد الابواب مغلقة فبـات هناك حتى اصبح ودخـل على ابن الاغلب وقـد شق ثيابه ونتف لحيته واخـذ في البكاء فساله فاخبره فانكـر ذلك ابن الاغلب ووجـه فتى الى سحنـــون يامـره بردهن له . فقـال سحنون لفتى الملك قل له والله الذي لا اله الا هو لا اخرجهن من داري حتى تعزلني عن القضـــاء ثم وجه سحنون ابنه محمد بسجل الولاية الى ابن الاغلب فقال ابن الاغلب لمحمد بن سحنون : اقـرأ على ابيك السـلام وقل له جـــزاك الله عن نفسك وعن المسلمين خيرا فقد احسنت اولا وآخرا ونحن نرضى قائدنا فهو من موالينا وامض على احسن نظرك » .

قال الامير ذلك وهو « ابو العبـاسي محمد » ولـكنه شرك مع سحنون في القضاء القاضي المعروف بالطبني ولم يعزل سحنون لمكانتـه من قلوب الناس . وبقى الطبني مشاركا له في القضاء الى ان توفي سحنون سنة 240 هـ .

فالتصوف كان معروفـا في القيروان بهـذا الاسم في سنة 235 هـ

والقصة تدل على ان الصوفية وشيوخ الصوفية كان عددهم وافرا وان اختيار الف منهم جاءت لنجدة سحنون تدل على وجود (الفتوة فيهم) مع التصوف . ونجدتهم الحازمة لسحنون تقرب للفهم انهم كانوا على الارجح من المرابطين وصلة سحنون بالمرابطين كانت عظيمة . تتفق على مناصرة المذهب المالكي والتحيز لسياسة بني امية دون الاغالبة والعباسيين تبعا لنزعة الامام مالك بن انس .

وكيف تولى سحنون القضاء ؟

وهو يفسق الامراء الاغالبة ؟ والاغالبة يعلمون ذلك عنه وهذا ما اخر ولايته الى الاعوام الاربعة من نهايته . وفي هذه النهاية شبت ثورة الامير احمد على اخيه ابى العباس محمد الاغلبي فكان سحنون قد حمل اهل القيروان على مناصرة ابي العباس احمد الامير الشرعي حتى انتصر على اخيه الثائر . فولاه ابو العباس القضاء اعترافا له منه بالجميل ونظرا لما لسحنون من المكانة العالية في قلوب الناس .

سحنون وثروته مع الورع

قبل ان نصف الامام سحنون بالزهد نقول انه كان موصوفا بالعلم والشجاعة والورع . كان فقيرا والفقر اقعده عن اللحاق بمالك

في حياته . فتعلم وروى اولا عن اصحاب مالك ممن كانوا في تونس والقيروان مثل علي بن زياد واسد بن الفرات وغيرهما . وكان يتحسر ويقول : « لحى الله الفقر ولولاه لادركت مالكا » . وقيل له مرة ما منعك من السماع عن مالك ؟ فقال : قلة الدراهم .

وبعد وفاة مالك باعوام يسر الله له امره وذهب حاجا واجتمع في مصر باصحاب مالك وصحح رواية (المدونة) عن ابن القاسم المروية عنه من اسد بن الفرات من قبل . وكانت تعرف في القيروان بالاسدية (نسبة لصاحبها الاول) .

ورجع سحنون الى القيروان يعلم المذهب المالكي دون غيره . وكان لا يرى فائدة من تعدد المذاهب في الفقه والعقيدة. وكان موصوفا بحدة الذهن وحدة الطبع . وقضى ما يناهز اربعين عاما في التعليم وتخريج العلماء وتفليح الارض وغراسة الزيتون حتى توفر كسبه ونما رزقه . قال عياض في المدارك : « وكان سحنون يملك اثنتي عشر الف شجرة من الزيتون في الساحل » واكده الدباغ في المعالم [1]

وكان لابنه محمد بن سحنون تسعة اسرة . لكل سرير سرية ! ذكره الدباغ في المعالم . ومن الاحاديث التي يرويها سحنون عن

[1] ج 3 ص 227

عبد الله بن وهب ان النبي ﷺ قال : « نعم المطية الدنيا فارتحلوها فانها تبلغكم الآخرة » .

فالامام سحنون كان مع وفرة كسبه من ائمة كبار العلماء ومن اهل الورع التقوى . والماثور عليه انه من المحبين والمتقربين للصلحاء والمرابطين . وفيه شدة مفرطة على اهل البدع والشبه .

واذا كان سحنون من اهل الزهد والورع فكيف تسنى له ان يكون ثريا مع ما هو عليه من الزهد ؟

وقبل الجواب على ذلك يجب ان نفهم ان سحنون كان يتخلق باخلاق الشريعة الاسلامية وانه لا يفهم التوكل بالعنى الذي يعتقده الصوفية وانه كان ولا شك يتخلق بما رواه عن عبد الله بن وهب ذلك الحديث المروي عن النبي ﷺ « نعم المطية الدنيا فارتحلوها فانها تبلغكم الآخرة » .

وكان له لباس كاهل العلم ولباس للمآتم ولباس ايام العيد وايام الفرح والغالب عليه لباس العمل والسفر والمكابدة . وفي حالته يلبس البرنس الاسود كاهل الساحل مع ما كان يناسبه . قال سحنون : « من فقه الرجل مطعمه ومشربه وملبسه ومدخله ومخرجه وحميته لاهل الخير وليست العبادة بمطأطأة الراس » (1) .

---

(1) رياض النفوس ص 259

قال عبد الجبار بن خالد : كنا نسمع من سحنون بمنزله في الساحل . فصلى يوما الصبح ثم دخل وخرج علينا وعلى كتفه المحراث وبين يديه زوج بقر مقرون فقال لنا ان الغلام حم . فانا اريد ان اذهب لاحرث ثم ارجع اليكم اذا فرغت اسمكم » . قال عبد الجبار : « فقلت له انا ذاهب احرث لك واجلس انت تسمع اصحابنا فاذا رجعت قرات عليهم ما فاتني به اصحابي . فدفع الي المحراث . » !

وهكذا وجده يحي بن عمر يعمل في بادية الساحل عندما ذهب للتعرف به فتعجب من حاله ومن غزارة علمه بعد المذاكرة معه؟ قيل لسحنون يوما بحضرة ابي سليمان بن سالم : « كيف يسعك في دينك ان تدع هؤلاء الطلبة وحاجتهم اليك وتخرج الى البادية وتقيم بها الشهور الكثيرة » ؟

فقال : « يا ابا سليمان تريد ان ترى كتبي في هذا الغدير ؟ واشار الى ماء بين يديه . فقال له ابو سليمان وكيف ذلك ؟ فقال : « احتاج الى دراهم هؤلاء القوم . (يريد الملوك) فآخذها فاذا اخذتها منهم فارموا كتبي في هذا الغدير [1]

فهذا زهد سحنون . زهد العفاف والورع لا زهد التوكل والتسول بل هو زهد الاعتماد على النفس وزهد المتغلبين عليها حتى

---

(1) رياض النفوس ص 259

لا تنزع ولا تطمع في متاع الناس ! فرحم الله سحنون صاحب النفس الكريمة المتغلب على الميول اللئيمة سيد العلماء وشيوخ اصحاب الفتوة

محمد بن مسروق الزاهد

كان متقدما على عصر الامام سحنون وكان والده مسروق خليفة لموسى ابن نصير في بلاد المغرب . ترك بعد موته لولده محمد ثروة طائلة وكان من جملة ما يملك قرية بما فيها من ارض وحيوان وانسان ! وهذه القرية تعرف (بالمسروقين) لم يبق اليوم لها اثر ويظهر من وصفها انها كانت قريبة من مركز سيدي الهاني (بين سوسة والقيروان) .

كان محمد بن مسروق في حياة والده مسرفا في شهواته وملذاته حتى قيل عنه انه كان يفتض في كل ليلة عذراء ! فلما مات ابوه بات ينظر في كتبه وامواله ومنازله حتى اصبح الصباح فقال لجواريه : من منكن تساعدني على امر اريده ؟ فقالت احداهن انا يا سيدي . فقال لها اثردي خبزا وزيتا وقدميه لي عند افطاري . ففعلت ذلك فلم تساعده نفسه على اكله لما عهدته من الطعام الطيب . فقام ولكن لم يات الليل حتى اشتهاه واكله .

فكان بعد ذلك يمر بالقرية من قرى ابيه فيخرج اليه اهلها

ومن فيهـا فيقولون نحن عبيدك وكل مالنـا في هذه القرية فهو لك .
فيقول ان كنتم صادقين فانتم احرار ومالكم لكم ! وانخلع من جميع ما
ترك والده ثم رحل من افريقية واتجه الى الشرق فقدم الى الاسكندرية
واجتمع بشريح المتعبد الاسكندري . فجعـل شريح يبشره ويعزيه
فقـال له محمد بن مسروق : والله يا ابا شريح لو اجد عن الله عز وجل
مهـربا لهربت ؟ هذا ما قاله المالكي .

وشريح كان يعيش في الصنف الاول من القرن الثـاني للهجرة
فهو متقدم على سحنون بمائة عام

قـريـة المسروقين

اقترن اسم هذه القرية باسماء الكثيرين من الزهاد والصالحين .
كان ابو الحسن الشاذلي يتردد عليها ولـه مع اهلها مكاتبات تجدها كاملة
في مناقبه . ومن اهلهـا الذين كانوا يسكنونها ابو العزائم مـاضي بن
سلطان واخوه محمد صاحبـا ابي الحسن الشاذلي ومنها ابو يوسف الدهماني
الذي اخذ عن ابي مدين (مع الشيخ عبد العزيز المهـدوي وابي سعيد
الباجي وابي علي النفطي) .

ابو عقـال بن غلبـون

توفي سنة 290 هـ (902 م)

وفي القيروان صوفي آخر وقع فيما وقع فيه محمد بن مسروق هو

ابو عقال بن غليون . كان من امراء بني الاغلب نشأ برقادة والقيروان في رفاهية عظيمة واخذ العلم عن سحنون وتادب حتى صار اديبا وشاعرا. الا انه كان محبا للمجون واللهو مفتونا بعشق النساء وشرب الخمر . اخبر عنه محمد بن الكاتب فقال : كنا نشرب عند ابي عقال بن غليون في داره فلما كان بعد العصر خرج عنا من المجلس وقال لغلامه : امض فاشر لي جبة من صوف وعباءة وكساء ومئزرا من صوف • فحسب الغلام انه يريد ان يكسوها لاحد . فاتى بها اليه فنزع ثيابه تلك الناعمة النظاف ودخل الى والدته باثواب الصوف فقالت له : ما هذا يا ابا عقال ؟ اخولطت في عقلك يا بني .

فقال لها يا اماه والله لا عصيته بعد هذا اليوم ابدا . وانصرف كل واحد منا وهكذا كان رجوعه الى الله • وباع ما كان له من دور وعقار وتصدق به وخرج الى مكة المكرمة ولازمها الى ان مات .

ويقول الدباغ انه خرج فارا بنفسه ولحق ببعض محارس صفاقس فصحب بها ابا هارون الاندلسي المتعبد فانتفع بصحبته وخرجا معا الى مكة .

ونقل عن ابي عقال انه قال لابن سعدون لقد زال من قلبي حب الدنيا الاحب النساء فكنت اطوف بالبيت مغطى العينين خوفا من الفتنة فاذا بامراة خراسانية تطوف فنظرت الي وانا اطوف فقالوا لها هذا رجل

من ملوك المغرب طلق الدنيا وبقى في قلبه حب النساء . فقالت : انا اتزوجه فتزوجتها !

وتوفي ابو هارون الاندلسي وراسه في حجر ابي عقال وهما في الحرم . وكانت وفاة ابي عقال سنة 290 ه

مسجد السبت بالقيروان

هو مسجد للصلاة اسسه ابو محمد الانصاري المعروف بالزهد والصلاح وكان من المقيمين في مارستان (الدمنة) الخاصة بمعالجة المجذومين واقامتهم بها حتى لا يختلطوا بالناس . وابو محمد الانصاري كان ضرير البصر والبدن اسس مسجده بجوار الدمنة في اول القرن الثالث . وكان من عادة ملوك بني الاغلب زيادة الدمنة في موسم رمضان يواسون فيه مرضاها ويتصدقون على الفقراء . وفي زيارة من زيادة الله الاول للدمنة وقف زيادة الله على بيت ابي محمد الانصاري وطلب ان يراه للتبرك به

فخرج اليه محمولا . فاكرمه وتصدق عليه وعلى من كان في الدمنة معه .

والدمنة كانت بالجهة المعروفة بحارة المرضى وتعرف بالمرستان

القديم[1] ومسجد السبت لا تزال منه بعض الجدران قائمة وهو معروف في وقتنا هذا بالجهة الغربية من مقام الصاحب .

وهذا المسجد مسجد السبت الذي يمكن ان نسميه بمسجد الدمنة ظهرت فيه جماعة بعد وفاة الامام سحنون وقبل وفاة يحي بن عمر كانوا يجتمعون في هذا المسجد في كل يوم سبت ويتناشدون فيه الاذكار والاشعار بالطريقة الصوفية ، يذكرون فيها اهوال يوم القيامة وحالات الاولياء ويركّبون عليها الحان الحزن والخوف حتى قال بعضهم اذا سمع المتعبدون تلك الاناشيد في يوم السبت استراحوا اليها بقلوبهم وانشرحت نفوسهم وانصرفوا من المسجد وهم محزونون نادمون ويبقى معهم ذلك الى يوم السبت الآخر .

الا ان يحي بن عمر (دفين سوسة المتوفي 289 هـ 901 م) اعتبر اجتماعهم للذكر والانشاد بدعة في الدين وانكر عليهم الانكار الشديد . وكان يرى هدم المسجد انفع من وجوده مع البدعة وقد الف كتابا في بدعة مسجد السبت فتصدى الصوفية لاذايته ومشاغبته في حلاقات دروسه .

ومن المنكرين عليهم بعد وفاة يحي بن عمر ابو الحسن

---

(1) كتب الاستاذ ح . ح . عبد الوهاب بحثا قيما عن مارستان الدمنة نشر بمجلة (الفكر) التونسية جويلية 1958 .

القابسي وابو عمران الفاسي . الا ان بعض شيوخ القيروان كابي بكر محمد اللباديري حضور الناس مسجد السبت مفيد لانه يغيظ بني عبيد (وهم من الشيعة الاسماعيلية) ومن الطريف ما ورد في ترجمة ابي محمد عبد الله التبان وهو انه « كان يقرأ لاخوانه (ميعادا) في الرقائق فقطعه اياما فعاتبوه في ذلك فاعتذر فضيقوا عليه فقال لهم في غد اتوني ان شاء الله . ولما اتوا اليه من الغد وجدوا بين يديه شيئا مغطى فقال لهم : اكشفوه فكشفوا فوجدوا طبقين صغيرين احدهما مملوء دنانير والاخر مملوء دراهم . فقال لهم هذا الذي منعني . لان من ملك من الدنيا شيئا كهذا يقبح به ان يزهد الناس فيها » والتبان من كبار علماء المالكية في القيروان عاش في العصر العبيدي وتوفي سنة 371 ﻫ

وفي اول القرن الخامس يقول المالكي : « اما في هذا الوقت لا ينبغي حضوره ولا السعي اليه . ولا يحتج في حضوره بمن حضره من العلماء سابقا لانهم لو ادركوا هذا الزمان لتركوا حضوره) .

وكان الامام سحنون ينكر التطريب والنغم وبذلك فهو لو تاخر وحضر لجماعة مسجد السبت لكان عليهم اشد انكارا من يحي بن عمر فقد قيل عنه « ان فرات بن العبد قال : كنت عند سحنون

عشية فجاءه حسان فقال له سحنون اجلس واسمعنا قصيدة « يا عاشق الحور لابن مبارك »[1] ولا تطرب فابتدأ بالقصيدة :

فكلما اراد ان يطربها يقول له سحنون : هيه اسكت عن التطريب !

والانشاد في مسجد السبت كان من نوع (العمل) المثير سماعه بالنغم والتطريب . قالوا كان ابو جعفر احمد بن معتب وهو من اصحاب سحنون يتردد على مسجد السبت ودخله يوما فسمع قارئا يقول :

دع الدنيا لمن جهل الصواب   فقد خسر المحب لها وخابا

فما الدنيا وان راقتك الا   كبلقعة رايت بها سرابا

يظل نهاره يبكي شجيا   ويطوي الليل بالاحزان دأبا

ثم قرأ القاري آية من القرآن فخر ابو جعفر مصعوقا . فاحتمل الى داره فمات وكانت وفاته سنة 277 هـ (890 م)

وفي رياض النفوس اشارة تدل على نواة الزهد الباكر في القيروان وهي « عن ابن انعم (عبد الرحمان) قال قلت لابن المسيب

---

(1) له ترجمة حلية الاولياء ص 162 ج 8 (عبد الله بن مبارك عالم خراسان توفي سنة 181 كان من كبار العلماء و الزهد من طبقة سفيان الثوري الا انه كان اديبا وكثيرا ما كان يتمثل بقول الشاعر : وهل بدل الدين الا الملوك واحبار سوء ورهبانها

(ان عندنا في القيروان) رجلا من الا انصـار يقال له اسماعيل بن عبيد اذا سمعنا نذكر شعرا صاح علينا

فقال سعيد : ذلك رجل نسك نسك العجم .

قال المـالكي : وكان (اسماعيل بن عبيد) يلبس جبة من صوف وكساء من صوف و قلنسوة صوف [1]

وكانت وفاة اسماعيل بن عبيد سنة 107 هـ 725 م . وهو من التـــابعين الفقهاء العشرة الذين ارسلهم عمر بن عبد العزيز الى افريقية .

وسعيد بن المسيب تابعي من فقهاء المدينة السبعة ولد سنة 13 وتوفي بسنة 94 هـ .

وعبد الرحمـــان بن انعم من قضاة افريقية توفي سنة 161 هـ (777 م)

رباطـات افريقيـة والمـرابطـة فيهـا

الربـاط من رباط الخيل ـ ورباطها حبسها · ورابط الجيش اقام في الثغر . والاقامة في الثغور مرابطة ورباط .

والرباط شعبة من الجـــهاد . وفي الحديث : رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها · وفي حديث آخر عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحـرس في سبيل الله او رجل صالح تمحض لخشية الله .

[1] رياض النفوس ص 70

وقال ﷺ « في كل امة رهبانية ورهبانية امتي الجهاد » قال بعض شراحة « الرهبانية هو التفرغ للعبادة وترك الاشتغال بالدنيا » والجهاد جهاد اكبر وجهاد اصغر

قال احمد الحواري الصوفي الغزو والرباط : هما نعم المستراح اذا مل العبد من العبادة استراح الى غير معصية ·

وقال اليعقوبي في كتاب البلدان « وفي جميع مراحل الساحل التونسي حصون متقاربة ينزلها العباد والمرابطون » وقد سماها بعده الادريسي وعين اماكنها في كتابه « نزهة المشتاق » وذكر بعضهم ان ما بين بونة الى الحد الطرابلسي سبعون رباطا وان المسافة بين الرابطين لا تزيد عن عشرة اميال وكانت المخابرة بينهما تجري بالعلامات النارية ليلا وبالحمام الزاجل نهارا ·

(ورباطات البلاد التونسية)

اول رباط اسس بالبلاد الافريقية هو رباط المنستير اسسه والي الرشيد على افريقية هرثمة بن اعين في سنة 180 ه 796 م وفي دولة بني الاغلب توالي احداث الرابطات الباقية على السواحل الافريقية. واشهرها في الشمال : قصر بونة ـ قصر طبرقة ـ قصر القبة ـ (قرب بنزرت) وقصور : راس الجبل وصونين وجردان وقصر قرطاجنة وقصر حلق الوادي ·

وبجهة الوطن القبلي (جزيرة شريك) : قصر جهم - وقصور : قربص والنخالة ونوبة - راس ادار - قايبية - ولبنة وقصر سعد وقصر قربة وقصر نابل وقصر الحمامات والمشهور منها في الساحل : قصر (هرقلة) وقصر سوسة وقصر الطوب وقصر سقانص وقصر ابي الجعد وقصر المنستير (وهو اولها في التاسيس) وقصر لمطة وقصر الديماس وقصر المهدية وقصر سلقطة وقصور : قبودية واللوزة وبطرية - وقصر زياد .

والمشهور منها في الجنوب التونسي : قصور صفاقس : (قصر منصور الغلام) وقصر نقطة وقصر المحرس وقصر يونقة وقصور : قابس وابن عيشون والجرف والزارات وجرجيس وشماخ.

والرباط يسمى بالقصر اذا كان مشرفا بزيادة عالية في بنائه او بمنارات الاستكشاف وهذه الرباطات كلها من تدبير الدولة الاغلبية في تحصين الثغور جريا على ما تقوم به دولة بني العباس في الشرق . وقد ساهم في تاسيسها بعض الاغنياء من المسلمين

ولكن الدولة العبيدية (الشيعية الفاطمية) قد اهملت الرباطات وانتزعت الاسلحة والادوات والخيل من المرابطين فيها لانها كانت تخشى القيام عليها وهم كانوا ينكرون عليها عقيدتها ويقاومون دعوتها لحمل الناس عليها فاهملت الرباطات ولم يبق منها الا القليل

مثل رباط سوسة ورباط المنستير والبقة لم يبق منها الا اطلالها وقد عاينت منا الكثير ومن واجب مصلحة الاثار ان تهتم بها لحفظ ما يمكن اظهاره منها ولو الى حد محدود قبل ان تتلاشى بقاياها وتطمس وتصبح مجهولة المكان مثل رباط لمطة .

كانت هذه الرباطات عامرة بالمرابطين والعلماء والصلحاء والصوفية . وكان بعضهم يسكنها مع زوجته ! وفي هذه الرباطات كانت شيوخ من العلماء يتابعون قراءة كتب دينية معينة كالمدونة وغيرها وكانت لهم فيها دروس منظمة وتلاميذ من المرابطين .

وفي المكتبة العتيقة بجامع عقبة بالقيروان بعض نسخ من المدونة عليها سماعات كان سماعها من فلان بقصر المنستير او قصر زياد وفي المكتبة اسفار مما نسخه في قصور الرباطات بعض المرابطين.

قال التجاني في رحلته متحدثا عن :

قصر زياد

« وقصر زياد قصر حصين وفي اهله نجدة موصوفة وشجاعة معروفة».

وقال اللبيدي في مناقب ابي اسحاق الجبنياني « وكان قصر زياد يسمى دار مالك لكثرة من به من اهل العلم في ذلك الزمان » واللبيدي كان في عصر بني عبيد وفي كلامه هذا اشارة الى ان عصر ازدهار الراباطات قد ذهب مع الاغالبه .

وفي رياض النفوس ان قصر زياد سكنه عبد الرحيم بن عبد ربه و هو من تجار مدينة القيروان كان يملك سبع عشر الفا من اصول الزيتون . اخذ العلم عن اسد ابن الفرات وعن سحنون بن سعيد . ولما عزم اسد بن الفرات على غزو صقلية اراد عبد الرحيم ان يخرج معه وشاور سحنون فقال له سحنون: لا تفعل وافضل لك من الغزو ان تبني قصر زياد . فذهب الى اسد واعلمه بما قال فقال له اسد : ذلك هو الصواب !

فتولى عبد الرحيم اصلاحه وبناءه وانفق عليه ثمانية عشر الف دينار وكان ذلك في سنة 212 ه ثم انقطع عبد الرحيم ابن عبد ربه الى العبادة والمرابطة بهذا القصر (قصر زياد) ولما ولي سحنون القضاء انكر عليه عبد الرحيم قبول الولاية وكاتبه بمكتوب في ذلك من قصر زياد .

قصر الطوب

من تاسيسات زيادة الله اول على يد مولاه خلف وسكنه ابو عثمان سعيد بن اسحاق الكلبي . اخذ عن سحنون وعن ابن عبد الحكم بمصر . قال الدباغ: كان عالما صالحا سكن قصر الطوب بعد رجوعه من الحج . فكان دائم الحسرات . وقد اراد نواتية

الامير ابراهيم (الثاني) مرة النزول بقصر الطوب وكان في القصر سعيد بن اسحاق وابو يونس جبلة فمنعوهم واغلقوا الباب . فبلغ ذلك ابراهيم فاتى القصر غاضبا فدخل اهل القصر منه رعب عظيم وقال ابراهيم من هؤلاء الذين منعوا عبيدي ان يدخلوا القصر ؟ فظهر سعيد بن اسحاق من اعلى القصر وقال من هذا ؟ فقال ابراهيم انا ابراهيم بن احمد الامير . فرفع سعيد صوته وقال : يا ابراهيم تركنا لك الدنيا كلها وانزوينا في هذا الثغر فجئت توذينا ! والله لئن لم تمر لاهلكنك.... فمضى ابراهيم وترك القصر . وتوفي ابو عثمان في هذا القصر سنة 259 هـ (872 م)

رباط طينة ورباط نقطة

قال التجاني : وهما قصران عامران ويقال ان جماعة من اصحاب (معروف الكرخي) رابطوا بقصر نقطة وماتوا به فقبروهم هناك ؟ والكرخي توفي سنة 200 هـ 815 م وله ترجمة في هذا الكتاب .

وقال التجاني : عن ـ محرس بطرية ـ

« وهو اشرفها (علوا) وله منارة مشرفة الارتفاع يرقى اليها في مائة وست وستين درجة)

قصر لمطة

يروى الدباغ ان سعيد الاندلسي قال كنت مع ابي هارون

الاندلسي وابي العلا الاندلسي وابي بكر بن سعدون بقصر لمطة في بيت فخرج ابن سعدون في ليلة مظلمة وخرجت بعده واذا به قائم في وسط القصر يدعو ونور ساطع قد جلله من اعلاه الى اسفله . وكان ابن سعدون يضع الشعر الصوفي كقوله :

الخير اجمع في السكوت   وفي ملازمة البيوت
فاذا تهيأ ذا وذا   فاقنع اذن باقل قوت

وابن سعدون توفي والده (سعدون) في جزيرة ساردانيا شهيدا في غزوة قام بها اسطول بني الاغلب .

قصر ابي الجعد

كان من المرابطين في هذا القصر (قصر ابي الجعد) ابوبكر ابن محمد بن مسعود التميمي يرابط ثلاثة اشهر ويرجع الى اهله بالقيروان فيقيم عندهم ثلاثة اشهر ويرجع اخرى وهكذا .

ورابط به قلبه ابو الفضل يوسف بن نصر وكان من اصحاب يحي ابن عمر سكن قصر ابي الجعد اولا ثم انتقل منه الى قصر سهل .

قصر سهل

قلنا سكنه ابو الفضل يوسف وتعبد فيه الى ان توفي سنة 326 هـ 937 م ولأبي الفضل مؤلفات في الوعظ والتنبيه والرقائق . وله كتاب الفه وسماه « احمية الحصون » وهو كتاب مفقود لايعرف منه الا اسمه

ويظهران موضوعه يجعله من الاهمية بمكان لا سيما وقد علقوا على هذا الكتاب فقالوا : « فيما يجب على سكان الحصون (الراباطات) ان يعلموا به . وقالوا : « فكان اهل الحصون يؤذونه لشدة انكاره عليهم لانهم كانوا يذكرون ويتواجدون ويعملون عمل الجماعة في مسجد السبت [1] .

ونختم الكلام عن هذه القصور والرباطات بشيء من التوسع عن رباط المنستير ورباط سوسة اذا هما الرباطان القائمان اليوم كما كانا في زمن هرثمة وزمن زيادة الله الاول بفضل العناية والاهتمام البالغ من جانب فخامة رئيس الجمهورية التونسية .

رباط المنستير

هو اول رباط اقامه العرب بافريقيا اسسه . الوالي هرثمة بن اعين على غرار ما حصن به الرشيد العباسي ثغور البلاد الاسلامية في الشرق .

ويظهر ان الاغالبة قد نسجوا على منواله او نفذوا لهرثمة تصميما كان اعده في سنة 180 هـ تجهيزا للسواحل الافريقية بحصون من الرباطات لان ذلك قد اتمه الاغالبة بسرعة . وكان عملهم هذا من مفاخر سياستهم ويقظتهم العمرانية والدفاعية في هذه البلاد .

---

(1) راجع ما كتبناه في هذا الكتاب عن مسجد السبت .

قال البكري في المسالك : « محرس المنستير وليس في افريقية اجل منه » . ومن عظمة هذا الرباط وحسن اتقانه انه لايزال كما هو ظاهرا للعيان متماسك البنيان . ولم يبق من الرباطات الصامدة في وجه الزمان وتغلب الملوان . الا رباط سوسة وهذا الرباط . اما البقية من الرباطات فقد هيأها الترك والاهمال للتداعي حتى تداعت ووقعت شيئا بعد شيء وتلاحق بها الخراب حتى صارت اثرا بعد عين ؟ وكان كله من اهمال بني عبيد ؟ .

كان الامام سحنون كثير الزيارة لرباط المنستير والتردد على اهله المرابطين فيه . لا سيما في ايام المواسم الدورية وله مع عباده وصلحائه وعلمائه صلات ومكارمات .

وكان جبلة بن حمود الصوفي الفقيه الزاهد ممن سكنوا رباط المنستير قيل ان والده كان من الاثرياء الكبار ولما توفي عرضوا عليه ما ينوبه من مخلف والده فتبرأ جبلة من هذا المخلف الذي يقدر بثمانية الآف مثقالا ذهبا (المثقال هو الدينار) . هروبا من الدنيا وفتنتها . ولعله كان من الورع حتى بلغ هذا الحد ؟ وجبلة من اصحاب سحنون . وادركه حكم بني عبيد

خرج من الرباط يوما من ايامهم ودخل القيروان وترك المرابطة فقيل له في ذلك ما قيل . فقال :

كنا نحرس عدوا بيننا وبينه البحر . والآن حل العدو بساحتنا !

وتوفي جبلة سنة 299 ه 911 م ومن سكان هذا الرباط :

ابو عثمـــان سعدون الخـولاني

وهو معروف ومشهور بالعـــلم والعبـادة والصلاح . ادرك سحنون ولازم ابنه محمد وسمع منه ومن محمد بن عبد الحكم في مصر . ومن تلاميذه ابو عبد الله محمد بن الحارث الخشني وابن ابي زيد القيرواني . وكان ابو عثمان في رباط المنستير شيخا مشرفا على شؤونه . قيل كان يجتمع اليه « للحراسة » ما يقرب من اربعة الآف حارس . ومن اجل ذلك كانت حكومة الشيعة المتحكمة تهـابه وتخافه . وكانت له معهم مداراة الى ان توفي سنة 325 ه 936 م ودفن في الرباط .

ومن المرابطين في رباط المنستير .

ابو جعفر يوسف بن نصر

سمع ابو جعفر من يحي بن عمر ومن اقرانه واشتهر بالصلاح والمرابطة في قصر (سهل) الذي هو من قصور رباط المنستير الى ان توفي سنة 326 ه (937 م)

ولا يفوتنا ان نذكر ان بني عبيد لما تغلبوا على الاغالبة

وحلوا محلهم في سياسة البلاد امروا اعوانهم بطمس ومحو كل ما هو من الآثار والكتابات الاغلبية !

ويذكر الدباغ والمالكي : ان بني عبيد قد انتزعوا السلاح الذي كان في حصون البحر « الرباطات » والمحارس وكان هذا من شدة خوفهم وعلمهم بالنفرة التي في قلوب الناس منهم .

ويظهر ان العبيديين في افريقية قد تركوا الحصون والمحارس مهملة مجردة من السلاح اعتمادا منهم عن اسطولهم المحصن بمرسى المهدية وعلى علمهم بضعف الاساطيل الرومية. وانهم كانوا يتوقعون الخطر عليهم من الداخل . وقد ظهر واتضح لهم ذلك من ثروة الخارجي (مخلد بن كيداد) .

فكان من نتائج اهمال الرباطات وتجريد والمرابطين ان يبقى المرابطون متمحضين الى العبادة والذكر وممارسة ما يرد عليهم من فنون « المعرفة بالله » من الخارج وهكذا كان اهل الرباطات ينتقلون شيئا فشيئا من الزهد الى التصوف وسلوك فنونه بالمرابطة والذكر واهملوا فرض الجهاد

وبذلك تحول رباط المنستير الى اول « زاوية » بعد مسجد السبت فقامت فيه حلاقات الذكر « الجماعي » مع الضرب على الصدور حتى الاغماء .

جاء في الكلام على حياة (حمديس القطان) انه كان يكره فعل الذين يجتمعون « للميعاد » و يضربون صدورهم فيقول « لو كان لي من الامر شيء لنفيتهم من « المنستير » وكانت المنستير هي « الرباط » ولا شيء آخر [1]

وبعد تجريد المرابطين من الاسلحة ومن مهمات الدفاع عن السواحل والثغور تفرغ المرابطون « للذكر والميعاد »ومد اليد للطعام!

وصار رباط المنستير مع « مسجد السبت » في القيروان كمدرسة لتخريج الشيوخ وتاسيس « الزوايا » في الجهات التي تاهلت لظهورها ! وتسابق لذلك الشيوخ والمريدون وعمروا كل المناطق الافريقية قبل القرن الثامن .

كان رباط المنستير بيد ابي عبد الله محمد بن ابي زيد المنستيري وهو من تلاميذ الشيخ « الجديدي » مؤسس الزاوية الغريانية بالقيروان [2] وانتصب في رباط المنستير وجعله زاوية لتربية المريدين وكان يعرف (بشيخ الرباط) .

واستمر مشروعه لاحفاده بالوراثة الى ان جاء الاحتلال الاسباني فانتزع الاسبان منهم الرباط وانتقل احفاده (بمهمتهم) الى زاوية سيدي ذويب بالمنستير.

---

(1) توفي القطان سنة 289 هـ (901 م)

(2) المتوفي سنة 786 هـ (1384 م) وله في هذا الكتاب ترجمة

ربـــاط سوسة

هذا الرباط كما قلنا من تاسيسات زيادة الله الاول . وعلى مدخل منارته الاسطوانية الجميلة رخامة تذكارية كتب عليها الاغالبة بالخط الكوفي ما نصه : « بسم الله الرحمان الرحيم بركة من الله ممـــا امر به الامير زيادة الله بن ابراهيم اطـــال الله بقاءه على يد مسرور مولاه في سنة ستة ومائتين . اللهم انزلنا منزلا مبـــاركا وانت خير المنزلين . »

ورابط في هذا القصر كثيرون من اهل العلم والزهد والورع منهم ابو الاحـــوص احمد بن عبد الله كان يسكـــن في الرباط مع زوجته المرابطة معه [1] .

وكان الامير ابراهيـم بن احمد الاغلبي كثير الـزيارة اليه في هذا الرباط . قال عبد الرحمن الزاهد : قمت في سواد الليل ودوي البحر فاذا ابو الاحوص بين شرافتين في سطح برج الرباط ينشد :

ابوا ان يرقدوا الليل   فهـــم لله قـــوام
ابوا ان يخدموا الدنيا   فهـــم لله خـــدام

قال المالكي : نزل ابراهيم بن احمد بن الاغلب بسوسة وفي احـــد الليالي سمع عزف ولهوا فتحير عباد قصر الرباط واجتمعوا

---

[1] رياض النفوس ج ا ص 292 - .

من الغد بالمسجد الجامع وتفاوضوا في هذه الاذاية التي لحقتهم من الامير.

وقـال احدهم قوموا بنا الى هذا الرجل ! فقد احدث علينا امورا لا نعرفها ولا نصبر له عليها ! فاما ان يزيل عنا هذا الامر والا فنحن نخرج وارض الله واسعة . فخرج معه نحـو سبعين رجلا من المرابطين . فتوجهوا الى قصر ابراهيم فملؤا الفضاء الذي بين يدي القصر مع من تبعهم . فوجدوا الامر الذي يكرهونه قائمـا من اللهو والعزف . فقيل لهم ما تريدون ؟ قالوا نريد الامير لنجتمع به . فقال لهم حاجبه : الامير في شغل . فقالوا له عرفه انا لا نبرح من هنـا حتى نجتمع به . فدخل الحاجب الى الامير وقال : شيوخ سوسة كلهم بالباب وارادوا الاجتماع بك . فقال له او يمكنني الاجتماع بهم وانا على هذه الحال ؟ الا اعتذرت لهم عني ؟ فقال له اعتذرت فلم يقبلوا عذري .

فقال له : اخرج اليهم فانظر فاذا طلبوا نفذ لهم فخرج الحاجب اليهم فقال : ان الامير امرني بتنفيذ ما تحبون . فقالوا : نحن انما جئنا الى هذه المدينة وسكناها لله الواحد القهار . وقد احدثت علينا هذه الامور من اللهو والعزف فاما ان يقطع عنا هذا الامر والا فنحن نخرج وارض الله واسعة ؟ فعاد الحـاجب الى الامير فاخبره . فقال

للحـــاجب ارجع اليهم فقل لهم لن تروا ما انكرتموه بعد هذا . فانصرفوا .

وخرج الامير الى « قبة الرمل » فكان يخلو فيها بما يحب فاذا قضى وطره رجع ليلا الى قصره [1]

وهذا الامير هو ابراهيم بن محمد المتوفي سنة 289 ه (901 م) وقصره الاصيل ببرج القصبة . اما انتقاله الى قبة الرمل فالظاهر انه انتقل الى المكان المعروف (برج خديجة) المقام بناؤه (الاغلبي) على رصفة داخل في البحر قرب زاوية سيدي ابي جعفر المشيد عليه في وقتنا هذا المقهى الجديد .

ثلاثــة من الصوفية بسوسة

واذا ما انتهينا من المعلومات عن رباط سوسة يكون من الفائدة ان نتحدث في النهـــاية عن ثلاثة من علمـــاء الصوفية بسوسة كانوا يعيشون في القرن الرابع والناس يعرفون قبورهم باسمائهم الشايعة ولا يعرفون شيئا عن حياتهم ! ذلك لان مناقبهم لا تزال . في كتب مخطوطة ومجهولة عند الكثيرين . وهم ابو جعفر احمـــد بن

---

(1) رياض النفوس ج ا ص 393 وقبة الرمل بجوار زاوية ابي جعفر على شاطيء البحر حققت ذلك من بعض رسوم احباس زاوية ابي جعفر

سعدون الاربسي (او الاريسي) وابو جعفر القمودي وابو علي الحسن بن نصر السوسي .

وفي هذه التراجم فوائد تاريخية وتعريف ببعض معالم مدينة سوسة وهما من الاهمية بمكان .

الصوفية في سوسة

(ابو جعفر احمد بن سعدون الاربسي)

... 323 ه (934 م)

عرف مصطاف مدينة سوسة (بشاطيء ابي جعفر) لوجود مدفنه في الزاوية المشهورة القائمة الى وقتنا هذا بطرف المدينة مما يلي البحر .

كان ابو جعفر عالما متورعا صالحا من القدماء سمع من يحي بن عمر ودون جميع مولفاته . وكان انتفاعه منه في المحنة التي اصابت يحي بن عمر من العراقيين (الحنفية) والحنفية اصحاب مذهب ابي حنيفة وكانوا من المقربين للاغالبة فمنهم الوزراء والكبراء والقضاة في القيروان . كما هو الشان في دار الخلافة في بغداد . وبسبب هذه المحنة هرب يحي بن عمر من الامير ابراهيم بن احمد الاغلبي الى سوسة واختفى واودع كتبه التي الفها عند ابي جعفر . فكانت عنده في داره فكتبها كلها بقلمه .

وكانت لابي جعفر الاربسي صحبة بابي جعفر القمودي وهو من الصالحين الفقراء فاسكنه الاربسي في دار سكناه لما له من العناية به.

وتوفي الاربسي في سنة 323 ه ودفن بشاطي بحر سوسة بالجهة التى كانت تعرف « بقبة الرمل » وهي معروفة في يومنا هذا وتعرف بزاوية سيدي ابي جعفر وعمره قد جاوز الثمانين سنة .

ابو جعفر القمودي

توفي سنة 324 ه (935) م

كان مشهور بالولاية منقطعا للذكر والعبادة وكان عاملا في حمامات المدينة يوقد النار فيها . ثم ترك الحمام واختار عمل الحلفا فكان يتقوت من عمل يده حتى هجم عليه امر فترك عمل الحلفا .

فقيل له لما تركتها ؟ فقال لهم : هجم على قلبي شيء هدَّ يدي ورجلي فما استطعت اعمل شيئا ؟ فرابط في قصر (الطوب) وكان قريبا من مدينة سوسة . وقال : انه جاز حصون افريقية كلها وقال : فما طاب على قلبي الا المقام بسوسة !

وكانت له زوجة لها منه ولدان ماتا قبل البلوغ ثم فارقها وتزوجت بعده وهو باق يدعو لها بالخير . لانها كانت محسنة له . وكان لها عليه صداق سبعون دينارا اعطاها سبعة دنانير وتركت له ما بقى.....

واخيرا كفله ابو جعفر الاريسي واسكنه في داره الى ان امات .

قال مرة لصاحبه (الاربسي) : ما تريد بجلوسك مع هؤلاء الذين يدخلون اليك و يشغلونك ؟ فقال له ؟ « للتانيس » بهم - فقال القمودي : (لو ذقت حلاوة الانس بالخالق ما احتجت الى موانسة المخلوق) وقال عن نفسه . ما اجد حس اقدام الناس اذا صعدوا الي من الدرج الا كضرب السياط في اكتافي !

وتوفي ابو جعفر القمودي سنة 324 وعمره (94 سنة) ودفن الى جانب قبر صاحبه ابي جعفر الاربسي الذي سبقه بستة اشهر لا اكثر .

ابو علي (الحسن بن نصر السوسي)

... - 341 هـ (952 م)

قال ابو الفضل الممسي : في نواحي افريقية اربعة رجال . سحنون بن احمد بن قلون بقسطيلية (بلاد الجريد) والحسن بن نصر بسوسة وحمود ابن سهلول بالساحل [1] وقمود بقابس .

كان الحسن بن نصر لا تذكر الدنيا في مجلسه . استمر اربعين سنة تزيد اذا ادخل شهر رمضان لم يكلم احداً من الناس ولا اهلا ولا ولدا . وذا اراد حاجة كتب بها ؟

---

(1) سهلول اسم قرية قرب حمام سوسة لا تزال موجودة باسم (سيدي سهلول)

ومع هذه التقوى البالغة فقد قيل عنه انه اشترى ربعا بسوسة وقرية المردين [1] و (منزل ابي سعيد) [2] .

وتفسير هذا التناقض ممكن لان المالكي قال عنه انه كان في ايام زيادة الله آخر ملوك بني الاغلب تولى منه النظر بين اهل سوسة .

فابو علي هذا كانت له ثروة من الولاية استطاع بها شراء ما ذكره المالكي . ثم لما انقلب الحكم لبني عبيد انتزعوا منه هذه المكاسب وجردوه من الرزق مثل ما كان منهم مع والد ابي اسحاق الجبنياني (راجع ما كتبناه عن ابي اسحاق) لذلك صار ابو علي لا يريد ان تذكر الدنيا في مجسه ! وان محنة التجريد هي التي دفعته الى هذا الزهد المرهق ولا يكون له سبب آخر فيما يظهر

وقال المالكي عن ورعه : انه سمع في ليلة حس مزمار ظهر من ناحية (قصر طارق) [3]

فخرج الشيخ ابو علي وصاح الى بعض جيرانه فذهبوا الى ناحية القصر من المغرب ، وظهر ان الذي نزل به هو الامير طاهر

---

(1) المردين قرية معروفة وقريبة من سوسة

(2) لعله القرية التي تعرف اليوم (بالمسعدين)

(3) قصر طارق بسوسة هو قصر القصبة

جاء من المهدية وهو ابن عم اسماعيل المنصور حفيد عبيد الله المهدي اتى ومعه العسكر والملاهي • فقال الشيخ اجمعوا الناس . فلما جمعوهم قال لهم : اتصلوا بهذا الفاسق وقولوا له : اتيت بالمنكرات الى رباط المسلمين ، اخرج عنا والا جاهدناك حتى تخرج • فذهبوا اليه وعرفوه ما قال الحسن . فقال لهم : انا منصرف عنكم بالغداة . وقطع الذي كان عنده . فلما اصبح رحل عنهم .

قال المالكي : وكان من هذا من الحسن بعد تركه النظر بين اهل سوسة لانه انما ولي في ايام زيادة الله •

وبعد اخماد ثورة ابي زيد الخارجي جاء اسماعيل المنصور بنفسه الى مدينة سوسة فنزل في الملعب « في الجهة القريبة من المدينة » وقال لعبده (جوهر الصقلي) تذهب الى الحسن بن نصر فتاتني به بعد ما ينام الناس • فركب جوهر واتى دار الحسن فاستاذن وقال يخرج الي الشيخ فطلع ولده اليه ورجع لوالده فوجده في حالة عبادة • فاعتذر عنه فابى جوهر الى ان خرج اليه الشيخ واجتمع به واعتذر اليه باعذار كثيرة وجرت بينهم مراجعات طويلة •

فقبل جوهر اعذاره وقال له انا اجتمع بمولاي واحمل عنك هذا الامر وارجع اليك بما يكون في ذلك فلما كان عند السحر عاد

اليه و قال له : قد اجتمعت بمولاي و اخبرته اعــــذارك . فعذرك وشق عليه ان لم يجتمع بك وهو يقرأ عليك السلام ويسالك الدعاء فقــال له قل له اصلحك الله للمسلمين و اصلح جميع قضاتك ولم يزده على ذلك ...

وكان ابو علي في ايام حكمه بمدينة سوسة يجلس في القبة التي يؤذن فيها في جامع سوسة وكانت تشرف على ابواب البحر . وجلوسه في هذه القبة يكون في ايام الموسم و قدوم اهل القيروان الى الرباط[1]

و توفي سنة 341 ه وحضر جنـازته خلق كثير من القيروان .

و قبره قد يكون بالقرية المسماة باسمه المعروفة ب (سيدي بو علي) قرب مدينة سوسة .

ابو اسحــاق الجبنيــاني

(280 ـ 369 ـ ه (893 ـ 979 م)

في افـريقية رجلان لهما شهرة فائقة في العلم والصلاح وهمـا ابو اسحاق الجبنياني ومحرز بن خلف ولكل منهما مناقب مفردة في كتاب مخطوط الاول الفه ابو القاسم عبد الرحمان اللبيدي الحضرمي

(1) اعتمدنا في هذا التراجم الثلاث على صورة لمخطوط الجزء الثـاني من كتاب رياض النفوس للمـالكي وهي من خـزانة الاستـاذ الجليل ح . ح . عبد الوهاب اطال الله حياته .

والثاني الفه حفيده للبنت ابو طاهر محمد بن الحسن .

وقد قرات الكتابين من خزانة الاستاذ ح . ح . عبد الوهاب وفيهما الشيء الكثير عن العصر الصنهاجي وما كان فيه من صراع ومذابح بين اهل السنة والشيعة العبيدية القائمة بحماية آل بني باديس الحاكمة في البلاد . وعلمنا ان الاستاذ (الهادي رجي ادريس) قد ترجم هذين الكتابين الى الفرنسية ونشرهما مع الاصل في كتاب واحد سنة 1959 .

وابو اسحاق الجبنياني هو ابراهيم بن احمد بن علي بن سالم البكري ولد سنة 280 ه وكان ابوه احمد واليا لبني الاغلب على الخراج وكان جده علي قاضيا على مدينة صفاقس واسس رباط (المحرس) وفي القديم كان يعرف برباط علي . وكان ثريا يملك جميع قرية جبنيانة بما فيها وله رباعات كثيرة بمدينة صفاقس وكان هذا الجد من اصحاب الامام سحنون ويتآخى مع ابنه محمد بن سحنون فقد ارضعته ام محمد .

الا ان ابا اسحاق قد شب في الوقت الذي انهارت فيه دولة بني الاغلب وتحكمت في البلاد دولة بني عبيد . ودولة بني عبيد صادرت والده وانتزعت منه ما يملك وما انجر له من والده القاضي من رباعات وعقارات بمدينة صفاقس وقرية جبنيانة .

قال عياض : « وكان والده اذا اخرج الى منازله خرج في عسكر كما يخرج الوزراء وخصص ابنه ابا اسحاق بمعلمين اثنين وحكى من عاينه فقال : رايناه ومن حوله خمسة عشر صقلبيا موكلين بحراسته ».

وفي ايام بني الاغلب كان والده يخرج الى جبنيانة وينزل بها الشهر والشهرين وكان بجوار القرية معلم يعرف « بابن عاصم » اشتهر بالعبادة والخوف والبكاء واجابة الدعاء والناس يتبركون به. فكان ابو العباس احمد مدة اقامته بجبنيانة يوجه ابنه ابا اسحاق كل صباح ومساء الى ابن عاصم لعلمه ما يعلمه. فلم يلبث ابو اسحاق حتى دخل قلبه ما كان يسمعه من وعظ ابن عاصم وتخويفه الى ان انخلع ابو اسحاق من الدنيا ولبس عباءة الصوف وهرب عن والده . فبحثوا عنه فلم يعرف له مكان وبعد مدة وجدوه بسوسة يعجن الطين بالاجرة . فلما خاطبوه قال : قولوا لوالدي اكنت تظن انه يخرج من ظهرك من يطلب الحلال؟ ويظهر ان خروجه عن والده كان بعد نكبة المصادرة من بني عبيد .

اما والده فقد خرج الى الشرق حاجا وحمل معه اهله وبناته وزوجهن بمصر وفي مصر اصابته فاقة خلصه منها رجل كان يعرفه ويعرف جاهه في افريقية وسبق له الانتفاع باحسانه . فخلصه من فاقته وساعده على متابعة السير الى الحجاز فحج وجاور الى ان توفي .

وبقي ابو اسحاق في افريقية ينتقل من بلد الى بلد يتعلم العلم

ويعمل لكسب قوته من عمل يده . وتقول المناقب انه ادى فريضة الحج في سنة 314 هـ والمفهوم انه قد اجتمع في الحجاز بوالده ورجع الى افريقية ودخل القيروان واخذ العلم عن ابي بكر بن اللباد فكان ياتيه من حين الى حين ومعه جرادق من دقيق الشعير يفطر على واحدة في كل ليلة وياتي الى بئر (روطة) فيشرب من مائها .[1]

كان ابن اللباد معجبا بابي اسحاق واطول دراساته كانت (بالساحل) على ابي عبد الرحمان حمود بن سهلول الفقيه الزاهد .[2]

ولابي اسحاق اجازة من عيسى بن مسكين وفي ذلك دليل على تمكنه ورسوخ قدمه في العلم والادب مع الوثوق به .

اجتماع قادم من الحج بابي اسحاق وقال له : اتحب ان اعطيك مما عندي من حصايا المسجد الحرام تسبح به ؟ فقال له ابو اسحاق : يا احمد أرم بهن فعلى ما هو اقل من هذا عبدت الحجارة ؟

وجاءه مؤدب من اصحابه وكانت فيه غفلة وقال له : جئتك بتحفة وقدم اليه صحيفة تتضمن ان سلام الاسود المتعبد راى النبيء

(1) بئر روطة في مدينة القيروان ذكرها ابن شرف في شعره المدون في الذخيرة لابن بسام ونص المناقب يعرفنا باقدم تاريخ كانت البئر فيه معروفة بهذا الاسم .

(2) سيدي سهلول قرب حمام سوسة فيها زاوية عليها قبة مشهورة باسم سيدي سهلول

ﷺ في المنام وحدثه باحاديث كثيرة وانه راى منها ما صح نقله ومنها الضعيف . فانكر عليه ابو اسحاق انكارا شديدا وقال له : روايات السند لا تؤخذ من المنامات .

وفي المناقب : ان للقابسي حواراً جرى بينه وبين ابي اسحاق وانتهى بتسليم القابسي . وكان القابسي يعظمه ويهابه . وابو اسحاق كان فصيح اللسان لا يلحن وهو يندد بمن يلحن في الرواية .

كان ابو اسحاق شديد العداوة لبني عبيد حتى انه خرج مع من خرج لقتالهم في ثورة مخلد بن كيداد . وهو يقول : ان اهل السنة لا يكفرون احداً من اهل القبلة بذنب ما دون الشرك ولكن ليس على المرء ان يحب من يكره كما يحب من يحب . »

قال اللبيدي : راى ابو اسحاق أقواما عليهم مرقعات وبايديهم ركاء . وصلو فلم يحسنوا الصلاة فقال لهم : حصنتم ابدانكم بهذه المرقعات ولم تحصنوا اديانكم . قوموا فصلوا فعلمهم كيف يصلون !

وهذا يذكرنا بما وقع لابي يزيد البسطامي مع السندي وقد اجتمع به في الحج فكان البسطامي يعلم السندي مناسك الحج والسندي يعلم ابا يزيد البسطامي « طريق الوصول الى الله »

كانت بجهة ابي اسحاق بئر تعرف « ببئر العافية » يعالج الناس بمائها المرضى واعتقدوا فيها فهدمها ابو اسحاق !

اراد ابنه ان يتزوج بصبية يتيمة فقيرة فشاور عنها والده فسكت عنه ابو اسحاق فعاوده . فقال له يا بني انك قلت اتزوج لله وهذا يحتاج الى ايمان قوي لان الزمان يطول وقد يحدث لكما « الولد » وتقع الحاجة فتندم . ولكن تزوج امراة لها شيء من الدنيا تعينها وتعينك عسى ان يقوى ايمانك معها ! فعمل الولد بنصيحة والده ابي اسحاق .

وصل الى افريقية ابو حامد الخراساني وجاء ابا اسحاق وسلم عليه وقال له : جئت من خراسان زائرا ؟ فقال ابو اسحاق : ان صدقت فانت احمق وان قبلت هذا منك فانا احمق منك . كيف تترك العراق ومن به من العلماء ثم حرم الله وحرم رسوله والشام ومصر وتاتي الى المغرب الى شيخ جبنيانة تقول له هذا ؟ فبكى ابو حامد وقال : لو لم يكن هذا لم آتك ! هذه صور لابي اسحاق من مناقبه تجعلنا نفهمه كما هو : يمثل العلم والحزم والواقع

توفي ابو اسحاق سنة 369 ه وهو في التسعين من عمره (وترك سبعة من الابناء منهم ابو طاهر الذي روى عند اللبيدي مناقب والده) ودفن قريبا من قرية جبنيانة بجهة الشرق وعلى قبره قبة ومقامه بها مشهور .

ابو ميسرة احمد بن نزار القيرواني

المتـــوفي سنة 337 ه

كان ابو ميسرة مشهوا بالعلم والعبادة وكثرة التهجد والانقطاع مع التمسك باليقين

قال الدباغ ! .. وكان ذات ليلة يتهجد و يبكي و قد اتى على صلاته واذا بنور عظيم قد خرج له من حائط البيت كانه محراب (وانبعث) منه صوت يقول : تامل من وجهي يا ابا ميسرة فانا ربك الاعلى ! فما كان من ابي ميسرة الا ان بسق في وجهه وقال : اذهب يا ملعون عليك لعنة الله [1]

وهكذا لولا ثبات العقيدة الاسلامية في قلب ابي ميسرة لاهتز لهذا النور الذي ينادين من السمـاء وشطح له شطحة صوفية واستسلم لما يتوهمه من خيالات بعيدة

محرز بن خلف بن رزين الصديقي التونسي

340 ـ 413 ـ ه (951 ـ 1022 م)

هذا هو الرجل الصالح المشهور في مدينة تونس الملقب (بسلطان المدينة) ! اجل انه كان فيها من الصالحين ومن السلاطين ايضا وهذا ما سياتي الكلام عنه .

---

(1) معالم الايمان جزء 3 ص 5

عرف محرز بن خلف بالعبادة والتقوى و تعليمه الصبيان كلام الله عز وجل (فهو مؤدب)

كانت له قرابة بالشيخ ابي عبد الله محمد بن ابي زيد القيرواني. ولم يتاكد انـه ابن خـالته. وكـان محرز يزور القيروان ويستقر ضيفا عند ابن ابي زيد وهو اصغر من ابن ابي زيد بثلاثين سنـة .

وله مناقب دونها حفيده للبنت ابو طاهر محمد بن الحسن في سنة 430 ه قال ابو طاهـر: كنت يوما جالسا الى جانب المقصورة بجامع القيروان اذكر اني الفت في اخبار المؤدب محـرز بن خلف • وكان الى جانبي رجل لا اعرفه قال لي : قد الف غيرك اكثر منك . فقلت له : « اكان الناس في التاليف سواء ؟

يعتمد ابو طاهر في هذه المناقب على ابي زكريا يحي بن عبد الرحيم بن احمد النجاري وعلى ابي محمد منَّ الله بن علي الكـراتي الباجي . وكلاهما اجتمعا بالمؤدب محرز بن خلف . قال ابو زكريا لم اجد في نفسي لاحد من الناس مثل هيبة محرز بن خلف . ويقول المؤلف معقبا على هذه الشهادة • يقـول ذلك على كثرة من لقي ابو زكـريا من العلماء والفقهاء واهل الحديث من اهل خراسان واهل العراق والشام واهل اليمن والحجاز ومصر وصقلية •

وفي المنـاقب تزكية اخرى من ابي بكر البافلاني المالكي البغدادي المتوفي 403 هـ 1012 م يقول فيها : « لو ادرك محرز بن خلف رجال السلف لكان خامس الاربعة

كان محرز بن خلف في شبابه يعلم القرآن في اريانه . وسكن بد ذلك قرطاجنة وكانت تعرف بمرسى الروم ومن قرطاجنة انتقل الى مدينة تونس واشترى داراً بناحية باب سويقة (داخل سور المدينة) واسس بجوارها مسجدا له جب وابواب وداراً ثانية لسكنى الطلبة .

ويقال انه كان يعلم الفقه والحديث . قال ابراهيم بن خلف : قرات عليه الموطأ في يوم واحد الا كتاب الحج سمعته منه في الغد وقرات عليه المدونة . ومن جهة اخرى قـال المؤلف اخبرني عبد الجبار . قـال : المؤدب محرز بن خلف : كنت لا اعرف ما في المدونة امن كلام مالك (هـي) ام من قول ابن القاسم ؟ فاذا انا بمالك فسالته وارشدني ! ؟

وفي رواية اخرى ان ابراهيم البسكري دخل يوما الى بيت المؤدب محرز وهو بقصر « قربص » قال فوجد به ثلاثة الواح كبار كل لوح منها كتب في الوجهين بخطه فقلت لمحرز مـا هذا ؟ فقال : كتبت فيها مسائل الخلاف بين اصحاب الامام مالك رحمه الله. فنظرت فيها لاقيم لنفسي من ذلك مذهبا على جهة النظر . ؟

قال ابو طـــاهر : وهذا يدل على علمه بطريق الدلائل والاثار ولا يصح الا لاهل العلم هذا . وكل هذه الروايات على ما فيها من المبالغة لا تدل على ان المؤدب محرز كان من العلماء المعروفين بعلمهم .

محـرز بن خلف ورسالة ابن ابي زيد

المعروف عند الفقهاء بتونس ان رسالة ابن ابي زيد الفها صاحبها بطلب من محرز بن خلف ليفقه بها المتادبين من صبيانه .

ويظهر ان الواقــع يخالف ذلك فالدباغ يقــول : ان ابن ابي زيد الفها بطلب من ابي اسحاق السبائي وانها اول تآليفه وانه اتمها في سنة 327 ه . (وابن ابي زيد توفي سنة 386 ه وقد عاش 76 سنة)

ويقول ابن ناجي نقلا عن ابي عبد الله محمد بن سلامة التونسي وعن ابي علي ناصر الدين البجائي انها كانت بطلب من محرز بن خلف .

فاذا كان التاريخ صحيحا ويظهر ان الدباغ واثق بصحته فان الرسالة تكون سابقة الوجود بثلاثة عشر عاما عن ولادة محرز بن خلف (340 ه)

والمفهوم من الروايتين ومن ظروف الخلاف القائم بين الشيعة واصحاب مالك بن انس ان الغرض من تاليف الرسالة كان مدبرا من شيوخ فقهاء المالكية بالقيروان لانهم قد تحملوا الكثير من ضغط بني

عبيد على مذهب مالك وقد منعوهم التعليم بكتب المذهب مثل المدونة وغيرها . حتى صار تعليم المدونة من شيخ الى تلميذ يذهبان بها خفية الى احد المقابر خارج مدينة القيروان ! واستمر هذا المنع في دولة بني باديس الى ان تآمر اهل السنة على مقاومة الشيعة . فكان تاليف هذا الملخص الفقهي لتفهيم ابناء المكاتب حقيقة المذهب المخص المالكي المهدد بالانقراض من الشيعة تدبيرا لرد الفعل . وان محرز بن خلف كان من المؤدبين المنتفعين بهذه الرسالة كغيره من المتحمسين لمذهب مالك

محرز كولى له كرامات

وفي المناقب كرامات منسوبة اليه منها انه وجد بنت بن ابي زيد في احدى زياراته لوالدها بالقيروان في حالة لا تستطيع الوقوف بسبب شلل اصابها فتوجه محرز بن خلف الى الله ودعا لها . فقامت البنت على قدميها ومشت من ساعتها فتعجب من كان حاضرا . فقال المؤدب محرز : لا تتعجبوا والله ما قلت الا : « اللهم بحرمة ابيها عندك اكشف ما نزل بها فشفاها الله ببركة ابيها » .

كان المؤدب محرز كثير التردد على القيروان . ولم يترجم له الدباغ لانه من صلحاء تونس لا من صلحاء القيروان . ولكنه يذكره من حين الى حين في تراجم اصحابه . وذكره عرضا فقال : جاء مرة الى

القيروان وبات عند « رزق الله » ؟ وفي الضحى قال محرز لصاحبه هل قام الناس عن الشيخ ابن ابي زيد فقال له نعم فاخذ رزق الله معه طريقا تجنب ان يكون فيه خمارة او شيء آخر يكرهه الشيخ محرز قال رزق الله : فلما قربنا من دار الشيخ وجدنا الباب مغلوقا وعبد الحميد قائم على الباب فاخبرته بمجيء محرز بن خلف لزيارة الشيخ فقال : لا اعرف محرز ولا غيره ؟ لان الشيخ نائم قال فصحت برفع صوتي للشيخ ابي محمد قائلا : محرز اتاك ليزورك . فخرج الشيخ خائفا وهو يصيح قبل وصوله لئلا يرجع المؤدب محرز وفتح الباب اليه .

وهذا مما يدل على ما لمحرز بن خلف من المكانة عند ابن ابي زيد كما انها تقلل الاعتماد بانهما ابنـاء خالات او لهما قرابة عائلية قريبة .

كان المؤدب محرز قبل ان يتصدى لمقاومة الشيعة وهو يقيم بقرطاجنة . لا ياف الا اصحابه . فلما انتقل الى مدينة تونس وسكنها صار يتقرب من الفقراء والغرباء ويؤالفهم وهم يترددون عليه . ويزوره عدد كبير منهم في المراسم ومنهم من يتمكن من مصافحته ومنهم من لا يصل اليه فيمس ثوبه ويمسح بها على وجهه .

كلامه واوصافه

كان ادم اللون في عينيه رطوبة معتدل اللحية وفي ظهره انحناء

يلبس الصوف ويردأ به ويقول : المؤمن ياكل ما حضر ويلبس ما ستر ويأخذ ما صفا ويترك ما كدر .

وكان اذا ذكر الصوفي عنده يضحك ويقول : الصوفي من لبس الصوف على الصفاء ورمي الدنيا خلف القفا .

قال ابو طاهر عن فصاحته : انه كان مطبوعا على الاعراب لا ينطق الا بالصواب وقال عن ابي القاسم النحوي البزار انه قال : جعلت بالي من المؤدب محرز فما وجدته يلحن في كلامه قط ولا يتكلم الا بكلام العرب

وهل المؤدب محرز من الشعراء ؟

تنسب اليه اشعار وعظية صوفية منها قصيدة في وصف اطلال مدينة قرطاجنة اولها :

خليلي مرا بالمدينة واسمعا	مدينة قرطاجنة ثم ودعا
طلولا بها تبكي لفقدان اهلها	كما تندب الاطلال كسرى وتبعا

ولا شك ان المؤدب محرز كان بعيدا بطبيعته عن الشعراء وعن اشعار الشعراء والمناقب لم تذكر له شيئا من الشعر ولو كان بيتا واحدا. وقد تكون القصيدة القرطاجنية نظمها غيره من المتاخرين ونسبها اليه (كصدقة منه جارية ناجزة وخفية)

المؤدب محـرز يتآمر ويثور على الشيعة

الشيء الذي يستلفت النظر من حياة محرز بن خلف هي الجاذبية التي استطاع بها ان يحرك بها اهل السنة في مدينة تونس وغيرها ويدفع بهم الى الثورة على الشيعة . والشيعة كانت مذهبا للدولة ولوزراء الدولة وعقيدة الاثرياء والمحظوظين واصحاب النفوذ والجاه .

اعلن محرز بن خلف هذه الزعامة اثر وفاة باديس ومبايعة ابنه المعز سنة 406 هـ 1015 م وكان عمر المعز حين المبائعة لا يتجاوز الثمانية اعوام وكان محرز بن خلف في السادسة والستين من عمره .

بدات الثورة بعد شهور من المبائعة في تونس بزعامة محرز بن خلف وتلك هي الثورة الاولى التي ظهرت في تونس قبل ان يستشهد زعيم القيروان (وكبير اهل السنة ابو علي بن خلدون) سنة 407 هـ وفي المناقب ان رجلا من اهل تونس رجع من الحجاز ودخل على المؤدب محرز بن خلف وسلم عليه . فساله الشيخ عن الحجاز ثم ساله كيف اصحابنا بالقيروان ؟ وهل رايت احداً من اهل العلم ؟ فقال : نعم . ثم قال له دخلت على الشيخ ابي علي اللبوني واستشرته في القدوم الى تونس على اثر هذه الحادثة (حادثة قتل الشيعة في تونس) وذكرت له ما انا عليه من الشوق الى الاهل ومن الاشفاق عليهم والتخوف . فقال :

هذا امر يخاف منه على الرجل • والراي عندي الا تقدم على بلد هذا حاله • فخرجت ودخلت على ابي علي الحسن بن خلدون • فما كاد ان يسلم علي حتى قال لي : الحق باهلك (واهله بتونس) فانك مشتاق اليهم • قلت في هذا الوقت ؟ قال نعم ! ثم قال لي اخرج الى تونس فانهم في امن مما كانوا عليه اذ انتقموا لله ولرسوله وانما يخاف علينا اذ لم نفعل ما فعلوه ؟

وهذا نص من المناقب يشير الى ثورة تونس على الشيعة قبل ظهورها الاول في القيروان والثورة الاولى في القيروان التي استشهد فيها الحسن بن خلدون وكانت في سنة 407 هـ 1016 م • اما ثورة محرز بن خلف في تونس فكانت وتمت في حياته وقال عنها : والخوف علينا اذ لم نفعل ما فعلوه) ؟ •

ثـورة تونس

بدأ محرز بن خلف ثورته فقال لاصحابه : هل ان قتل المشارقة « وهم الشيعة الغالية » مما يرضى الله ؟ قالوا نعم قال وتركهم مع القدرة عليهم مما يسخط الله ؟ قالوا نعم ؟ فقال اليوم قتلهم ! فشرعوا في القتل ومات جماعة من المشارقة في اهل تونس • وتدخل بعض الناس من اهلها واحاطوا بمسجد دار المؤدب محرز

منكرين القتل. فقال محرز لاصحابه ان احاطوا حيطوا بهم ففعلوا. فما كان الا ساعة حتى أتى القوم يبكون ويتوبون ويستغفرون الى المؤدب من انكارهم عليه ؟

تفـاصيل خطيرة

يقول ابو طاهر : « فلما كانت سنة 406 ه واربعمائة قتل الناس المشـارقة واستاطلوهم فكان يؤتي بالرجل منهم فيشهد عليه بحضرته اي (بحضرة المـؤدب محرز بن خلف) فيقتل بشهـادة الشيخ خـاصة لا يحضر غيره من العدول او يتركه اذا لم يثبت عليه شيء . !

وله كرامات داخلة في نطاق الثورة منها : ان رجلا اتاه قبل قتل الشيعة واخبره انه يريد ان يتزوج وليس لديه شيء . فمـازحه الشيخ وقال له : (خذ الفرق على قمح ابن العظيم) (وكان ابن العظيم من اغنياء الشيعة) فاخذ من الناس على القمح وتزوج . وبعد قليل قتل الناس الشيعة وفتحت مطامير ابن العظيم فكان الرجل ينقل القمح منها ويودي الفرق الذي اخذ وخزن عولته ؟

اسـرار اخـرى في المنــاقب

قال ابو علي الصيـــاد : اتاني اقوام من اهل الباس والنجدة باثر قتل المشارقة وخرج الناس الى المراسي . وما ذكر من نفود يعلا

بن الفرج من القيروان الى تونس ليجعلهـا خبرا وحديثا اخذاً بثار المشارقه .

وقالوا ما ترى ؟ فقلت لهم ما لنا من الراي الا ان هذا الامير (يعلا بن الفرج) منسوب الينا والى المؤدب محرز بن خلف وقمنا ودخلنا على المؤدب محرز فوجدناه في اشر الحالات وما رايت اجمل منه في ذلك اليوم . قال فجلسنـا ندبر كيف يكون الامر . واذا بالمؤدب رد وجهه رضي الله عنه الي وهو متبسم وقال لي : كنا نظن ان اصحابنا ويعني الشيعة شيء يذكر فاذا هم خشب بلا قلوب . ثم دخل في حديث آخر فقلت لهم قد سمعتم . ولكن دعوا الامر يكون منه ما شاء الله .

استعمال الحمام الزاجل في الثورة

في المناقب اشارة الى استعمال الحمام الزاجل في الثورة فقد كانت المراسلة بين صديقين من اهل السنة جارية بهذا الحمام . وكان احدهما في القيروان والآخر في تونس وهو المخبر لمحرز بن خلف.

وفي بـاجة

تسمى المناقب رجلا من باجة باسم « منَّ الله » قال من الله الباجي : كنت عند المؤدب محرز بعد قتل المشارقة بتونس فقلت له:

قُتل المشـــارقة في تونس ولم يقتلوا عندنا بباجة ؟ فقال المؤدب محرز ارجو ان يقتلوا عندكم ثم دعا لنا ... وقال (فصل الله عليكم العار والحكم بالناس) .

قال من الله فوصلت الى باجة يوم السبت وتم قتل المشـــارقة يوم الاثنين .

في القيروان

قال ابن ناجي : وسبب قتل ابي علي بن خلدون انه لما قدم المعز بن باديس القيروان بعد موت ابيه واستفتـــاح ولايته وذلك في منتصف محرم سنة سبع واربعمـائة (407 ه) قتلت العـــامة الرافضة بالقيروان اقبح قتل وحرقوهم وانتهبوا اموالهم وهدموا ديارهم وقتلوا نساءهم وصبيانهم وجروهم بالارجل .

وخرج الامر من القيروان الى المهدية وســـائر بلادهم فقتلوا حيث وجدوا واحرقوا بالنار ولم يترك احد منهم بمدائن افريقية الا من اختفى . ولجـات الرافضة الى مســاجد المهدية فقتلوا فيها وهدموا دار الامارة .

ومن الصورة المدونة عن هذه الملحمة الفضيعة ان العامة جاؤوا متعلقين برجل مشكـــوك فيه فقـــالوا نسير به الى الشيخ ابي علي بن

خلدون يامرنا به فقال شيخ من العوام (أُقتلوه الان ـ فان كان رافضيا اصبتم وان كان سنيا عجلتم بروحه الى الجنة) !

فزع المعز بن باديس من هذه الفتنة وبادر لقمعها ودبر قتل المتزعم لها من اهل السنة (ابا علي بن خلدون) فهجم رجال السلطان على مسجده وقتلوا من كان فيه وجرح ابن خلدون جراحات عديدية توفي بسببها في الغد . وتقول الرواية في النهاية : (وقام في تونس مع من قام محرز بن خلف) . مع ان رواية المناقب تؤرخ ابتداء الثورة في تونس في سنة 406 ه وفي وقت كان فيه ابن خلدون بقيد الحياة . ونقل عنه انه قال : لو كان حزام محرز بن خلف في وسطي « فتحت الارض من قاف الى قاف » ؟

وقد تكون الحوادث تجددت متعاقبه من حين الى حين باعتبار ان البداية كانت في تونس سنة 406 ه وفي سنة 1421 اعيد الضغط على الشيعة في القيروان .

ظهير من المعز الى محرز بن خلف

في آخر المناقب نص ظهير من المعز بن باديس الى المؤدب محرز بن خلف فيه تعظيم وتمجيد من الامير الى المؤدب وفيه اعتراف بولايته وبركاته ويمنحه به التحرر من المكوس ومن دفع الضريبة للسلطان وهذه نصوص منه :

« هذا ظهير كريم من القائم الناصر لدين الله المعز بن باديس للشيخ الصالح الكبير القدر محرز بن خلف لطف الله به قصد به وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم وما امر به من السلف المتقدم من اكرام أهل العلم والدين . لان في اتباع طريقهم خلص من الشك واقتداء ومن قصد الى طريقهم اخرج من الضلالة الى الهدى وانقذ من الجهالة والردى .

ثم يقول بعد تمجيد الاولياء والصالحين : « فانتم افاضل اوليائه واصفيائه واتقيائه » وبعد اطراء لا مزيد عليه يخاطبه فيقول : « فاقتضى النظر بهذا الظهير لجماعتكم بحفظكم ورعايتكم وحمايتكم وحسن معاملتكم وحفظ الانصار السائرة الى حضرتكم . وحسم الايدي الممتدة الى اساءتكم واهلكم واموالكم ورباعكم بحاضرة تونس وباديتها وشركائكم واتباعكم ومن عرف بكم وانتسب الى نسبكم واوى الى جنابكم ورفع الايدي عن عشوركم في قرية « اوشانة » وقرية (الفول) و (طرقلاش) و (منزل خارجة) [1] و (قرية الحمام ومـا اطاف بمدينة تونس وحرم داركم وزاويتكم . ورفع الايدي عن الاعتراض

---

(1) في المناقب قبل ان يدخل المؤدب محرز الى تونس ويستقر فيها اتفق مع رفيق له ان يذهبا معا ليقضي كل منهما (مدة العيد) عند والدته وذهبا معا حتى وصلا الى (خارجة) وبعد مبيتهما في جامعها نهضا صباحا وبلغ كل منهما قبل (انقضاء المرحلة) الى نزلهم ولذا فالمفهوم انه كان مع والدته بجهة قريبة من خارجة ، المعروفة في وقتنا هذا

عليكم بدخول النساء بحماماتكم وحوانيتكم ومحلكم . وتسريح
اعشاركم واجرائكم على رسمكم وجري عادتكم طابعين بجميع ذلك
لما تضمنه هذا الظهير الكريم . فلا يغيره مغير عليكم ولا يكون مكدر
لديكم ولا يخيل فيه متخيل عليكم . ولا يتطاول فيه متطاول . فمن
وقف على هذا الظهير من العمال وسائر الولاة امره بذلك القائم بالله
الناصر لدين الله ليعمل به ممتثلا شروطه ان شاء الله تعالى . واقفا عند
حدوده وزواجره غير عاجل لنفسه بالعقوبة لمخالفته او مخالفة شيء منه
ان شاء الله تعالى بتاريخ عشرة بقين من ربيع الآخر عام سبعة واربعمائة»

وفاة محرز بن خلف

توفي محرز بن خلف رحمه الله وغفر له سنة 413 ه واختلفوا في
سبب موته فقيل عرض بالليل (ومعناه ان واحدا من الشيعة قد اغتاله)
وقيل دس عليه من سقاه سماً ؟ وقد جاوز عمره السبعين وترك اربعة ابناء
وهم محمد وعبد العليم وعبد القادر والرابع لم يذكروا اسمه وترك بنات
لم يذكروا اسماءهن . ولازم ولده المسجد من بعده وصلى بالناس بعد
والده الى ان توفي ودفن عند رجلي والده محرز .

يحي الشقراطسي التوزري وابنه عبد الله

هو يحي بن علي الشقراطسي نسبة الى شقراطس (حصن كان
بالقرب من مدينة قفصة) ولد بمدينة توزر وشب بها وتعلم ثم انتقل الى

مدينة القيروان في طلب العلم فاخذ عن عبد الله بن ابي زيـــد صاحب الرسالة (والتصانيف الكبرى في الفقه المالكي الملخصة من امهات كتب المذاهب) . وعن ابي الحسن القابسي وغيرهمـا . ثم رحل الى المشـرق واخـذ عن علمـائه ، وحـج الى بيت الله الحـــرام ، ورجع الى توزر وتصدى للعبادة والتدريس . وكانت له مكاتبات مع شيخـه ابن ابي زيد في الاستفتاء اشار اليها الدباغ في ترجمة ابن ابي زيد واثبت اليه مرثية بليغة في شيخه نظمها لما بلغته وفاته .

وتوفي يحي في سنة لم تذكر وخلف ولدا صـالحا تعلم كوالده ، واسمه عبد الله الشقراطسي اقتدى بولده واخذ عن علماء القيروان منهم عبد المنعم الكندي وابو عمران الفاسي والسيوري.ورحل الى الحجاز فحج . ورجع الى توزر وانتصب كوالده للتدريس بجامعهـــا العتيق وتوفي سنة 466 هـ (1073 م) وقبره بجانب قبر والده خـــارج مدينة توزر في زاوية معروفة به . وعبد الله السقراطسي هو صاحب القصيدة المشهورة باسم (الشقراطسية) في مدح خير البرية انشدها على قبر الرسول بالمدينة المنورة وقد عشرها تلميذه ابو الفضل النحوي وبها بدا يتاثر بالتصوف الى ان بلغ ما بلغ منه

ولابي محمد عبد الله الشقراطسي مرثية في شيخه عبـــد المنعم الكندي (معالم ج 3 ص 229) قال :

باي سلاح والحمام محـــارب   اطاعن في نحر لـرد واضـرب
سلوني عن الارزاء اني شقيقهـا   وعنـدي من انبائهـن غـرائب
اطاحت بي الارزاء من كل جانب   كاني في القربى اخوها المناسب
وقلت لعبـد المنعـم ابن محمـد   تنال جسيمات وتقضى مـآرب
فمن للموطأ والبخاري بعــــده   اذا بهرت منها الرحال الغرائب
ومن لاصول الفقه ينظم سلكها   اذا اشتبهت اعجازها والغوارب

ابو الفضل يوسف ابن النحوي التوزري

434 ـ 513 هـ (1042 ـ 1119)

يوسف بن محمد بن يوسف قال ابن الابار اخذ صحيح البخاري عن اللخمي واخذ عن المازري وابي زكريا الشقراطسي وعبد الجليل الربعي . جاء الى اللخمي مرة فساله اللخمي ما جاء بك ؟ فقال له جئت لانسخ تاليفك (التبصرة) فقال انما انت تريد ان تحملني في كفـك الى المغرب ؟

كان ابن النحوي متضلعا في اصول الدين والفقه يميل الى النظر والاجتهاد وكان شاعرا بارعا متفوقا في الصناعة الشعريـــة والادب وقصيدته (المنفرجة) الذائعة تشهد له بذلك [1]

---

(1) والبيت الاول : اشتدى ازمة تنفرجي   قد آذن ليلك بالبلج

انتقل من توزر (بسبب مضائقة السلط له) الى المغرب الاوسط (بجاية وقلعة بني حماد و تلمسان) ومنها الى فاس « وفي فاس ظهرت مكانته في الزهد والعلم والتقوى وانتصب للاقـــراء. قال اا اضي ابو عبد الله محمد بن علي بن حماد هو في بلادنا بمنزلة الغزالي في العلم والعمل وكان لا يقبل من احد شيئا انما ياكل بما ياتيه من دخل املاكه بتوزر

قال الشيخ عبد الرحمان بن عيسى بن ملجوم الفـاسي : ورد ابو الفضل فاسا فلازمـــه ابو موسى وحفظ عليه (لمع) الشيرازي عـام 494 هـ (1083 م)[1] ودخل سجلماسة واقرأ بها (الاصلين) فقال احـد رؤساء البلد هذا يريد ان يدخل علينا علوما لا نعرفها وامر باخراجه من المسجد فخرج و قال له : امت العلم اماتك الله . وجرى له كذلك في فاس مع قاضيها ابن دبوس .

ولما افتى الفقهاء باحراق كتاب (الاحياء) للغزالي في صحن مراكش ووصل كتاب علي بن يوسف اللمتوني بذلك وتحليف الناس لايمـان المغلظة ان ليس عندهم كتاب الاحياء . كتب ابو الفضل للسلطان فتوى بعدم لزوم تلك الايمـان وانتسخ الاحياء في ثلاثين جزءا . وقال : وددت لم انظر في عمري سواه !

---

(1) اللمع في اصـول الفقه لابي اسحاق ابراهيم بن محمد الشيرازي المتوفي سنة 476 هـ وهو غير كتاب (اللمع) للسراج الصوفي .

واخيرا رجـع الى قلعة بني حماد واخــذ نفسه بالتقشف وهجر اللبـاس اللين ولبس من الصوف الخشن وكانت جبته الى ركبتيه

وفي القلعة مر يوما بالفقيه ابي عبد الله بن عصمة المفتي ولم يسلم عليه لشغل باله فعظم ذلك على ابن عصمة فلما رجع ابن النحوي ناداه محتقرا وقال له : يا يوسف فلباه وجاءه فقال له يا توزري : صفرت وجهك ورققت ساقيك وصرت تمر ولا تسلم ! فـاعتذر ابن النحوي . فلم يقبـل منه واغلظ له في القول فقـال له ابن النحوي : غفر الله لك يا فقيه يا ابا محمد وانصرف !

كان ابو الفضل فيما يظهر يعـــاني من ارباب السلط الشيء الكثير وهذا ما جعله يقول :

اصبحت في من له دين بـلا ادب ومـن له ادب عـار من الدين
اصبحت فيهم غريب الشكل منفردا كبيت (حسان في) ديوان (سحنون)

وهو بذلك يشير الى بيت من شعر حسان بن ثابت . ذكـــره الامام سحنون في باب الجهاد من المدونة وبيت حسان :

وهـان على سراة بني لوي حريق بالبويرة مستطير

ومع ذلك فهو كريم الاخلاق مشفقا على اصحابه وتلاميذه . فقد دخل عليه شاب من الطلبة وبادر بالسلام عليه فاراق حبر المحبرة على

جبة الشيخ البيضاء فخجل التلميذ من عدم انتباهه فتداركه الشيخ وقال : كنت اقول اي لون اصبغ به هذا الثوب ؟ والآن اصبغه حبريا ! وهذا من كمالاته ومواساته .

كان ابو الفضل اصوليا وفقيها وشاعرا واديبا وصوفيا على منهاج اهل الفتوة ولازم الاقامة كما قلنا في قلعة بني حماد الى ان توفي سنة 213 ه وقبره فيها معروف بالزيارات .

ابو الحسن علي بن اسماعيل بن حرزهم الفاسي

توفي سنة 559 ه (1163 م)

نسبه يتصل بالخليفة عثمان بن عفان . وهو من اهل فاس انتقل الى مراكش . كان فقيها عالما بالفقه مع الزهد والتصرف .

قال التادلي : اخذ التصوف وعلوم الشريعة عن عمه ابي محمد صالح بن محمد ابن عبد الله ابن حرزهم . وعمه هذا فاسي رحل الى الشرق . وانقطع مدة في الشام ولقي هناك الامام ابا حامد الغزالي وعاد الى فاس وبها توفي .

ومن شيوخه في المنهجين ابو الفضل النحوي التوزري بفاس وكان والده اوصاه بان يقبل يد ابي الفضل النحوي كلما لقيه ولو في اليوم مائة مرة .

قال ابو الحسن اعتكفت على قراءة الاحياء للغزالي مدة عام فجردت المسائل التي تنتقد عليه وعزمت على حرق الكتاب فرايت في المنام انهم جردوني . وضربت ثمانين صوتا حد الفرية . وبعد اليقظة تاملت تلك المسائل فوجدتها موافقة للكتاب والسنة !

ولما وصل ابو الحكم بن برجان [1] من قرطبة الى حضرة مراكش سئل عن مسائل عيبت عليه فاخرجها على ما تحتمله من التاويل فامر السلطان «علي بن يوسف بن تاشفين» بحبسه فمات في السجن سنة 536 ه (1141 م) فامر السلطان ان يطرح على المزبلة ولا يصلى عليه فاخرجوه وطرحوه على المزبلة . الا ان ابا الحسن بن حرزهم كلف خادمه بان ينادي في طريق مراكش واسواقها ان ابن حرزهم يقول لكم احضروا جنازة الشيخ الفاضل الزاهد ابي الحكم ابن برجان ومن قدر على حضورها ولم يحضر فعليه لعنة الله ففعل الخادم ما قال له سيده . وهذا من شجاعة ابي الحسن وقوة ايمانه توفي سنة 559 ه .

الشيخ ابو يعزي يلنور بن سليمان المغربي

توفي 572 ه (1176 م)

قال المناوي في كتابه الكواكب الدرية عن ابن زروق ان

---

(1) من القائلين بوحدة الوجود وله مع اصحابه تراجم في كتابنا هذا .

ابا يعزي كان اميًّا . اخذ عن ابي شعيب السارية المتوفي سنة 561 ه (1165 م) وعن ابي الحسن بن حرزهم وغيرهما وهو من برابرة المغرب وكلامه في الغالب باللغة البربرية وكثيرا ما كان ينقل حديثه بواسطة من يترجمه الى اللغة العربية .

وممن اخذ عنه التصوف ابو مدين شعيب بن موسى الاندلسي قال ابو مدين عن شيخه هذا رايت اخبار الصالحين من اويس القرني الى زماننا هذا فما رايت اعجب من اخبار ابي يعزي .

كما قال ابو مدين : نظرت في كتب التصوف فما رايت مثل الاحياء للغزالي .

قيل لابي يعزي ان فقهاء فاس انكروا عليك لمس صدور النساء والنظر اليهن

فقال : اليس يجوز عندهم ان يلمس الطبيب تلك المواضع ؟

قال التادلي : في كتابه [1] « وحدثني الشيخ الحاج بن هارون وكان خديما للشيخ ابي يعزي قال جائنا اناس بصبية بكر للشيخ ابي يعزي وبها علة شديدة ليرقيها فرقاها ولمس صدرها بيده فانقبضت من ذلك انقباضا شديدا وعزمت على مفارقته

---

(1) التشوف لرجال التصوف وهو من الكتب المخطوطة وصاحبه (يوسف بن يحيى شهر بابن الزيات) توفي سنة 628 ه (1230 م) وقد بلغنا انه طبع

فقلت له اتذن لي بالانصراف عنك الى بلد كذا فقال لي لا تنصرف حتى نـامرك فخالفته وخرجت مسافرا الى مدينة (سلا) او مكناسة وانا منفرد وكنت عارفا بالطريق فتحيرت وذهت عن المحجة حتى وصلت في شعراء كثيرة الشوك والوعر فما خلصت منهـا الا بعد مشقة شديدة. وكان الامراء الموحدون يومئذ يقتلون الناس على ترك الصلاة في اوقاتها . فلما تخلصت من مشقـة الطريق قبض علي جماعة وحملوني الى والي تلك الناحية . وقالوا له هذا تارك للصلاة في اوقاتها فاجلسني انا وجماعة من الناس بسبب ذلك ونحن ننتظر القتل في ذلك الوقت بعينه . وبدا القتل . فلما قدموني الى القتل . نظر الي بعض جلساء الوالي فعرفني بخدمتي لابي يعزي فقـال للوالي ان هذا لا يترك الصلاة فسرحني الوالي فرجعت الى قرية الشيخ ابي يعزي وانا (تائب) .

وتوفي ابو يعزي في 572 ه وقد تجاوز عمره المائة .

ابو مدين شعيب

510 ـ 594 ه (1116 ـ 1197 م)

هو شعيب بن الحسن الاندلسي البجائي اصله من قطنيانه من عمل اشبيلية لم يتعلم من القرآن الا قليلا في صغره وانتهى الى سورة

(تبارك) وكانت منتهاه ! واتصل بالشيخ ابي يعزي واخذ عليه الطريق الصوفي .

قال ابو مدين عن نفسه : (كنت بالاندلس يتيما فجعلني اخوتي راعيا لمواشيهم) ثم تخالف معهم وانطلق عنهم في حال سبيله وعبر البحر الى طنجة ثم الى سبتة فكان اجيرا للصيادين ثم ذهب الى مراكش ومنها الى فاس فلازم جامعها وتعلم الوضوء والصلاة وجلس الى حلقات الفقهاء والذاكرين . قال (فلم اثبت على شيء الى ان جلست الى شيخ ثبت كلامه في قلبي فسالت عنه فقيل لي هو ابو الحسن بن حرزهم) فلازمه واخذ عنه السنن لابي عيسى الترمذي ورعاية المحاسبي وقال سمعت الناس يتكلمون عن كرامات ابي يعزي فذهبت اليه في جماعة لزيارته فلما وصلنا الى جبل « برجان » ودخلنا على ابي يعزي اقبل الشيخ على القوم دوني فلما احضر الطعام منعني من الاكل وهكذا كان يمنعني من الاكل ثلاثة ايام . وقد اجهدني الجوع وفقدت بصري ومن الغد استدعاني وقال لي : « اقرب يا اندلسي فدنوت منه فمسح بيده على عيني فابصرت ومسح على صدري وقال : هذا سيكون له شان عظيم » .

وكثيرا ما كان ابو تعزي يثني عليه . ثم انتقل ابو مدين الى اصحابه ومنها خرج الى الحج . وفي عرفة اجتمع بالشيخ عبد القادر الكيلاني المتوفي سنة 560 ه (1164 م) واخذ الحديث في الحرم الشريف

والبسه الشيخ عبد القادر (الخرقة) ورجع فاستقر في بجاية فاشتهر ذكره في آفاقها وعرف بالتقوى وملازمة العبادة والزهد واقبل الناس عليه يعلمهم الصلاح الصوفي وطريق المعرفة . وقد تخرج عليه اكثر من الف شيخ . ولا مبالغة في هذا القول لان الصوفية في افريقية قد غمرت البلاد طولا وعرضا « بالطرق » المتصلة بابي مدين وبابي الحسن الشاذلي

ويقال ان ابا مدين قد استقر في تونس عند رجوعه من الحج وكان يجتمع في مسجد سوق السكاجين [1] بالشيوخ : ابي يوسف الدهماني المتوفي سنة 621 ه . وعبد العزيز المهداوي المتوفي سنة 621 ه . وابي سعيد الباجي المتوفى سنة 628 ه . وابي علي النفطي المتوفي سنة 610 ه وابي محمد صالح بن محمد بن عبد الخالق التونسي . والطاهر المزوغي السافي المتوفي سنة 646 ه . وابي عبد الله محمد الدباغ « والد صاحب المعالم » والشيخ جراح بن خميس وفي المعالم ان عبد العزيز المهدي ومحمد الدباغ والدهماني التحقوا به للزيارة وهو في بجاية وتوفي ابو مدين في سنة 594 ه وله من العمر 85 توفي بتلمسان في طريقه من بجاية الى مراكش وقد حمل مجلوبا بامر من سلطانها خليفة عبد المؤمن . وقد امر والي بجاية باكرامه وحمله خير محل ودفن في تلمسان وله مقام فيها عظيم مهاب .

---

(1) والى يومنا هذا يسمى بمسجد ابي مدين

ومن كلماته

قال ابو مدين : رايت اخبار الصالحين من اويس القرني الى زماننا هذا فما رايت اعجب من اخبار ابي يعزي .

وقال : نظرت في كتب التصوف فما رايت مثل الاحياء للغزالي .

والف مقصورة اسمها « الجوهرة » في التصوف والمديح النبوي .

وقال ابن عربي . شيخنا ابو مدين الغالب على قلبه وبصره مشاهدة الحق في كل شيء .

وفي المكتبه الاحمدية بتونس شرح لحكم ابي مدين مع مناقبه [1]

ابو العباس احمد السبتي (والاشتراكية)

524 ـ 601 ـ ه (1129 ـ 1204)

هو احمد بن جعفر السبتي الخزرجي ولد بسبتة ونزل مراكش وبها توفي سنة 601 وقبره خارج باب (تاغروت) احد ابواب مراكش

كان من اقطاب الصوفية اخذ عن ابي عبد الله الفخار تلميذ القاضي عياض كان في اول امره يسكن في الفندق ويعلم الحساب والنحو وياخذ الاجرة وينفقها على طلبة العلم الغرباء . ويمشي في الاسواق ويذكّر الناس ويضربهم على ترك الصلاة وياتي بالطعام على راسه

---

(1) رقم 3411 ورقم 3769

قال المقري : وقد زرت روضته مرارا فرايت عليه من ازدحام الناس ما لا يوصف .

وقال ابن الخطيب : كان ابوا العباس السبتي مقصودا في حياته . وحاله من اعظم الايات الخارقة للعادة ومبنى امره : (على انفعال العالم عن الوجود وكونه في تاثير الوجود . [1]

وقال ابن الزيات صاحب كتاب التشوف كان ابو العباس قد أعطى بسطة في اللسان وقدرة على الكلام لا يناظره احد الا افحمه ولا يسأله الا اجابه . كان القرآن والحجج على طرف لسانه حاضرة . ياخذ بمجامع القلوب ويسخر العامة والخاصة لبيانه .

قال ابو العباس : لما قرات القرآن وقعدت بين يدي الشيخ ابي عبد الله النجار (تلميذ القاضي عياض) ونظرت في كتب الاحكام وبلغت من السن عشرين سنة وجدت قوله تعالى « ان الله يامر بالعدل والاحسان » وعلمت انها نزلت حين آخى النبيء ﷺ بين المهاجرين والانصار وانهم سالوا النبيء ان يعلمهم « حكم المواخاة » فامرهم بالمشاطرة (والمشاطرة في الملك والمال) ففهمت ان العدل المامور به في (الآية هو : المشاطرة) فعقدت النية مع الله ان لا ياتيني شيء الا شاطرت فيه الفقراء !

---

(1) ص 127 ج - 1 «نفح الطيب» والمفهوم من هذه الجملة انها تشير الى الوحدة

وله في هذه : الاشتراكية التي كان يدعو اليها قبلـه ابو ذر ادلة وبيانات ذكرها المقري في النفح [1]

وكان ابو العباس جميل الصورة ابيض اللون حسن الثياب كثير الاحسان حتى لمن كان يؤذيه ! وعلمه بالظاهر والباطن ادى به الى نتيجة اجابية لفائدة المجتمع هي اقرار الاشتراكية بين الناس نقد قيل عنه انه كان يرد اصول الشرع الى الصدقة ويفسرهـا بالاحسان الـواجب .

وهذا ما تفرد به ابو العبـاس السبتي رحمـه الله . ومن تلاميـذه الشيخ يوسف التادلي صاحب كتاب « التشوف الى رجال التصوف » المتوفي سنة 628 ه والمفهوم ان ابا العباس السبتي لا يرى الاكتفاء بما قد يتجمع للفقراء من الزكاة واذا كان الفقر في الامة وقد استفحل وعلاج الامـة يقتضي مناصفة الاغنياء في املاكهم فلا مانع ؟ فالزكاة عنده فرض مفروض وما زاد على النصاب فبالاحسان يتمم والعمل بالمناصفة قد جرى وتم بين المهاجرين والانصار . وتم به الانتصار على قريش

ابو زيد عبد الرحمان المناطقي

له مناقب قصيرة وجل الكلام فيها عن الكرامات. وحياته تكاد تكون مجهولة بما في ذلك سنة وفاته الا ان المناقب تذكران رجلامن اهالي

---

(1) ص 129 ج 10

مدينة تونس لحقته من السلطان مظلمة فاستنجد بقبر الشيخ عبد الرحمن المناطقي و لم تمض عليه مدة طويلة حتى جاءه مبعوث ابن نخيل كاتب السلطان ابي محمد عبد الواحد ابن ابي حفص الى داره وقال له ان ابن نخيل يقول اليك : قد ذكرت مسالتك عند السلطان فامر بانصافك

والمفهوم ان وفاة الشيخ عبد الرحمن المناطقي كانت في ولاية السلطان عبد الواحد بن ابي حفص التي بدايتها سنة 603 ه

احمد بن نفيس الغساني التونسي

قال من كتب عنه انه كان من المشائخ الصلحاء المشهورين والاولياء المذكورين وان قبره بتونس قرب باب المنارة بجهة القصبة وعلى راس قبره حجر من رخام مكتوب فيه انه توفي رحمه الله « يوم الجمعة احدى وعشرين خلت من شهر جمادي الاول سنة تسع وسبعين واربعمائة »

وفي وقتنا هذا صورت ادارة الآثار التونسية جملة من شواهد لقبور قديمة عثرت على صورة منها كتب فيها « هذا قبر احمد المقري بن عبد العزيز بن نفيس رحمه الله توفي يوم الجمعة لاحد وعشرين خلت من شهر جمادي الاولى سنة تسعة وسبعين واربعمائة » فالنص المدرج في المناقب هو النص المكتوب على الشاهد المصور

اما القاضي ابو زيد عبد الرحمن بن نفيس فقد ذكر الزركشي انه توفي سنة 683 ه ولم يعين جهة مدفنه . وقد يكون قبره بزاوية احمد بن نفيس المشهور بالولاية والصلاح وقد يكون بجهة اخرى

ابو علي النفطي

توفي سنة 610 ه (1213 م)

واسمه الحسن كان يلبس القفطان فقال اهل بلاده « المصري » وكان من اهل المعرفة والصلاح متحمسا لاهل السنة منكرا على غيرهم من الفرق الاخرى كالخوارج وكان معظم سكان الجريد والجنوب التونسي من الخارجية ولحماسه هذا كان يعرف عندهم « بالسني » .

قال ابو الحسن علي الهواري سمعت ابا يوسف المحمدي يقول سمعت الشيخ ابا عبد الله الكومي (1) يقول : (ابو عبد الله النفطي من اوتاد الارض) وابو علي النفطي كان من اصحاب ابي مدين وابي سعيد الباجي والشيخ عبد العزيز المهدوي وابي يوسف الدهماني .

اخذ عنه ابو عبد الله محمد بن عبد السلام بن الحداد الصنهاجي دفين المرسى بمقبرة الشيخ عبد العزيز المهدوي .

---

(1) الشيخ محمد الكومي من اقران ابي مروان وابي مدين وقبر الكومي معروف بمقبرة الزلاج من ناحية الجبل .

واخذ عنه عبد الله السقطي والشيخ ابو حفص عمر الجاسوسي « وقبرهما بالزلاج » والسقطي كان من المقربين لابي سعيد الباجي وكان الباجي يثني عليه ويصفه بالتعفف ويخصه بالعناية .

وللشيخ ابو علي النفطي « مناقب » الفها الحسن بن احمد البجائي وكان من معاصريه ومن اتباعه .

قال التادلي في كتابه « التشوف » وحدثه الحسن البجائي قال : سمعت من ابي عبد الله التوحي ببجاية قال لما زرت الشيخ ابا علي بنفطة واردت الانصراف قال لي : ابلغ السلام لشيخنا ابي مدين فلما وصلت الى ابي مدين بتلمسان بلغت اليه سلام الشيخ ابي علي فقال ابو مدين : كم لك عنه ؟ فقلت مدة شهرين . والمفهوم ان هذه الزيارة كانت قريبة جدا من وفاة ابي مدين اي من سنة 594 هـ .

قال ابو يوسف الدهماني [1] وهو يتكلم عن اناس قال عنهم : « ما يعرفني منهم احد انما كان يعرفني اخي ابو علي النفطي » .

وقال ابو علي النفطي لما اراد ان يودع ابا يوسف الدهماني وكان ضيفا عنده في القيروان : لا فرقة بيننا وانشده شعرا .

يا هند اني قد وهبتك مهجتي   فنعيمها وعذابها سيان

---

(1) معالم الايمان ج 3 ص 271

كنا نخافكم و نخشى هجركم ايام فرقتنا و نحن اثنان

فاليوم روح واحد لا غيره اكرم بروح ضمها جسدان

وللشيخ ابي علي النفطي رسالته المشهورة وقد رد بها على رسالة خاطبه بها ابو يعقوب الطري « وطرة مدينة كانت في واحة قريبة من نفزاوة بالجنوب التونسي » .

وابو يعقوب الطري لم تتعرض لذكره الكتب الافريقية المعروفة في وقتنا هذا ويظهر انه قد انكر على ابي علي النفطي « صوفيته » المنكرة على كل من الخوارج والمعتزلة والشيعة ككل الصوفيين المبدّعين لهؤلاء الفرق الثلاث لما لها من نصيب في تحكيم العقل .

ولذا فالظاهر ان ابا يعقوب الطري كان من « الخوارج » والتجاني يقول في رحلته ان سكان الجنوب التونسي كانوا يعتنقون الخارجية . وكانت نفطة حيث كان يسكن ابو علي النفطي تسمى بالكوفة « الصغرى » لما كان فيها من الخوارج . وكان بالقرب منها بلد « درجين » بلد صاحب كتاب طبقات علماء الخوارج المعروف « بطبقات الدرجيني » .

وليس لنا من رسالة ابي يعقوب الا اولها « الحكمة صناعة نظرية يستفيد منها الانسان تحصيل ما عليه الوجود في نفسه » .

ولم يفهم التجاني او من نقل عنه التجاني حين قال عنه «قسم فيها مدلولات لفظ العقل ومراتبه تقسيما اخذ جله من كلام الامام الغزالي !؟

وقال: فوقف على الرسالة الشيخ ابو علي النفطي رحمه الله فخاطبه بقوله «ألم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق»

اما آن من صبح الرشاد تنفس — وحتى متى ليل الضلال معسعس

تراني ارى فجر الهدى متعرضا — ومالي اصباح ولا اشمط حندس

وما حذري الا شغوب مغيرة — فينزع للترحـــال صب معرس

من شيبان الأُبلَّة الى الحبر ابي يعقوب اما بعد فان كتابك قد ورد مشتملا على ماهية العقل وحقيقته . وقد الفيته وافيا بمقصدك غير واف بمقصدي ولست ممن منع عن الدر بالصدف واقتنى علوما لم يؤمر بها شرعا فاستغرقت فيها همته حتى زلت به قدم الغرور في مهواة من التلف . وكل ما تذروه رياح الموت فالهمة تقتضي تركه .

وقد استشهدت بالحديث في النظر في تغيير الاسباب والترقي منها الى متسببها . فالامر كما ذكرت . لكن ليست اسباب : هي ظلمات ثلاث بل هي اسباب نورانية يستدل على متنورها بمعرفة النفس .

وهو مقام محمود هو مقـــام المقربين الذين يمزج من شرابهم

الصرف لاصحاب اليمين • فالمقرب من عرف نفسه موحدا لربه •
وها هنا نظر لا يسلم الا لمن سلم من رعونات البشرية والحظوظ
النفسانية ويمكن الارتفاع الى من عرف ربه موحدا لنفسه وقد منَّ
الله سبحانه بعلوم جليلة ربانية محمدية يعضدها الشرع ويشهد لها العقل
السليم . الجامع بين الاصل والفرع كالجمع والافتراق وخرق السبع
الطباق وحقيقة البرزخين • وما اشتملت عليه ارحام الانثيين والترقي
من الاين الى حيث لا اين وكيفية الارواح والاشباح وسكون
الليل وانفلاق الصباح واختلاف الالسن والاصوات ومنطق كل
شيء وعجائب الآيات الى غير ذلك مما لم يلف قط مسطرا • وقد
اضمحل الوجود وبطل دعواه وبرز المكنون على كل شيء كلا بل هو
الله واعرب بلسان ناطق فصيح غمزا او رمزا • هل تحس منهم من
احد او تسمع لهم ركزا •

بل لو ترانا والاحبة بيننا   لرايت غزلانا تصيد سباعا
بل لو ترى تلك البقاع وحسنها   لظللت بالحسن البديع مراعا
شوقي طباع اصطباري كلفة   وارى التكلف لا يزيل طباعا

وكثيرا ما يشير الى كتب . حرام الوقوف لمطالعتها والوقوف
عليها عقلا وشرعا ولنا في رسول الله ﷺ اسوة حسنة « من يطع

الرسول فقد اطاع الله» وكفى بهذا جمعا والحنيفية السمحة قد اشرق سراجها وغمر نورها وقهر سلطانها كل اشوس عاتي القلب ليس له تحقيق اهل الاصول ولا ترقيق اهل الوصول الهمج الرعاع الذين هم لكل ناعق اتباع قد اوثق الغي عقولهم فهم في ريبهم يترددون . آفتي معرفتي ارى الشرمن ذوي النباهة قريب . وكاني بسيدي يقول شب عمرو عن الطوق وما أحوجه في حقيقة الشرع وحالة التصوف الى شيء من النوق. واعلم انه لا تظهر حالة حسنة الا بملازمة اصل صحيح فان كنت ممن اراد الاخرة وسعى لها سعيها واناب الى الله بقلب سليم فها انا اقبل قدميك فتتبع لما يوحى اليك . والا فاطوعني طومار الهذيان ولا تقعقع لي. يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا . يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمان عصيا . يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمان فتكون للشيطان وليا . قال سلام عليك ساستغفر لك ربي انه كان بي حفيا .

ولما استبان الصبح ادرج ضوؤه بانواره أنوار ضوء الكواكب. اشرق في الليل نور بهجته ولاح حتى طفات المصباح (1)

---

(1) يشير الى بداية ظهور الكائنات وخلقها وانها خلفت من نوره

ما زلت انكر ايامي واعرفها　　متى استبانت فلا بيض ولا سود

وجائل في بحار الكشف مختبطا　　لا القرب قرب ولا الابعاد تبعيد

جعلنا الله واياكم من الموحدين المتبعين. ولا جعلنا من الملحدين المبتدعين . وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون . وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيئين وعلى آله وصحبه [1] .

وتوفي ابو علي سنة 610 هوقيل ان ابن النخيلي سقاه سما . ولما سمع بذلك صاحبه ابو يوسف الدهماني قال: لا بد ان اخذ بثار اخي ابي علي النفطي ! وقبره خارج بلد نفطة في رباط عليه قبة تجري مياه النهر من تحته وغابة النخيل حائطة به .

ابو عبد الله محمد بن علي الانصاري المشهور بالدباغ

(حوالي 540) 618 ه (1145 _ 1221 م)

قال الشيخ عبد الرحمان الدباغ صاحب كتاب معالم الايمان[2]: هو والدي رحمه الله كان من كبار العباد وافاضل الزهاد واهل

---

(1) الحلل السندسية ص 176 من الجزء المطبوع بتونس وصاحب الحلل نقلها من رحلة التجاني .

(2) ص . 260 ج 3

الجد والاجتهاد وقال : «سمعت منه يقول : لقيت سبعين شيخا من شيوخ القوم آخرهم ابو مدين شعيب بن موسى الاندلسي» سلك طريق الارادة ومنهج العبادة لما بلغ العشرين من عمره وتعرف بالاصحاب والشيوخ منهم عبد العزيز القرشي المهدوي وابو علي النفطي وابو سعيد الباجي والطاهر المروغي وابو يوسف الدهماني وغيرهم واستاذه ابو مدين شعيب وتوفي سنة 618 ه ودفن بمقبرة باب تونس بالقيروان .

عبد العزيز ابن ابي بكر القرشي المهدوي

توفي سنة 621 ه (1224 م)

قال الهواري [1] ان الشيخ محي الدين بن عبربي كان يحضر مجالس الشيخ عبد العزيز المهدوي وقد نوه بشانه في كتابه« الفتوحات المكية » ولقبه بالولي الحميم وصرح باسمه في همزيته (راجع ترجمة محي بن عربي في كتابنا هذا) .

---

(1) هو علي بن عمر بن محمد بن ابي القاسم الهواري من اصحاب ابي سعيد الباجي واشتهر بالصلاح وتحرير المناقب لمشاهير الصوفية في عصره بتونس كان موجودا في سنة 664 ه وعمره في الثمانين .

وتلامذة المهدوي كثيرون منهم ابو سعيد الباجي وهو الذي تولى غسله بعد وفاته وصلى عليه ولحده في قبره بمرسى جراح [1]

وقبر المهدوي مشهور بالمرسى وبجواره قبور الكثير من اصحابه وكان قبره بدون قبة الى ان شيد حسين بن علي الحسيني قبة على ضريحه .

الصلاة المباركة على الرسول الاعظم

للشيخ عبد العزيز القرشي المهدوي

اولها : اللهم صل على لوح رحمانيتك الذي كتبت فيه بقلم رحميتك (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم . اللهم صل على عرش استواء اسمائك من حيث احاطة الوهيتك رحمتك الشاملة وبركتك الكاملة من قولك وما ارسلناك الا رحمة للعالمين صلى رب العالمين على رحمة العالمين. اللهم صل على انسان عين الكل في حضرة وحدانيتك وجمع جمع احديتك من حيث احاطة قولك يا ايها النبيء انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا . فكان المبشر عين المشير به فانلنا فاه وافتح اللهم

---

(1) وكانت تعرف في القديم بمرسى ابن عبدون وجراح هو سيدي جراح بن خميس دفين المرسى كان من شيوخ ابن عربي ايضا ذكره في الفتوحات « الباب الخامس والعشرون » .

اقفال قلوبنا بمفتاح حبه وكحل ابصار بصائرنا باثمد نوره وطهر اسرار سرائرنا بمشاهده وقربه • حتى لا نرى في الوجود الا انت به ومن نوم غفلتنا ننتبه .

اللهم صل على كاف كفايتك وهاء هوايتك وياء يمنك وعين عصمتك وصاد صراطك صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور . بل صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين • اللهم صل على نورك الأسمى المستشفع بالاسماء في حضرة المسمى • فكان عين مظاهرها الوجودية [1] من حيث احاطة علمك وعين اسرارها الجودية من حيث احاطة كرمك وعين اختراعاتها الكلية والكونية من حيث احاطة ارادتك وعين مقدوراتها الجبروتية من حيث احاطة قدرتك وقهرك وعين اشاراتها الاحسانية من حيث احاطة سعة رحمتك . . . . . . ثم يقول ويصف (الحقيقة المحمدية) : وجعلته المشفع اليك في ملائكتك وانبيائك ورسلك • فهو باب الرضا والرسول المرتضي حقيقة حقك وصفوتك من خلقك بنوره جملت حملة عرشك وبسره رفعت سماواتك وبسطت ارضك فهو سماء اسمائك وعنوان احسانك ومظهر

---

(1) هذه نزعة واشارة الى وحدة الوجود

عزك وسلطانك فانت العليم به من حيث الحق والحقيقة فصل يا رب عليه من حيث علمك بذلك وتعلقه بها هنالك .

اللهم بحق صاحبه الصديق وبالفاروق الموقر بالتصديق وبالنورين وبخاتم الخلافة ابن عمه علي على التحقيق . اللهم اجمعنا بك عليك واردنا منك اليك واشهدنا اياه في حضرة الجمع . حيث لا فرقة ولا منع . انك المانح الفاتح تمنح من شئت من مواهب ربانيتك لمن شئت لمن خصصته برهبانيتك اللهم انا نسالك ان تحشرنا في زمرته وان تجعلنا من اهل سنته ولا تخالف بنا عن ملته ولا عن طريقته انك سميع الدعاء لمن دعا او القى السمع وهو شهيد ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ »[1]

واذا كنا لم نظفر بمؤلفات عبد العزيز المهدوي لا قليلة ولا كثيرة فان شخصية المهدوي تبقى كما هي معنا مجهولة من حيث المعرفة بكنه النزعة الصوفية التي كان عليها في حياته .

ونزعته ولا شك كانت نزعة فلسفية اصولية جذابة . وهذا ما يفهم من التقدير الذي خصه به تلميذه وصاحبه العظيم محي الدين بن عربي في رسالته « روح القدس » كتبها اليه من مكة في شهر ربيع

(1) من مخطوط بالاحمدية رقم 3832

الاول سنة 600 ه (راجع ما انتخبناه منها في ترجمة الشيخ محي الدين) ولذا فاننا نحاول الاستفادة من نص هذه « الصلاة المباركة » وهي على ما هي عليه من الايجاز مع الاشارات البعيدة فقوله : (اللهم صل على نورك الاسمى المستشفع بالاسماء في حضرة المسمى فكان عين مظاهر (الوجودية) فهي اشارة تكاد تكون موجهة لوحدة الوجود وقوله : وجعلته المستشع اليك في ملائكتك وانبيائك ورسلك فهو باب الرضا والرسول المرتضي « حقيقة حقك » وصفوتك من خلقك بنوره جملت حملة عرشك وبسرة رفعت سمواتك . فانت العليم به من حيث « الحق والحقيقة » فهي عبارات صحيحة طليقة عن حقيقة « الحقيقة المحمدية » الذي يقول عنها محي الدين انه مدين بها لاستاذه يوسف الكومي العبسي تلقاها منه في اشبيلية « وهو من اصحاب ابي مدين دفين تلمسان » راجع رسالة روح القدس . وكيفما كان محي الدين بن عربي تلقاها من الكومي او من المهدوي او منهما معا فان الشيخ المهدوي كان هو ايضا مثل الكومي ممن اخذ عن ابي مدين . ولذا فالمرجح ان ابا مدين هو الاسبق الى القول « بالحقيقة المحمدية ».

ابو يوسف الدهماني

550 _ 621 هـ

ولد بالبادية بقرية تسمى المسروقين [1] . رحل الى لقاء ابي مدين بمدينة بجاية سنة 570 هـ واخذ عليه كثيرا من آداب التصوف وسلوك الطريق ورخص له في الانتصاب الى (المشيخة) ورجع متوجها الى الحج في سنة 595 هـ وركب البحر مع زوجته واولاده من المهدية وبعد اداء الفريضة رجع الى القيروان على طريق قابس واجتمع بابي علي النفطي بظاهر مدينة تونس وهما في خباء واحد نحو اربعة اشهر من سنة 599 هـ وصارت العلاقة بينهما مكينة فكان ابو علي ينتقل الى القيروان برسم زيارة ابي يوسف . وكانت للدهماني تنقلات وزيارات الى المهدية واحوازها وكانت المرابطة مريم « ام خمار » من مريديه . واجتمع في زويلة والمهدية بالشيخ ابي محمد عبد العزيز المهدوي .

وفي مناقبه وهي لم تطبع الفها ابو محمد بن الدباغ في حدود سنة 647 هـ اشعار تنم على فكرة وحدة الوجود كقوله :

---

(1) ثبت عندي برسم محبس مؤرخ في اوائل محرم من سنة 932 هـ ان قرية (المسروقين) كانت في المكان المعروف في وقتنا هذا بمركز (سيدي الهاني) قبلي الطريق الرابطة بين مدينتي سوسة والقيروان بشهادة الشيخ بوراوي بن محمد بوراوي وجليسه بسوسة والحبسية لاولاد سيدي الهاني

وغنى لي منا قلبي　　　فغنيت لما غنا

وكنا حينما كانوا　　　وكانوا حينما كنا

وتوفي ابو يوسف سنة 621 ه ودفن بجوار من قبر ابي الحسن القابسي بالقيروان قرب باب تونس

الست مريم ام يحي

امراة فاضلة اشتهرت بالولايـــة تعرفت بالشيخ ابي يوسف الدهماني حينما كان يتردد على اصحابه بجهات المهدية والمثاليث والست مريم نازلة بالمنية (قرب جبنيانة) « فكانت تجتمع به وتهتدي بهديه قيل انها كانت لا تجلس اليه دون لحاف ولا ترفع كلامها عنده ولا تنظر اليه . وقد نوه بشانها صاحب المعالم وتحدث عنها في ترجمة ابي يوسف الدهماني [1] .

وكان الناس يقولون عنها « ام يحي خير من الف لحية » ولم تذكر سنة وفاتها .

ابو سعيد الباجي

551 ـ 628 ه (1156 ـ 1230)

هو خلف بن يحي التميمي الباجي نسبة الى باجة القديمة من

(1) معالم الايمان ج 3 ص 273

احواز تونس العاصمة (قرب منوبـــة) كانت له صحبة بالشيخ ابي مروان البوني وبشيخ الشيوخ ابي مدين شعيب دفين تلمسان خرج من باجة القديمه الى الحج سنة 603 هـ ومكث في مكة ثلاث سنين ومنها انتقل الى الشام ورجع الى تونس سنة 606 هـ .

قال (ابو سعيد) اقمت في تونس بعد رجوعي من الحج مدة من السنين لا يعرفني احد . وكنت اخرج في الاعيـــاد الى المصلى وارجع الى منزلي ولا يسلم علي احد غير الحاج ابي العبـــاس الساحلي وابي الحجاج يوسف الصياد المعروف بابن الشماع وابي الفرج ابراهيم

وكان ابو سعيد في وقته هذا ملازما لمسجد شريط بباب البحر [1] ثم اشتهر بين الناس وعرف بالصلاح والتقـــوى والتفرغ لعبادة الله عبادة متواصلة فاتصل به ابو الحسن الشاذلي ولازم مجالسه وطريقه واخذ عنه من المريدين ابو يوسف المحمدي وقـــد جلس في مجلس ابي سعيد بعد وفاته ومن اصحـــابه ابو محمد بن عبد السلام بن عيسى القرشي وابو الوكيل ميمون المعروف بالكماد وابو عبد الله

نعتمد في هذه الترجمة على مناقب الفها ابو الحسن الهواري وادرجها الوزير السراج مع تراجم اخرى تونسية صوفية في كتابه الحلل ج 3 (المخطوط)

(1) يرجع انه جامع « المهراس » بالقرب من مدخل نهج جامع الزيتونة .

محمد بن عمر بن علوان وابو يعقوب الصياد وابو هلال عياد بن مخلوف الزيات [1]

وكان ابو سعيد يتردد على منارة قرطاجنة ويعتكف فيها مع اصحابه . وله اتصال متين واحترام مكين للشيخ عبد العزيز المهدوي ولما توفي الشيخ عبد العزيز المهدوي تقدم ابو سعيد فغسله ولحده في قبره .

وتوفي ابو سعيد الباجي في سنة 628 ه ومقامه معروف بجبل المنار وقبر هنالك حيث كان يتعبد مع اصحابه . ومن اشهر اصحابه الشيخ صالح البلطي ويعرف بـ (الحاج ابو عفيف)

الشيخ صالح البلطي

قال الهواري : هو من اصحاب ابي سعيد الباجي وكنيته ابو عفيف . وقال : لما حضرت وفاة الشيخ ابي سعيد الباجي جمع الشيخ اصحابه واشعرهم بانه على وشك الانتقال الى الاخرة وقسم ثيابه وكتبه على اصحابه الحاضرين معه وناول الشيخ صالح البلطي شيئا من مخلفه وقال له يا صالح خذ نصيبك من هذه الثياب وهذه الكتب

---

(1) كانت له زاوية وقبة على ضريحه بين باب منارة وباب الجديد وازالتها (البلدية) منذ ثلاث سنوات لمصلحة الطريق .

فقال الشيخ صالح البلطي معاذ الله ان اجعل حظي منك الثياب والكتب ؟

والشيخ الهواري يروي الكثير من مناقب ابي سعيد الباجي عن الشيخ صالح البلطي ويقال هو ابن خالة ابي سعيد استفدت هذا من ذرية البلطي وهم من اهل بلطة جوفي بلد سوق الخميس مما يلي عمل باجة .

وفي بلطة توفي الشيخ صالح البلطي ودفن بها وبجانب قبره جامع ومقام مشهور في الجهة .

قال البكري « في المسالك » ولم يزل الناس يتنافسون في ولاية باجة ومنهم بنو حميد وكانت لهم وزارة الاغالبة فقيل لبعضهم لم ترغبون في ولاية باجة ؟

فقال لاربعة اشياء قمح (عنده) وسفرجل (زانه) وعنب (بلطة) وحوت (درنة) [1] .

ولا تزال بلطه مشهورة بالبساتين ولاهلها عناية بتربية الاشجار المثمرة وفيها العيون الجارية .

---

(1) المسالك ص 57

الشيخ الطاهر المزوغي السافي

توفي سنة 646 ه (1248 م)

اصله من عرب مزوغة بافريقية وبلده قصور الساف . انتقل الى تونس فكانت فيها نشأته ورافق اصحاب ابي مدين مثل محمد الدباغ وابي سعيد الباجي وعبد العزيز المهدوي والدهماني . وله سياحات ورجع الى قصور الساف في كبره واستوطنها الى ان توفي سنة 646 ه

وفي تاريخ مقديش [1] انه اخذ الطريق عن ابي مدين وابو مدين عن ابي يعزي وهو عن ابي الحسن بن حرزهم وهو عن ابي بكر بن العربي وهو عن الغزالي .

ومن احفاد الشيخ الطاهر المزوغي حفيده المشهور بالصلاح الشيخ ابو الحسن علي ابن ابي القاسم بن احمد بن محمد بن علي بن عبد العزيز بن محمد ابن الشيخ الطاهر المزوغي ولد بقصور الساف سنة 776 ه (1374 م) . وكان عالما وله مصنفات عديدة ومن اخص مريديه الشيخ علي الكراي « ابو بغلة » .

ومن احفاد الشيخ علي بن ابي القاسم (الشيخ ابو الحسن علي

(1) نزهة الانظار ج 2 ص 126 - 127

المحجوب) سمي بذلك لاحتجابه . والشيخ علي المحجوب اخـــذ
الطريق عن سيدي علوان بن سعيد وهذا « قبره مشهور غربي قصور
الساف » .

وعن الشيخ سيدي محمد بن جابر وقبره بالمهدية مشهور ايضا
واستشهد الشيخ سيدي علي المحجوب في جهاد الاسبان عند هجومهم
على المهدية سنة 957 هـ - (1550 م)

ابو الحسن الشاذلي

593 - 656 هـ - (1196 - 1258 م)

هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي نسبة الى شاذلة وهي
قرية كانت بجوار زاوية سيدي علي الحطاب قرب مدينـة تونس .
اصله من غمارة ببلاد الريف من المغرب الاقصى . وينتسب الى
الادارسة من اشراف وملوك البلاد المغربية. وفي المناقب [1] يصل نسبه
الى علي بن ابي طالب كجميع اقطاب الصوفيـة فانهم لا ينتسبون لغير
الاشراف غالبـا الا ان شمس الدين الذهبي لما اطلـع على نسب ابي
الحسن الشاذلي قال : « هـذا نسب مجهول لا يصح ولا يثبت وكان

(1) مناقب الشاذلي تعرف بدرة الاسرار وتحفة الابرار الفها محمد الحميري
المعروف بابن الصباغ ط : سنة 1304 هـ

الاولى بهتركه وترك الكثير مما قاله في تآليفه من الحقيقة »[1]
ونسب الشاذلي لا يهمنا التجريح فيه لان الشاذلي كان عصاميا عالما
بفنون اللغة والدين . مربيا لمريديه تربيته صوفية لا شذوذ فيها ولا
اغراق . وهذه احزابه وادعيته واذكاره ومكاتباته لاصحابه تشهد
للشاذلي بفصاحة اللسان وحسن البيان وقوة الايمان النزيه .

خرج الشاذلي من بلاده « غمارة » في حدود عام 620 ه او بعدها
بقليل ودخل تونس في طريقه الى الحج ومن الحج دخل بغداد واجتمع
بالصوفية يسالهم عن القطب ! فدله احدهم « ابو الفتح الواسطي »
وقال له : القطب في بلادك فارجع اليه تجده . وبرجوعه الى غمارة
علم ان القطب الذي كان يسال عنه هو ابو محمد عبد السلام بن
مشيش الشريف الحسني « الداني » وكان يسكن برابطة في راس
جبل (العلم) قرب تطوان من بلاد غمارة [2] فالتحق الشاذلي به
ولازمه مدة الى ان فتح الله بصيرته .

قال الشاذلي ثم اشار علي بالانتقال الى افريقية واسكن بلدا
منها تسمى بشاذلة . فانتقلت اليها ودخلت تونس وبينما كنت في

---

(1) نكت الهميان ص 213 ه

(2) الاستقصاء 209 - 236 ج 2 ط الدار البيضاء

مصلى العيدين [1] وجدت بها حطابا يبيع حملا من الحطب وظهر انه من شاذلة فحمله اليها « وهو الشيخ علي الحطاب الذي صار من اصحاب الشاذلي الاربعين » واول من تعرف به في شاذلة ابو محمد عبد الله الحبيبي والشيخ ابو حفص الجسوسي وكان الاخير من علماء الظاهر والباطن .

ولا شك ان ابا الحسن الشاذلي كان يتردد على تونس واطرافها لانه يقول في مناقبه : « لما دخلت الى تونس قصدت من فيها من المشائخ ولم اجد فيها من عرفني بما انا كنت في حيرة منه . الا الشيخ الصالح ابا سعيد الباجي فانه اخبرني بحالي قبل ان ابديه ! وتكلم على سري فعلمت انه ولي الله ولازمته وانتفعت به كثيرا [2]

وهذا اعتراف صريح لما لابي سعيد الباجي من المكانة في علم الولاية وانه من شيوخ الشاذلي. ويظهر ان الشاذلي قد تفرغ لتربية المريدين والمرابطة بعد وفاة شيخه ابي سعيد فرابط اولا

---

(1) المصلى التي احدثها ابو زكريا الحفصي كانت بنهج سيدي الزواوي قرب باب منارة

(2) مناقبه ص 6 وكانت وفاة ابي سعيد الباجي سنة 628 ه وهو من اصحاب ابي مدين الغوث ومعه من الاخوان الشيخ عبد العزيز المهدوي المتوفي سنة 621 ه والشيخ ابو علي النفطي المتوفي سنة 610 ه والشيخ ابو يوسف الدهماني المتوفي سنة 621 وكلهم اخذوا عن ابي مدين .

بزغوان واخيرا اكتفى بالمغارة القائمة بجبل التوبة (جبل الزلاج) وهي المعروفة «بالمغارة الشاذلية» وكان يسكن بدار له قرب سوق البلاط (بنهج المطيهرة» مكان المدرسة الحسينية الصغرى التي كانت زاوية للشيخ صالح المثلوثي . .

وكانت له صحبة بالشيخ سالم التباسي وقد تردد على زاويته ومحل سكناه بالمصرين [1] قرب بلد طبربة وحضر ابو الحسن لوفاته واقباره بزاويته سنة 642 ه

والتف حول الشاذلي اتباع ومريدون كثيرون بعضهم من شاذلة وبعضهم ممن كان من تلاميذ ابي سعيد الباجي او تلاميذ الشيخ سالم التباسي وجميع من كان بالمسروقين (بلد ماضي بن سلطان ومن معه) والمسروقين بلد كان في هنشير سيدي الهاني بين سوسة والقيروان وفي ذلك الاوان كانت الانظار تتجه الى الشاذلي من رجال الدولة وفي طليعتهم العلامة ابو القاسم محمد بن البراء المهدوي فقد تصدى لمقاومته والانكار عليه . واخيرا جره للمحاكمة في مجلس حضره شيوخ من الموحدين والملك « ابو زكريا » من وراء يسمع ولا يرى . الا ان المناقب لم تشرح لنا هذا الموقف الذي انتهى بسجن ابي الحسن الشاذلي في

---

(1) ثبت عندي ان قرية (المصرين) كانت في هنشير التباسي ذكرت في رسم تحبيسه المؤرخ في آخر ربيع الثاني 655 ه

القصبة وكان من حسن حظه ان وفد ابو عبد الله محمد اللحياني اخو الملك ابي زكريا بعد ان علم بما كان من ابن البراء ومحاكمة الشاذلي وسجنه فذهب لاخيه وكانت له عقيدة في الشاذلي وخلصه من محنته على الا يبقى في البلاد الافريقية فخرج الشاذلي الى الشرق بعد ان باع مسكنه وركب البحر مع عياله واولاده وعدد من اصحابه منهم ماضي بن سلطان والشاب ابو العباس المرسي الذي تولي بعده القطابة في مصر [1] ولقي في مصر شيئا من المقاومة والانكار قام بهما كبار الفقهاء منهم العز بن عبد السلام وابن دقيق العيد ويظهر ان اعتدال طريقة الشاذلي وتمسكه بالسنّة والكتاب . مما خفف على الشاذلي تلك المقاومة . وفيها تزوج ابو الحسن علي بنت الشيخ شرف الدين وانجب اولادا منهم شهاب الدين احمد وابو الحسن علي ومحمد شرف الدين وزينب وعريفة الخير .

---

(1) ولد المرسي سنة 616 وتوفي 686 هـ ولد بمرسية من بلاد الاندلس وعمل في التجارة مع والده وفي عام 640 سافر الى الحج ومعه ابواه واخوه فغرقت بهما المركب تجاه الجزائر ولم ينج الا المرسي واخوه وسافرا الى تونس واستقرا بها وتعرف لمرسي بالشيخ الشاذلي ولازمه في زاوته وخرج معه الى الاسكندرية ثم رجع الى تونس وهو صحبته ، وخرج معه اخراً . قرا على الشاذلي الاحياء للغزالي وختم الاولياء للترمذي « عن كتاب التراث الروحي ص 89 .

واقبل الناس عليه اقبالا عظيما حتى ان احد المهاجرين معه قال له ياعلي : لقد ذهبت ايام المحن واقبلت ايام المنن عسرا بيسر اقتداء بجدك .

وكان الشاذلي على صلة تامة باصحابه في تونس فانهم كانوا يكاتبونه ويكاتبهم [1] .

ورجع الشاذلي الى تونس مع اهله وسكن دارا داخل باب الجديد ببطحاء الشعرية « دار الباجي اليوم بنهج الحكام »

ورجوعه الى تونس يظهر انه كان بسبب وفاة الملك أبي زكرياء الحفصي سنة 647 هـ ـ 1249 م ومبايعة ابنه المستنصر وعمره وقتئذ لا يتجاوز 22 عاما وان الحل والعقد قد تولاه عمه محمد اللحياني (الذي استشفع في الشاذلي)

الا ان ثورة قد شبت في تونس بين جند المستنصر وانصار ابن عمه اللحياني في عام 648 هـ ـ 1250 م قتلَ فيها الجند ابن العم ووالده محمد اللحياني الذي خلص الشاذلي من يد ابن البرا والملك ابي زكرياء . وهذه الثورة كانت في وقت قريب جدا من ولاية المستنصر وطلوع نجم عمه اللحياني . ولا شك انها قد شبت

---

(1) مناقب ص 26 و ص 29 المكتوب الاول مؤرخ بعام 656 هـ والثاني مؤرخ بعام 646 هـ .

في الوقت الذي كان الشاذلي قد ركب البحر بنية الرجوع الى تونس او اثر نزوله بها • الا ان استشهاد اللحياني لم يشجع الشاذلي على البقاء في البلاد الافريقية مثلما شجعه على الرجوع اليها موت ابي زكريا وطلوع نجم اللحياني •

ولهذا السبب يعود الشاذلي لبيع داره الثانية ويرجع الى الاسكندرية مع من جاء معه من الاتباع ويستقر نهائيا بمصر الى ان توفي رحمه الله في طريقه الى الحج 656 ه بصحراء عيذاب وقبره بقرية حميثراء بصعيد مصر • وفي آخر حياته فقد بصره واوصى بالولاية لابي العباس المرسي وقد وصفه ماضي فقال : كان الشاذلي ادم اللون نحيف الجسم طويل القامة خفيف العارضين طويل اصابع اليدين كانه حجازي فصيح اللسان عذب الكلام يقول اذا استغرق في الكلام (الا رجل من الاخيار يعقل عنا هذه الاسرار) ؟ هلموا الى رجل صيره الله بحر الانوار ! « ص146 مناقب » • وجل ما في مناقبه مروي عن ابنه شرف الدين في دمنهور سنة 715 ه [1] •

ومن كلمات ابي الحسن الشاذلي

قال منوها بحزب البحر « من تاليفه » لو كان عند اهل بغداد ما اخذها التتر [2] ! ؟

---

(1) ص 145 ـ 146 ـ ص 148 – (2) ص 51 •

خطيئة آدم ونزوله من الجنة

قال ابو الحسن : مـــا انزل الله آدم من الجنة الى الارض لينقصه ولكن نزل به الى الارض ليكمله فنزوله نزول كرامة لا نزول مهانة [1]

ولده علي يشرب الخمر !

قال ماضي بن سلطان كان للشيخ ولد اسمه علي فلقيته بالاسكندرية سكرانا ؟ بالخمر فاتيت به الى الدار وضربته ضربا وجيعا حتى تعلق بامه فجذبته جذبة حتى خرج بخيوط راسهـا في يده . فصاحت وبكت فدخل عليها الشيخ وسمـــع ما وقع فتغير ودخل الى خلوته بالزاوية وبعد ساعة استدعى ماضي وقال له هممت ان ادعو على ولدي فقيل لي يا علي دعه لينفذ ما قدرته عليه [2] وله اولاد اخرون [3]

زهده مع لباسه الفاخر

تحدث الشاذلي يوما عن الزهد وحث عليه فاعترض عليه فقير كان

---

(1) ص 015 - (2) ص 20 .

(3) جاء فيما علق به على كتاب (الشوقيات المجهولة) ص 61 ج 2 ان الاستاذ محمد ابـو شادي بك المحامي صاحب (الظـاهر) المتوفي في 12 نوفمبر 1903 من احفاد الشيخ ابي الحسن الشاذلي .

في المجلس وعليه اثواب رثة وكان على الشيخ اثواب حسان وقال انا هو الزاهد في الدنيا اما الشيخ فاثوابه لا تدل على الزهد فقال الشاذلي يا هذا المنازع ثيابك هي ثياب الرغبة في الدنيا تنادي بلسان السعي والفقر وثيابنا هذه تنادي بلسان التعفف والغنى [1]

الحذر من النساء ومن الدنيا

قال الشاذلي : اسبق الرجال جريا اهل العلم والعرفان . ولقد رايت النساء والدنيا تاخذ بعقولهم فيلعب بهم الشيطان فاحذر النساء والدنيا والتزم الصدق والتقوى واهجر مواطن السوء تحظ بالدرجات العلى [2] .

وهو يتألم لفقر الفقراء

وقال : « رايت ما الناس فيه من الضنك والضيق فخطر لي ادعو الله لهم فاخذتني سنة من النوم فسمعت قائلا يقول لي دع تدبيرك الى تدبير الله وارض بالله كفيلا فان الناس قد ملوا النعم وامنوا النقم ونزعت منهم الرحمة والله يحكم ما يريد . فرجعت عن الدعاء [3] .

شيء من ثروته

في خصومة ومشادة اخرج ولد الشيخ سالم التباسي عين رجل من

---

(1) ص 23 ـ (2) مناقب ص 140 - (3) ص 141 .

جيرانه في قرية « المصرين » بدون عمد وطالب اهله بدية العين وحضر ابو الحسن الشاذلي لحسم النزاع ودفع الديـة من ماله الخاص خمسمائة دينارا قبضها منه اولياء المتضرر بعد محاولة التخلي عن دفعها .[1]

التدبـــير

قال الشاذلي : دع التدبير حتى في اللقمة تأكلها وفي الشربـــة تشربها وفي الكلمة تقولها او تتركها . اين انت من المدبر العليم[2]

هذه نماذج من اقوال الشاذلي تدل على تفكـــيره وعقيدتـه الصوفية وفي مناقبه واحزابه ومكاتباته الشيء الكثير من هذا النوع . واحزابه « ادعية » منها حزب الانوار ويسمى بحزب الفتـح وحزب النور ويعرف بحزب الحمد . وحزب البحر وله اذكار وتحميدات وتوسلات بليغة جدا . وقد تعرض لذكر الشاذلي 46 كتابا .

اصحابه الاربعون بتونس

واخـيرا نذكـر اسماءهم ووفياتهـم ومزاراتهم بقـدر الامكان وقد جمعنا لـه من الاصحاب ما بلـغ الى ثمـانية واربعين صاحباً !

---

(1) ص 22 مناقب .

(2) مناقب ص 128 مناقب ص 38 - 53 - 41 - 50 - ومن ص 60 الى 70 .

ذاعت الطريقة الشاذلية واقبل الناس عليها في حياة ابي الحسن الشاذلي وبعد وفاته ففي افريقية ازدهرت الطريقة باصحابه الاربعين وفي مصر بخليفته في الولاية ابي العباس المرسي « 616 ـ 686 هـ » وبابن عطا الله الاسكندري صاحب الحكم « 658 ـ 709 هـ » وبشرف الدين البوصيري صاحب البردة والهمزية « 608 ـ 695 هـ .

فقد نظم البوصيري قصيدة بلغت 118 بيتا يمدح فيها استاذه « المرسي » ويعزيه عن شيخه الشاذلي [1] »

ويقول في مدح الشاذلي :

كتب المشيب بابيض في اسود بغضاء ما بيني وبين الخرد

ومنها :

اعني ابا الحسن الامام المجتبى من هاشم والشاذلي المولد ؟

ان الامـــام الشاذلي طريقه في الفضل واضحة لعين المهتدي

ويقول :

كشفت له الاسماء عن اسرارها فاذا الوجود لمقلتيه بمرصد !

وتفرعت عن الطريقة الشاذلية طرق لشيوخ آخرين منها طريقة

---

(1) التراث الروحي ص 80 .

الشيخ احمد بن مخلوف الشابي « 803 ـ 887 ه » صاحب كتـــاب الفتح المنير وتبعه ولده الشيخ سيدي عرفة دفين القيروان المتوفي 949 ه (1)

المقام الشاذلي في تونس

وقد شيد الوزير مصطفى خزندار على قمة جبل التوبة المعروف في وقتنا هذا بجبل الزلاج تلك البناءات الفخمة المشرفـــة على مدينة تونس شيدها من قروض الدولة تكفرا لسيأته المالية في الدولة التونسية وترضية منه للراي العام الذي كان قوي الاعتقاد في طريقة الشاذلي .

مؤلفاته : له مؤلف ورد باسم « احكام التجبر والتكـــبر » في كتاب فهرس المخطوطات المصـورة « لفـؤاد السيد طبـع مصر 1954 » لاحظ عنه انه لابي الحسن الشاذلي المتوفي سنة 656 ه (والاصل بمكتبة البلدية رقم 3201)

القهوة الشاذلية ؟

يتوهم الكثيرون ان نبات القهـوة وحبوبهـا المستعملة لتنبيـه الاعصاب هي من مكتشفات ابي الحسن الشاذلي وقد تسرب هـــذا الوهم الى احد المؤرخـين المعروفـين في تونس فكتبه في مقـال نشره بدون تحفظ والحقيقة ان العيدروس عبـــد الله الشاذلي هـو

---

(1) راجع ترجمته في هذا الكتاب .

مبتكر القهوة فقد كان زاهدا قام بسياحات طويلة فمكث مدة في اليمن ورأى (البن) فاقتات به فاعجبه فاتخذه قوتا وشرابا لأنه ساعده على قيام الليل وارشد اتباعه اليه فانتشر في اليمن ثم في الحجاز والشام ومصر ثم في العالم كله وتوفي العيدروس سنة 908 هـ - 1592 م [1]

احزاب الشاذلي

الف الشاذلي اثنين وعشرين حزبا في التوسل والتلطف والتحصن والاستغفار والتجلي وما الى ذلك .

وقد انكروا عليه اشياء لبعض ما ورد في احزابه

قال الصفدي في كتابه (نكت الهميان) كان ابو الحسن الشاذلي كثير الكلام عالي المقام له نظم ونثر فيه متشابهات وعبارات يتكلف له في الاعتذار عنها . ثم قال :

« ورأيت شيخنا عماد الدين قد فتر عنه في الآخر وبقي واقفا في هذه العبارات حائراً في الرجل لانه كان قد تصوف على طريقته » ثم قال : « وللشيخ تقي الدين ابن تيمية مصنف في الرد على ما قاله الشاذلي في احزابه »

---

(1) الاعلام جزء 2 ص 559 .

أصحاب ابي الحسن الشاذلي الاربعون

1 ـ ابو عبد الله الغماري ـ هو اول اصحابه وقبره بالزلاج قريبا من المغارة نحو القبلة بنحو خمسة عشر خطوة توفي سنة 663 ه

ـ ابو عبد الله محمد القرطبي كان يسكن خارج باب الجزيرة وتربة قبره جوفي جبل الزلاج وتوفي سنة 661 ه

3 ـ ابو العزائم ماضي بن سلطان المسروقي كان ملازما لخدمة الشيخ ابي الحسن الشاذلي في تونس وفي مصر توفي سنة 718 ه وقبره بالزلاج

4 ـ عبد المغيث عرف الطنجي توفي سنة 680 ه وقبره بجهة القبلة من جبل الزلاج

5 ـ عبد الملك الزعزاع توفي سنة 681 ه ودفن قبلة باب علاوة جبل الزلاج

6 ـ ابو العباس احمد الغرابلي توفي سنة 685 ه ودفن بالزلاج بتربة سيدي عبد الملك الزعزاع

7 ـ ابو حفص عمر السبتي توفي سنة 687 ه ودفن بتربة الزعزاع بجبل الزلاج

8 ـ ابو عبد الله محمد الصمعي توفي سنة 686 ه ودفن بالزلاج

9 ـ ابو عبد الله محمد الحبيبي توفي سنة 693 ه ودفن قبلة الزلاج

10 ـ ابو عبد الله محمد المسروقي

11 ـ عبد العزيز الزيتوني .

12 ـ سيدي هلال المسروقي

13 ـ علي بن مخلوف توفي بمدينة تونس ودفن بالزلاج

14 ـ ابي عبد الله محمد الصابوني توفي سنة 687 ه ودفن بالزلاج قبلة ابي العزائم ماضي بن سلطان

15 ـ ابو حفص عمر الجاسوسي توفي سنة 687 ه ودفن بذيل جبل الزلاج من جهة الجوف وقد دفن بالقرب منه جميع الاولياء

16 ـ سيدي ابراهيم المزوغي توفي سنة 690 ه ودفن بتربة ابي عبد الله الكومي الفقيه (1)

17 ـ ابي العباس احمد اليمني توفي سنة 691 ودفن . . . . . . محراب المقام من قبلة يعني بيت الزلاج « كذا » ؟

18 ـ ابو اسحاق ابراهيم عرف الزواوي توفي في 2 شوال 691 ه وتربته بازاء القاضي عياض ؟ غربي جبل الز لاج بينهما مجرى السيل .

19 ـ ابو سالم البرقي ؟

---

(1) ابو عبد الله الكومي من اقران ابي مدين وابي مروان (انظر ترجمة ابي علي النفطي .

20 ـ ابو عبد الله محمد الفاسي له مناقب « كتاب حسن المآب » توفي سنة 659 ه ودفن قبلة جبل الزلاج في مقبرة مشهورة

21 ـ ابو عبد الله محمد الربيعي تـوفي سنة 661 ه ودفن بالزلاج بجهة من شرقيه بيسير

22 ـ ابو سالم المزاتي توفي سنة 661 ه ودفن بناحية الغرب من جبل الزلاج

23 ـ قاسم القرطبي توفي سنة 661 ه ودفن قبلة سيدي ابي عبد الله المغربي

24 ـ ابو عبد الله محمد عرف القطـــاع توفي سنة 663 ه ودفن جـوفي ابي العزائم ماضي بن سلطان

25 ـ اسماعيل الهنتاتي توفي سنة 663 ه ودفن غربي الزلاج قرب الرقيق

26 ـ تاج الدين الصنهاجي توفي سنة 664 ه ودفن عند باب الزلاج

27 ـ ابو عبد الله محمد الجباس توفي سنة 664 ه ودفن غـربي الـزلاج من جهة الرقيق

28 ـ عطية المسروقي توفي سنة 664 ه ودفن شرقي الزلاج من جهة السبخة قرب سيدي ابي عبد الله القرطبي

انتهى من دفن منهم بالزلاج

29 ـ ابو الحسن علي القرجاني « له مناقب في كتاب رجال الشرف »
توفي سنة 681 ومقبرة الشرف هي مقبرة القرجاني خارج المركاض
بمدينة تونس .

30 ـ ابو زيد عبد الرحمان الصقلي توفي سنة 665 ه ودفن بشرف المركاض

31 ـ ابو زيان الداودي توفي سنة 666 ه ودفن غربي سيدي علي
القرجاني الشارف على السبخة « سبخة علي السيجومي »

32 ـ سعدون الاسمر توفي سنة 666 ه ودفن شرقي علي القرجاني المشرف
على السبخة

33 ـ ابو الفضل قاسم الدباغ توفي سنة 666 ه ودفن في مجرى السيل جوفي
شرقي المركاض

34 ابو عبد الله محمد الشريف امام جامع الهواء وشيخ المدرسة
التوفيقية توفي سنة 666 ه ودفن جوفي جامع الهواء شرقي التوفيقية
قبلة المكتب

35 ـ ابو عبد الله محمد القرافي توفي سنة 666 ه ودفن بشرف المركاض
شرقي الهنتاتية غربي المصلى

36 ـ عبد الله القرطي القرشي توفي سنة 667 ه ودفن بشرف المركاض
شرقي ابي علي القرجاني جوفي باب الفلاق

37 ـ ابو عبد الله محمد عرف التراب توفي سنــة 667 ه ودفن قبلة ابي علي القرجاني

38 ـ ابو العباس احمـــد المزوغي توفي سنة 667 ه ودفن قــرب قبر الشيخ ابي اسحاق ابراهيم بن غالب قبلة سيـــدي علي القرجاني بالشرف

39 ـ عبد الرحمان الشبعني او الشفي او الشفني تــوفي سنة 668 ه ودفن بحائط روضة ابي علي القرجاني من القبلة .

ومن دفن خارج مدينة تونس

40 ـ ابو الحسن علي الحطـاب توفي سنــة 671 ه ودفن بالبحيرة غربي تونس وهو اول من تعرف بابي الحسن الشاذلي حين قدومه

41 ـ سالم التباسي توفي اواخر شهر صفــر سنة 642 ه ودفن بالمصرين « قرية بالقرب من بلد طبربة »

42 ـ حسن السيجومي توفي اواخـــر ربيع الاول سنة 674 ه وقبره مشهور قرب سبخة السيجومي

43 ـ سيدي عبد الوهـــاب توفي اواسط شهـر رجب 675 ه ودفن بالحماري « مقبرة الفدان »

44 ـ سيدي سفيان الباجي توفي سنة 675 ه (اواخر شهر رمضان) ودفن بازاء قبر سيدي عبد الوهاب بالحماري

45 ـ عبد الرحمان عرف الحلفاوي توفي سنة 676 ه يوم الجمعة الخامس من شهر شوال ودفن خارج مدينة تونس من غربي المدينة. بجهة باب سويقة

46 ـ خلف المسروقي « وقيل ابن خلف » توفي سنة 676 ه ودفن بازاء جامع الصفصافة بجوار زاوية سيدي عبد الله الشريف خارج باب منارة

47 ـ سيدي عبد الله الشريف توفي سنة 673 ه وقبره في زاوية باسمه خارج باب منارة بجواره مسجد الصفصافة « ذكره الهواري مع مشائخ الشرف »

48 ـ والحق بهم الشيخ سيدي البغدادي « يوسف » ووصف الهواري زاويته ومسجده حيث هما اليوم بنهج سيدي البغدادي خارج باب منارة. وللشيخ يوسف البغدادي ذرية لا تزال بمدينة تونس وهم ينتسبون اليه

(انتهى)

الشيخ محمد بن عمر الزلاج [1]

يقول السراج انه تزايد في فوشانة « من احواز تونس » وتربى في المنستير وقرأ القرآن في المدينة المنورة. واحترف صناعة الزليج اخيرا في مدينة تونس. وكان معروفا بالصلاح والناس يلتمسون منه الدعاء وله عندهم كرامات وخوارق عادات! وذكرت المناقب بعضها بما لا يصدقه العقل.

وخير ما يؤثر عنه انه قال في يوم من الايام لغلامه « مبارك » وكان يحبه ويأتمنه: اذهب الى تونس واشتر لنا دارا فيها (عيينا من هذه القرية) والاقرب انها قرية فوشانة. وامده بما يلزم من المال فذهب مبارك وعند خروجه من الصلاة بجامع الزيتونة التفت فوجد اربعة عشر جنازة « بسبب اشتداد مرض الطاعون والمجاعة » فشايع الجنائز الى ان وصل الناس بها الى « الباب القبلي مقابل المغارة الشاذلية » فقال الغلام مبارك في نفسه وقد عاير حاجة الاموات لفسحة ارض المقبرة هذه دار الاقامة ولا خير في دار النقلة وكان واثقا من حب سيده للخير فاشترى ارضا وجعل عليها طابية ونادى ايها الناس من اراد ان يدفن فيها فليدفن. ورجع الى سيده

---

(1) الحلل جزء 3 مخطوط للوزير السراج

واخبره بما كان منه فاستحسن منه ذلك وشكره وكلفه بشراء بقعة اخرى فاشترى له اخـــرى فحبس جميعها الشيخ الزلاج على اموات المسلمين . وحلف عن نفسه الا يدفن فيها حبسه وقـــال اذا مت ادفنوني بين وادين خارجين عن الحبس وتوفي يوم الجمعة من شهر رجب « ولم يذكر السنة » ؟ عن تسعة وتسعين سنة

وقال من زار ماضي والجبل ولم يزرني ردت عليه زيارته . ومن زارني وزار ماضي فكانما زار الصالحين كلهم » وقبره اليوم معروف بمقبرة الزلاج عليه قبة نقش اخيرا على باب مدخلها ما نصه (هذا ضريح الشيخ محمد الزلاج المتوفي سنة 601 هـ »

وفي هذا التاريخ 601 هـ توقف لان قول الشيخ محمد الـــزلاج من زار ماضي والجبل ولم يزرني الخ يدل على ان وفاة الشيخ ماضي بن سلطان كانت متقدمة عن وفاته ومعلوم ان وفاة ماضي كانت في سنة 718 هـ ولذا فالتاريخ الذي كتب متأخرا على مدخل تربته (601) غير صحيح

ومقبرة الزلاج هي الارض المضافة لمقبرة الجبل المعروف (قبل المغارة الشاذلية) بجل التوبة وتكاثر الدفن فيها تبركا بمقام الشيخ أبي الحسن الشاذلي ثم تغلبت عليها التسمية بالزلاج بعد التوسع الذي اشرنا اليه

المقابر الاخرى

1 ـ مقبرة السلسلة : يظهر انها اقدم مقابر مدينة تونس كانت تمتد من القصبة الى باب الجديد داخل سور المدينة لا خارجه !

ومن آثارها الباقية . ضريح الشيخ علي بن زياد صاحب الامام مالك وله عنه رواية لكتاب « الموطأ » توفي سنة 183 ه ودفن بمكانه المعروف الان بجوار مستشفى عزيزة عثمانة بالقصبة وفي هذه المقبرة (ابن نفيس) له قبة ظاهرة وتلحق بها مقبرة بني خرسان وقبة عبد الله الترجمان ومن جامع القصر الى سيدي عياد الزيات عـــدة مقابر خاصة هي اليوم مسكونة «ومن براح زاوية سيدي عياد تبدأ مقبرة المناطقي الى باب الجديد.

ولم يكن لمدينة تونس في اول عهد لهذه المقبرة ارباض ولا اسوار ثانية وحتى باب المنارة وباب الجديد فاحداثهما كان بعد ظهور الارباض

2 ـ مقبرة سيدي احمد السقا : الكائنة خارج باب العلوج تغلب عليها اسم هذا الرجل المشهور بالصلاح المدفون بها بالجهة الغربية من باب العلوج

قيل عنه انه « من اهل علم التوحيد وسالك في علوم القـوم » توفي سنة 743 هـ 1342 م وعمره 73 سنة ودفن « غربي الروضـة » اي مما يلي باب العلوج ويصف البكري في المسالك « ص 40 » ابواب مدينة تونس في آخر القرن الرابع نقلا عمن سبقه فيقول : « وباب ارطـة تجاوره مقبرة تعرف بسوق الاحد وهي المعروفة في وقتنا هذا فيما يحتمل بمقبرة سيدي احمد السقا (اعتمادا على النسق الذي وصف البكري به ابواب المدينة)

3 ـ مقبرة القرجاني : خارج المركاض نسبة لابي الحسن علي القرجاني المتوفي سنة 681 هـ ـ 1285 م وهـو من اصحـــاب ابي الحسن الشاذلي وكانت تعرف بالمقبرة « الهنتاتية » وفيها عـدد كثير من الصالحين يسميهم رجال المناقب باصحـاب الشرف « شرف المركاض المشرف على سبخة سيجوم » منهم السيدة المنوبيـــة ورقية الهنتاتية وفاطمة بنت عياش المتوفاة سنة 665 هـ والسيدة ام الخير والدة سيدي سالم التباسي « من كبار الاصحاب لابي الحسن الشاذلي » والنحوي الفقيه سيدي سعيد القرطبي وسيدي سفيان القرطبي وغيرهم

4 ـ مقبرة الفـدان : وكانت تعرف بالحمـاري واشهـر من فيها سيدي عبد الوهاب المتوفي سنة 675 هـ ـ 1276 م والشيـخ سيدي

سفيان الباجي توفي سنة 675 هـ ـ 8276 م ودفن بازاء قبر سيدي عبد الوهاب وكلاهما من الاربعين اصحاب الشاذلي

السيدة عائشة المنوبية

في مناقبها [1] انها ابنة الشيخ عمران ابن الحاج سليمان المنوبي وامها فاطمة بنت عبد السميع المنوبي

كانت من المجذوبات (والجذب عند الصوفية) تفضل من الله على عبده بالولاية بدون ان يتحمل الولي مجاهدة السلوك . وكانت سائحة تذهب الى حيث شاءت وتجتمع بالصالحين . قالت

انا رايت ابا الحسن الشاذلي واعطاني خاتمه من اصبعه وقال لي : انا اوليتك طريقتي وقالت رايت الشاذلي مرة اخرى واعطاني علمه وصبره . وكانت السيدة عائشة جميلة الذات حتى قيل عنها انها كانت اجمل عباد الله وان النظر اليها فتنة

كانت كثيرة التردد على جامع الصفصافة وجبل الزلاج ومقبرة بني خراسان (بالقرب من باب المنارة) ومغارة الشاذلي .

---

(1) ط تونس سنة 1344 هـ معزوة للشيخ محمد بن مبارك اللواتي المنوبي وكان يسكن بربض السعود المعروف في وقتنا هذا براس الدرب قرب المركاض دونها عنه امام جامع منوبة . والذي يستفاد منها اكثر من كل شيء هو التعرف بشيء من خطط مدينة تونس واحوازها

وتجتمع باصحاب (الشاذلي) وغيرهم من الصالحين . كان محمد بن محمد الاربصي من خدامها . وكان من اصحابها في الصلاح سيدي عثمان الحداد بوقبرين وهي تلازمه في التلاوة والذكر

عاشت ستة وسبعين عاما . وفي مناقبها انها توفيت يوم الجمعة الحادي والعشرين من رجب سنة 665 ه وان قبرها قبلة باب الفلاق (مقبرة القرجاني) على الطريق الشارف على سبخة سيجوم وتقول المناقب : وعلى قبرها لوح من رخام طوله اربعة اشبار في مثلها عرضا فيه سبعة وعشرون سطرا ولا تذكر المناقب محتواها

وفي كتاب الخلاصة النقية تسمى عائشة بنت موسى المنوبية توفيت ضحوة الجمعة في 21 رجب سنة 665 ه

ومن جهة ثالثة عثر اخيرا على سيف من رخام عند ما قامت بلدية الحاضرة بتسوية مقبرة القرجاني ونقلة قبورها طوله 1,10 وعرضه 0,19 عليه كتابة بارزة نصها :

(هذا قبر عائشة بنت موسى بن محمد توفيت في السادس عشر من شعبان المكرم عام ثلاثة وخمسين وستمائة

ولا شك ان المناقب كتبها رجل امي بعد وفاتها بامد بعيد والمطبوعة مطابقة للنسخة الخطية رقم 1086 المحفوظة بمكتبة العبدلية والاعتماد فيما يظهر يكون على ما وجد مكتوبا بالنقش على سيف قبرها المجهول

سيدي عمار ـ دفين اريانة

. . . . ـ 668 هـ (1269) م

قال الدباغ : هو ابو علي عمار المعروفي وقد وصفه بالعلم والصلاح ثم قال : كان عمار من اجمل الناس صورة واحسنهم قداً لم يكن في وقته اجمل منه (1)

كان عمار يحسن العربية الفصحى ويتمثل بالشعر الرقيق . اخذ عن الشيخ ابي هلال السدادي دفين سدادة (قرب دقاش من بلاد الجريد » ولازم الشيخ ابا علي سالم القديدي في بلده (قديد) وهي قريبة من القيروان ولم يبق اليوم لها اثر . وكان عمار يعظم شيخه ابا علي سالم القديدي

ولما زحف الويس التاسع ملك فرانسا على تونس وعسكر بقرطاجنة سنة 668 هـ (1270 م) خرج سيدي عمار مع شيخه القديدي

---

(1) معالم الايمان ج 4 ص 21 .

من القيروان ودخلا مدينة تونس وانخرطا مع المجاهدين المتجمعين حول المدينة واحوازها لرد الغارة (الصليبية) وكان التجمع اولا في المدينة ومن المدينة خرج الشيخان (عمار والقديدي)ونزلا مع التجمع التونسي المعسكر في اريانة وسكنوا خيامهم وساهموا في الهجوم على قرطاجنة حيث عسكر الصليبيون مع اميرهم (سان لوي) وحاصرهم المجاهدون الى ان تعفنوا ولم تمض ستة اشهر حتى اصيب الجيش الصليبي (بوباء الهيضة) وهلك بهذا الوباء قائدهم الملك مع من هلك منهم في معسكرهم باطلال قرطاجنة

وتسرب هذا الوباء بسرعة منهم الى المجاهدين التونسيين . واصيب به سيدي عمار المعروفي اثر انعقاد الصلح بين المستنصر الحفصي ونائب ملك فرنسا وتاخر رجوع الشيخ سالم القديدي الى القيروان اياما بسبب مرض صاحبه واخيرا توفي عمار ودفن باريانة سنة 668 ه

قال ابن ناجي في تعليقه (كان قبر سيدي عمار عليه حوطة وكنت في ايام دراستي بتونس اتردد على اريانة وازور هذا القبر وقد تبرع سكان اريانة فبنوا بجواره بيتا للصلاة وللتوقي من حر الشمس وماء المطر وشدة البرد

ابو عبد الله محمد بن سحنون الدكالي (1)

. . . . ـ 696 هـ (1296) م

من اصحاب ابي علي سالم القديدي كان من اهل العلم والتصوف انتقل الى سوسة ورابط في رباطها الى ان توفي سنة 696 هـ قال ابن ناجي « وقبره جبلي مدينة سوسة » وقبره معروف في وقتنا هذا عليه قبة عالية بجوار زاوية سيدي يحي بن عمر في باب البحر

وكان من شيوخ الفتوة (2)

الشيخ عبد العزيز المعلقي القرشي

. . . . ـ 668 (1269) م

من العباد الكبار كان يسكن بجوار خرابات قرطاجنة بجهة تعرف بالمعلقة . قال محمد بن ابي القاسم الحميري المشهور بابن الصباغ في كتابه « مناقب ابي العزائم ماضي بن سلطان » (3)

« كان الشيخ عبد العزيز المعلقي يقول لاصحابه ارتقبوا نزول النصارى بعد موتي . فلما مات نزل النصارى بتونس في الثاني عشر من

---

(1) ترجمه ابن ناجي ص 39 ج 4 من المعالم

(2) ص 41 ج 4 من المعالم

(3) مخطوط خزينة الاستاذ ح . ح . عبد الوهاب

شهر ذي القعدة عام 668 ه بعد موته بخمسة عشر يومـــا وفي متحف كنيسة قرطاجنة شاهد قبر ابنه عبد الله عثر عليه في خرابات قرطاجنة وهذا نص ما كتب عليه :

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنـــا محمد وآلـه

قل هو نبـــأ عظيم انتم عنه معرضون

هذا قبر العبد الفقير الى رحمة ربه عبد الله بن الشيخ الصالح العابد . . . . عبد العـزيز المعلقي القرشي توفي ليلة الخميس الحـادي والعشرين من ربيع الاول عـــام خمسين وسبعمائة .

ومن احسن ما قد وقع ان البـاي حسين بن علي قـد شيد على ضريحه (بالمعلقة) قبة وبيوتا من حولهـا وكان يظنه انه ضريـح الشيـخ عبـــد العزيز المهـدوي (وضريحه بشاطيء المرسى) ولم يتنبـه لهذا الغلط احد الا الشيخ صالح الكـواش في دولة حمودة باشا حفيد حسين بن علي ذكر ذلك ابن ابي الضياف في تاريخه (ص 101 ج 2)

ابو هلال السدادي

له ضريح عليه قبة في راس جبل بالجهة المعروفة بسدادة بلدة قرب دقاش ورد ذكره في ترجمة تلميذه ابي علي سالم بن سعيد القديدي [1] ووصفه فقال : « كان نحيف الجسم قصير القامة عليه جبة حاكة بيضاء وعلى راسه فويطة وقلنسوة تحتها وعلى اكتافه فوطة اخرى »

ابو علي سالم بن سعيد القديدي

. . . . ـ 699 هـ (1299) م

اجتمع بالشيخ ابي هلال السدادي لاول مرة في قصر الرباط بالمنستير وكان عمر سالم ثمانية عشر عاما وتعرف به وبكراماته . وبعد افتراقهما ورجوع كل منهما الى بلده انتقل القديدي الى سداده لملاقاة شيخه فاجتمع به مرة ثانية واقام عنده مدة ادبه فيها وسلك به الطريق ثم قال له سر الى اهلك واوصيك بتقوى الله العظيم واتباع كتابه وسنة رسوله محمد . ورجع القديدي واختلى للعبادة والمجاهدة. ثم انتقل الى شيخه مرة ثانية ولما علم شيخه انه قد تاهل للمشيخة امره بالرجوع الى منزله ويفتح زاوية لينتفع الناس به فقال له سالم اني لا اقدر على ذاك

---

(1) ص 59 ج 4 من معالم الايمان

« لان الساحل عامر باولياء الله وفيه طوائف وهم كثيرو الامتحان وما تأهبت لذلك » فقال له بذلك امرت فلا تخف .. فرجع الى بلده قديدة وفتح بها زاوية وتكاثر اتباعه واخوانه وصار يرحل بهم الى سداده لزيارة شيخه ابي هلال .

وفي زيارة له الى منزل بني معرف من عمل المهدية تعرف بالشاب عمار (هو سيدي عمار دفـين اريانه قرب تونس العـاصمة) ورجع بـه فادبه وذهب معه مرة الى ابي هلال « فبارك شيخه » وبذلك كلفه القديدي بزاويته واملاكه وامره ببناء زاوية له ثانية بمدينة القيروان

وخرج في جمع كثير من اهل القيروان ومن بني جرير وغيرهما لجهاد العدو الذى نزل بثغـر المهديـة ونزلوا « بقراضـة » الى ان اجتمـع عليه خلق كثير ثم نهض بهم الى مقاتلة العدو فقاتلوه الى ان فر مهزومـا واقتلعت سفنه من مرسى المهدية وكانت للشيخ سالم اربـع زوجـات [1] وتوفي سنة 699 ه

ومن اصحابه : ابو عبد الله الدكـالي المتوفي سنة 696 ه وقـد تقدم ذكره.

---

(1) ص 88 ج 4 معالم

ابو يحي القصبي ـ دفين رادس

توفي سنة 672 هـ (1273) م

كان اماما بمسجد سوق البلاط بتونس ومن صلاحه وفتوته انه تزوج بكرا فلما دخل عليها اخذها عارض ارتعاد وبكاءً ثم اخذها الطلق فسترها وقال لها كوني مطمئنة فوالله لا يطلع عليك احد . وساعدها على خلاصها واخذ المولود ولفه في خرق وخرج به في الصباح الباكر والقاه في جانب من مسجده . فلما جاء المؤذن وجد المولود فحمله واتى به الى الامام فاظهر الامام الشفقة عليه واخذه منه وذهب به الى داره وتظاهر بحضرة من كان مع زوجته من اهلها انه وجد هذا المولود وانه قد حمله لزوجته للتتبناه فهشت له الزوجة واخذته من يده واظهرت مع اهلها الفرح والسرور ! وارخاء هذا الستر الجميل مما يستدل به على صلاحه وفتوته وتوفي 672 هـ . وقبره ببلد رادس وعلى ضريحه قبة ولوحة من رخام مشوهة وبخط رديء كتب فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله

هذا قبر سيدنا الصالح ابي زكريا يحي القصبي نفعنا الله به

بتاريخ اثنين وسبعين جماد الا (ثم ارقام لا تفهم) !

ويظهر ان الكاتب قد اكتفى بما كتب عن زيادة (وستمائـة) وترجمته في الحلل السندسة ج 3 ص 81 مخطوط نقلا عن الهواري ولم يؤرخ وفاته وفي مكان آخر من هذه المناقب ما نصه : « قال الشيخ ابو الحسن علي بن مخلوف الرادسي نقيب الشيخ الصوفي القطب الغوث ابي زكريا يحي القصبي بارض رادس قال :

اتانا الشيخ سيدي عبد الوهاب لزيارة الشيخ وقد رايت سيدي يحي في المنام يقول له عليك (بالدرر الوهابية) والشيخ عبد الوهاب توفي في اواسط رجب من عام 675 ه ودفن بالحماري وهو احـــد الاربعين من اصحاب الشاذلي .

ولذا فان وفاة الشيـخ ابي يحي تكون في سنة 672 ه اعتمادا على بداية التاريخ المنقوش على قبره : « اثنين وسبعين . . . . . »

ابو زيد عبد الرحمان بن محمد بن علي الدباغ

.... ـ 699 هـ

قال ابن ناجي [1] ناقلا عن الاعواني ان الدباغ روى عن القاضي ابي زكريا البرقي واكثر الشيوخ عنه وروي عن القاضي ابن عبد الجليل الازدي وغيره مما يزيد عن الثمانين شيخا . قال العواني : سمعت ذلك منه غير ما مرة وكان معتنيا بالآثار جامعا لها كتب بخطه منها كثيرا ورواه وكان انيس المجالسة كثير الحكايات وكان عارفا وله تواليف منها (معالم

---

(1) ترجم له ابن ناجي في ملحقه للمعالم » ج 4 ص 89 وكتاباه « تاريخ ملوك الاسلام و (جلاء الافكار » لم يصلا الينا ، كما ان الكتاب المسمى « مشارق انوار القلوب ومفاتح اسرار الغيوب » الذي حققه (هـ . ريتر) وطبعته دار صادر بيروت سنة 1959 قال محققه في مقدمة الكتاب بعد ان ذكر الكتب المؤلفة في موضوع الحب الالهي واعتبر كتاب مشارق انوار القلوب هو الرابع من نوعه ان مولفه ابا زيد عبد الرحمان بن محمد الانصاري القيرواني المعروف بابن الدباغ المتوفي سنة 696 هـ (والصواب (699 هـ) وان الاصل من مجموع رسائل في مكتبه ولي الدين في استانبول (ورقة 1 ـ 39 آ) فرغ من مقابلتها باصلها في 17 ذي القعدة 806 هـ وعقب على ذلك فقال : ولم اقف على هذا الكتاب ولا على ترجمة ابن الدباغ ؟ ويرى « ان هذه الرسالة مثال جيد لاقوال الصوفيين في العشق المتأثرين بالفلسفة الافلاطونية وفي نظرنا ان الكتاب رائع لاجيد فقط ونسجه لا يتماشى مع كتابه معالم الايمان وقد يتغير الاسلوب والراي بالزيادة في التحسن والسعة بطول العمر والمكابدة .

الايمان) وكتاب تاريخ ملوك الاسلام وكتاب جلاء الافكار في مناقب الانصار الى غير ذلك من اوضاعه وكان يقول الشعر وربما اجاد في بعضه

ومن شعره في كتابه « مناقب الانصار » :

كتبت جلا الافكار في فضل معشر
بهم عز دين الله في الشرق والغرب
الهي فحقق للاسيد ما رجا
بتاليفه واغفر لنا سائر الذنب
وبوئه والقاري ومن هو سامع
وكانبه اعلى المقامات في القرب

ويقول عن نسب الانصار :

نسب كان الصبح منه تنفست انواره والشمس منه تشعشع
من مبلغ الانصار عني انني احمى الحمى واذب عنه وادفع

توفي سنة 699 ﻫ وقبره بمقبرة باب تونس مع اوائله وسميت مشاهد قبورهم بسلسلة الذهب فهم قوم جمعوا بين العلم والعمل والورع ونسب الانصار

المرجاني

وهم ثلاثة بتونس يشتركون في هذا النسب

الاول ابو محمد عبد الله المرجاني صاحب المدرسة المرجانية وكان يرابط فيها وجعلها لطلبة العلم رباطا • وهو المؤسس لجامع ابي محمد خارج باب سويقة وقال بعضهم انه من اصحاب الشاذلي

وفي مناقب محمد بن سلطان شقيق ماضي بن سلطان انه اتى الى الشيخ ابي محمد المرجاني عند ما عزم الاخير على اداء فريضة الحج . وقال له : اني اردت السفر الى الحج معك . فقال له المرجاني كم عندك من المال ؟ فقال له خمسون دينارا فقال الشيخ لا يحل لك ان تسافر الى الحج حتى يكون معك ما يوصلك الى مكة ويردك الى وطنك على المشهور من قول مالك

وفي العام الموالي حج محمد بن سلطان واجتمع في الحرم المكي بالمرجاني (1)

وفي مناقب السيدة المنوبية (2) « حكي عن سيدي عبد الله المرجاني انه اتى اليه بعض المريدين وقال له اوصني يرحمك فقال له :

---

(1) مناقب محمد بن سلطان مخطوط

(2) ص 27 ط تونس

انهاك عن ثلاث واوصيك بثلاث. فاما الوصية فعليك بتقوى الله ولا تخف احدا وعليك بطريق الرشاد وعليك بسنة رسول الله ﷺ

واما الذي انهاك عنه فاياك وخلطة افراخ الزنا. فقلت له ومن هم ؟ قال لي الوساوس سكان الزوايا وسكان المدارس فهم اخوة الابالس !

واياك وخلطة الاحداث لان خلطتهم تطفي نور القلب .
واياك والمجادلة في الدين فانه من افعال الشياطين »

وللشيخ محمد المرجاني تاليف سماه : « الفتوحات الربانية » ذكره الحاج خليفة في كشفه وسبقت له يد على الملك الحفصي في قصة ذكرها الزركشي [1] فكانت له بموجبها مكان وحرمة عند الملك الحفصي واتباعه - توفي سنة 699 هـ ودفن بجبل الزلاج

وقال العماد في حوادث سنة 699 هـ : « في هذه السنة توفي ابو محمد عبد الله المرجاني الولي الشهير بتونس »وقال اليافعي ومناقبه تحمل مجلدا » [2]

---

(1) ص 42 - (تاريخ الدولتين)

(2) شذرات الذهب ص 451 ج 5

المرجاني الثاني

هو صاحب (الشعرات) دفين المدرسة المرجانية وحياته متأخرة عن الاول ويظهر انه من احفاده [1]

المرجاني الثالث

وهو ايضا مجهول لا يعرف الا بزاويته ومسجدها وهما بنهج سيدي المرجاني المتفرع عن نهج جامع الزيتونة

قال الشعراني في طبقاته الكبرى [2] « ومنهم عبد الله بن محمد العرشي المرجاني الامام القدوة المفسر احد الاعلام في الفقه والتصوف قدم مصر ووعظ بها واشتهر في البلاد ومات رضي الله عنه بتونس سنة تسع وستين وستمائة وامتحن وافتى العلماء بتكفيره ولم يؤثروا فيه فعملوا عليه الحيلة وقتلوه رضي الله عنه »

وقد يكون هو المرجاني الثالث الذي اهمل التاريخ ذكره للاسباب التى اشار اليها الشعراني

---

(1) راجع معالم التوحيد ص 70 - 181

(2) طبقات الشعراني ص 225 ج 1

ابو عبد الله محمد بن عبد الله السبائي عرف الجديدي [1]

.... 786 هـ (1384) م

عاش يتيما وتعلم وتفقه على الشيخ ابي عبد الله محمد بن فندار عرف عظوم ثم تصوف وصارت له زاوية عامرة بالفقراء في القيروان وزاوية في المهدية وكان يتردد على رباط المنستير وينتقل من جهة الى اخرى مع اصحابه وشاهدوا معه في خروجه مرة من القيروان ابا بكر القرقوري بن عياش « صاحب الزاوية الشهيرة بطبلبة ومحمد بن ابي زيد صاحب رباط المنستير [2] في حال صغرهم فهؤلاء من تلاميذه ومريديه . وخرج الى الحج وتوفي بمكة سنة 786 هـ فحل محله في زاويته الكبرى بالقيروان الشيخ الصالح عبيد بن يعيش الغرياني واستبد بها وصارت بعد وفاة الجديدي تسمى بالزاوية الغريانية

ومن اصحاب الشيخ الجديدي :

سيدي مبروك الهيشري [3] له زاوية واحباس بين قبلاط وعروسة . ومن معاصريه :

---

(1) ترجم له ابن ناجي في المعالم ج 4 ص 26

(2) ترجمة محمد ابن ابي زيد في شجرة النور رقم 886

(3) المعالم جزء 4 ص 237

سيدي يحي السليماني اليمني

.... ـ 749 هـ

قال الرعيني في كتابه المؤنس كان من اهل العلم والصلاح اخذ عن القاضي محمد بن عبد السلام وكلهما توفيا في وباء سنة 749 وقال الشماع مات به جماعة من العلماء والصلحاء من بينهم ابن عبد السلام والعابد الزاهد الفقيه الولي سيدي يحي السليماني وكان يطلب العلم عليه ببيته ثم شرع في العبادة والتقشف (1)

محمد الظريف

.... ـ 787 هـ (1385) م

هو ابو عبد الله محمد ابن الشيخ ابي بكر شهر الظريف من ساكني (دار فضال) هكذا عرف به الرصاع في شرحه لوصيته (2)

---

(1) المؤنس 139 وتاريخ الشماع ص 119

(2) من مجموع خطي فيه شرح وصية محمد الظريف للشيخ محمد بن قاسم الرصاع الانصاري . والشيخ الرصاع كان من علماء تونس له شرح على حدود ابن عرفة وله شرح على البخاري . تولى قضاء الجماعة وامامة جامع الزيتونة مع خطابتها ومن ورعه تخلى من نفسه عن خطة القضاء واحتفظ بالامامة والخطابة الى ان توفي سنة 894 هـ ولقب (الرصاع) عرف به جده الرابع من والده فقد كان نجارا في تلمسان يرصع المنابر ويزين السقوف وقد صنع منبر جامع الشيخ ابي مدين الغوث . وانتقل هذا الحفيد الى تونس مع والدته في سنة 821 هـ 1488 ملتحقا بوالده الذي سبقه اليها قبل مجيئه بعامين

انتقل في اول امره من دار فضال [1] وسكن اريانة ومنها الى تونس العاصمة واخذ الدار المباركة كما يقول الرصاع بتربيعة القرسطون [2] وبها خلويته التي كان يتعبد فيها وكانت وفاته سنة 872 ه وعمره اقترب من المائة وقبره بجبل المرسى قرب سيدي ابي سعيد وفي تاريخ الدولتين ان وفاته كانت في سنة 787 ه والاخير اقرب للصواب

كانت له رحلة الى الشرق حج فيها الى بيت الله الحرام وجال في البلاد وصحب العباد والزهاد نقل عنه انه قال : لقد ترددت الى خرائب المعلقة كثيرا وبقيت هناك وانا احرس فيها بين مسجد الصخرة ومسجد سولان ثم خرجت الى الحج » فلما سافر ظهر صلاحه للعيان .

كان ابو عبد الله الظريف ملازما لحدود السنة لا يغالي ولا يتطرف في صوفيته . كان منكرا لبدعة الزوايا والتصوف المحترف وله في ذلك شعر يقول فيه :

ان الزوايا بدع للهموم ... وربما تفضي الى الهاوية
زوت عن السنة عمارها ... ومن اجل ذلك سميت الزاوية

---

(1) دار فضال قرية لا تزال موجودة خلف مطار العوينة العسكري طريق سكرة

(2) القرسطون حي في قلب مدينة تونس يظهر انه بالقرب من سوق الوزر حيث يوجد المسجد المعروف باسم « مسجد القرسطون رقم 1 بنهج الزياتين

فيـا لرهبانيـــة احـدثـوا ليت اطرافها منهم خاليـــة
اشباك دنيا احكموا نصبها لجيفـــة اكلابهـــا عـــاوية
فيا عمر الاسلام اعـــززته فعد اليـــه مرة ثانيـــة

ومن شعره هذا تظهر الينا عقيـدة محمد الظريف في الصوفيـة والتصوف المصطنع فهو سني يعبد الله عبادة شرعية في المسجد والخلوة بعيدا عن الضوضاء لا يستهويه رقص ولا نغم

وكان الظريف ظريفا في عمله وادبه واخلاقه وهـــذا ما جعله مرموقا بعين الاعتبار والتقدير من الامراء الحفصيين واكابر العلماء

وصية الشيخ الظريف (1)

قال الشيخ الرصاع كلمة قدم بها متن الوصية قبل شرحها فقال: « ما كنت اعرفها ولما رايتها وجدتها جامعة مانعة دالة على امامته وقوة معرفته بظاهر العلم وباطنه »

وقال: « كنت سمعتها من بعض اكابر السادة الامراء الاخيار والصدور الكبار ممن يتصل نسبه بمولانا امير المؤمنين العباسى (يعني

(1) ومتن الوصية في الجزء الثالث من الحلـل السندسية للوزيـر السراج « مخطوط » مع ترجمة الشيخ الظريف ونقلها ناشر تاريخ احمد الشماع وادرجها باخر الكتاب ط تونس 1936

ابا العباس احمد 772 ـ 796) وسمعت قراءتها لحضرة مولانا امير المؤمنين مولانا ابو عمرو عثمان »

ومن هذا الامير اخذ الرصاع نسخة من نص الوصية برسم انه يتولى شرحها وقد التزم بذلك لاميره . وبدا شرحه في سنة 882 هجرية

نص الوصية

الحمد لله رب العالمين وبه استعين

. . . اصحبك الله لطفه الجميل وعاملك بفضله الجزيل وكان معك في القيام والرحيل . اوصيك يا اخي بتقوى الله العظيم في السر والعلانية وحفظ الحواس ومراعاة الانفاس وقلة مخالطة الناس والرضاء والصبر على المفقود والوفاء بالعهود وكثرة الركوع والسجود وترك التدبير والاختيار مع المدبر المختار والعمل بالسنة والاقتداء بالائمة والحركات والسكنات بالنية ولزوم الخلوات والجوامع ومواصلة الفقير الجائع ، وموافقة المتبتل الطائع ومجالسة المنيب الخاشع . ومعاشرة الولي الخاضع وزيارة الساجد الراكع وكن جوال الفكر جوهري الذكر كثير العلم عظيم الحلم جميل المناجزة سريع المراجعة واسع الصدر ضحكك تبسما واستفهامك تعلما ، مذكرا للغافل معلما للجاهل لا تؤذي من يؤذيك ولا تخض فيما لا يعنيك . . . .

ونكتفي بهذا الانموذج وهو نصفها ونصفها الثاني شبيه بالاول من حيث المعنى والمبنى

اما اشعاره فهي من الشعر الدقيق الجامع للطرافة والظرافة وجمال التعبير وهو لا يرى نفسه كما نحن نراه ظريفاً الا بعد ان تم له الوقوف على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قال من قصيدة له يتشوق لبيت الله وزيارة رسوله [1] منها قوله :

ان زرت قبرك هذا العام يصلح ان

ادعى اديباً ظريفا بين اخواني

وقد ضمن فيها اسماء (الطبوع) للموسيقى التونسية مما يدل انه كان من اهل الفن التونسي للنغم

وله ايضا :

ليس الظريف بكامل في ظرفه	حتى يكون عن الحرام عفيفا
فاذا تعفف عن محارم ربه	فهناك يدعوه الانام ظريفا

---

(1) والقصيدة تامة مع ترجمته في كتاب (عنوان الاريب) ج 1 ص 103 ط تونس

الشيخ احمد بن عبد الله بن عروس الهواري

توفي سنة 868 ه (1463) م وعمره 90 سنة

ولد بقرية المزاتين « بوادي الرمـــل من الوطن القبلي » وظهر عليه الجذب من صغره فكان اهل قريته ينادونه يا مرابط

فر عن اهله قبل البلوغ وجاء تونس وآوى زاوية بلوح القراءة ثم انتقل منها الى الزاويـة التي بالسواري وكان شيخها عبد الرحمان بن البناء ؟ وكان ملازما للتردد على مقام سيدي محرز بن خلف . وخدم نشارا للخشب « بدار العود » وخدم بالزبوجيين خارج باب سويقة . وعمل في فرن بقصيبة بنزرت . وذهب اليه بعض اقـــاربه لارجاعـه فامتنع ومنها انتقل الى باجة ولازم باب جامعهـا . وكان لا يتسول وياكل المنبوذ من الخضر وغيرها . وانتقل الى « ميلة » وجلس فيهـــا لتاديب الصبيان . ثم انتقل الى المغرب واقام بمقام الشيـخ ابي مـدين شعيب بتلمسان ودخل مدينة فاس ووصل الى مراكـش وانتقـل الى مدينة سبتة « وهي محتلة من النصارى » ورجع الى تونس على طريق عنابة

كان ملازما للصلاة بجامع الزيتونة والوضوء بميضاء السلطـان « ابي عمر عثمان » [1] وكان يسكن بالفندق الذي نقضه ابو عبد الله

---

(1) هي الميضاة المجاورة للمدرسة الخلدونية بالعطارين

المنتصر واقام به للشيخ زاويـــة ليسكنها فسكنها . وقضى فيها ما يقرب من ثلاثين سنة وتوفي سنة 868 ه وبناء الزاوية كان في 838 م ه 1434 وقد كثر اقبال النسوة على زيارة الشيخ حتى تفاقم الامر ! فامر قاضي القضاة بتونس بغلق الزاوية فاغلقوا ابوابها حينا

وكان النقيب المكلف بالزاوية ابن اخـي الشيخ . وللزاويـة وشيخها مكانة عند الامراء الحفصيين فقد لازمهـا ابو محمد الحسن ابن الامير اسماعيل بن ابي العباس احمد .

ومن اصحاب الشيخ ابن عروس سيدي عبـد السلام الاسمر وكان الشيخ احمد بن عروس يلازمه الجذب ويتكلم بلغة العوام وهم يعتقدون انه من كبار الاولياء وله في هـذا المعنى شطحات غليظة !

وكان قوي البنية ازهر اللون ضخم العظام عريض الصدر كث اللحية اشهل العينين عريض الوجه مستديره مع الجمال البارع

هذا ما لخصناه من مناقبه المطبوعة بتونس وصفحاتها 522 صفحة لمؤلفها الشيخ عمر بن علي الجواري الراشدي والمؤلف من اتباع الشيخ المعاصرين له والمنـــاقب محررة بقلم فصيح وصاحبها فيما يظهـر من المتفوقين في الشعر والنثر وله معرفة جيدة بعلم التصـوف ورجالـه فهو من انبغ من الـف من التونسيين في المنـاقب وعلم التصوف ولا عيب فيه الا ايمانه بالمستحيلات !

سيدي منصور بن جردان

توفي سنة 904 ه 1498 وسنه 85 سنة ودفن بزاويته حول حوانيت الفار . والزاوية معروفة بهـا مدرسة ومسجد بالنهج المسمى بنهج « سيدي منصور »

سيدي قاسم الزليجي

هو ابو الفضل قاسم بن احمد الصدفي الفاسي الزليجي توفي سنة 902 ه 1496 م وزاويته معروفة بساحة معقل الزعيم لها قبة شامخة هرمية جميلة خضراء

وفي هذه الزاوية قبر السلطان الحفصي احمد بن الحسن آخر ملوك بني حفص

وفي مناقب القشاش قائمة في المساجد والزوايا التي اصلحها او جددها أبو الغيث القشاش من ريع الموقوفات التي استبد بالتصرف فيها كان من بينها زاوية الشيخ الزليجي قال مدونها هي « زاوية قاسم الزليجي » روضة من رياض الجنة لكنها خربت وتهدمت وضاعت فجددها الشيخ وجدد سقوفها وجعل فيها قبة عظيمة وجعلها كلها « قرمد فخار اخضر » ؟

الشيخ ابو عبد الله محمد بن عمران

« ابو راوي الفحل »

توفي سنة 931 هـ (1524) م

اصله من القلعة الصغرى وخدم والده الشيخ احمد ابن عروس وكان اميًّا لا يعرف القراءة ولا الكتابة . ولكنه كان تقيا عابدا يلازم الخلوة والتهجدُ وسماه (ابو راوي) لانه ولد في ليلة امطـرت فيهـا السماء مطرا عظيما بعد اشتداد المحل . وقد ذكره الوزير في الحلـل ومدحه بشعر ضمن فيه تاريخ وفاته 931 هـ (1)

سيدي عبد السلام الاسمر

880 هـ (1475) ـ 981 هـ (1573)

هو عبد السلام بن سليم بن محمد بن سالم بن حميدة ويتصل بجد يسمى نبيل من مواليد مدينة فاس انتقل من بـلاد المغرب الى طرابلس وامه (سليمـة) تنتسب الى الشيخ عبـد السلام بن مشيش شيـخ ابي الحسن الشاذلي

تصوف واعتراه الجذب في معظم حالاته وساح في البـــلاد

(1) الجزء الاول من الحلل ط تونس ص 113 ـ وكتاب تنقيح روضة الازهار للبرموني طبع تونس

الافريقية و تعبد بجبـل زغوان وكان يحمل الدف (البندير) وينشد عليه الاناشيد الصوفية باللغة الدارجة . وامره هذا شبيه بما كان يعمله (الششتري) في سياحاته وحملاته وقد تجول في كل البلاد الطرابلسية واخيرا اسس زاويـة بزليطن في عشيرته (الفواتير) وقد انكر عليه كثير من العلماء ضرب الدف وتحمـل منهم الاهانات العديدة . وطريقته بين الشاذلية وطريقة الشيخ احمد بن عروس ومن شعره الملحون

انا الغوث القطب السلطان ولي مشهـور ظاهـر

اولاني الاله الفرد الرحمان على كل باد وحـاضر

شمسي تبدت وضوت الاركان والرب عاطي وقادر [1]

وقد عمر وتوفي سنـة 981 هـ ودفن في زاويتـه بزليطن (طرابلس الغرب)

الشيخ سيدي يحي الحمروني

هو يحي بن علي بن عبد الرحمن بن جابر الحمروني كان من اهل العلم والصلاح من رجال القرن العاشر كان مع عشيرتـه نازلا بعرام ثم انتقل منها الى المكان الذي عرف بعده (بمارث) واقـام

---

(1) رحلة الورثيلاني ط الجزائر 1908 وكتاب تنقيح روضة الازهار

به قصراً لمسكنه وجامعا للصلاة وزاوية لدروس الوعظ والتفقه في الدين وبعد وفـــاته بقليل نزل بها الشيخ ابراهيم الجمني واستقر بالزاوية لتقرير العلم قبل انتقاله الى جـزيرة جربة وبنـــاء زاويته الخاصة به ذكر ذلك حسين خوجة في (الذيل ص 38)

وقد عرف الورثيلاني في رحلته[1] بالحمارنة وبزاويتهم فقال: اما الحمارنة فمن اجود العرب واكرمهم نسبا وشرفا قد جملهم الله برشاقة القد وحسن الخد وهيئة الركوب وزينة الملابس وسعة البيوت ولهم جاه عظيم عند سلاطين تونس فان محلة الاعراض اعني محلة زواوة التي تاتي الى نواحي قابس على ايديهم والحكم فيها حكمهم انتهى قوله

والحمارنة من عرب بني هلال وعدهم التجاني في رحلته من الافخاذ الاربعة لبني يزيد [2]

الشيخ سيدي معاوية الشارف

له زاوية مشهورة في دخلة المعـــاوين « الوطن القبلي » وفي ترجمة ابي الغيث القشاش ان والده محمد كان يزور الشيخ معاوية

---

(1) ط الجزائر ص 251

(2) رحلة التجاني ط تونس ص 134

ويحضر حفلات الزاوية عنده فهو من رجال القرن العاشر . خلفه بعد موته ابنه ابو الحسن علي وخلف الاخير ابنا اسمه الحاج بلحسن المعروف بشيخ الركب وشيخ الركب انجب الحاج عبد الله والحاج داود والحاج حسين والحاج محمد . ومن اولاد الحاج عبد الله محمد الاصغر وحسين هو والد سيدي داود . وفي القرن الثاني عشر بلغت الزاوية اوجها في الثروة والكسب واصبحت تملك الاراضي الفلاحية الشاسعة بجهات منزل حر والمدايسة ومنزل تميم وقربة .

سيدي احمد المقايز

له زاوية في القرية المعروفة باسمه (زاوية المقايز) والشيخ احمد المذكور من اعقاب الشيخ سيدي داود النوبي الصنهاجي (وساتي ذكره)

قال صاحب الحلل في الجزء الثالث (مخطوط) ان وفاته كانت في سنة 1122 هـ

وقد اشتهر باسم سيدي داود ثلاثة :

الاول - سيدي داود النوبي الصنهاجي [1] له ضريح عليه قبة

---

(1) النوبي نسبة الى نوبة التي هي من الثغور البحرية بجهة الهوارية وكانت من مراسي الاسطول الاغلبي ومنها كان غزو صقلية

على ساحل البحر قرب (تنارة سيدي داود) ولا يبعد كثيرا عن زاوية المقايز

والثاني ـ سيدي احمد بن داود بالمعمورة قرب بلدنا بل وهو من احفاد النوبي

والثالث ـ سيدي داود السلاوي

له زاوية بها قبره في الجهة المعروفة بسيدي داود قرب قرطاجنة (قرطاج) وقد حقق لي صديق يعتمد ان سيدي داود السلاوي مغربي من مدينة (سلا) فهو اندلسي فيما يظهر لا سيما وقد قال المحقق انه قدم الى تونس من (سلا) مع قريبه الشيخ محمد بن عاشور الجد . وان هذه القرابة قد خولت احفاد الشيخ ابن عاشور حق التعصيب في مخلفات واحباس سيدي داود السلاوي

شيوخ الطريقة الشابية

احمد بن مخلوف ـ محمد الكبير ـ الشيخ عرفة ـ محمد المسعود

من الكتب المؤلفة في التصوف كتاب « الفتح المنير في التعريف بالطريقة الشابية وما يربى بها الفقير » الفه الشيخ (الثاني) من شيوخ الطريقة الشابية المتوفي سنة 1029 ه وفي هذا الكتاب الذي لم يطبع بيانات غزيرة الفائدة عن الطريقة الشابية نقتطف منها ما يصلح

للتعريف بهـــؤلاء الشيوخ . والكتاب مقسم الى ابواب الاول في الولاية والثاني في التعريف بنسب الشيخ احمد بن مخلوف) وكيف ابتدأ امره والثـــالث في استخلافه لولده والرابع في مبنى طريقتهم وسدادها والخامس في كلامهم عن الحقائق والسادس في اورادهم التى امروا بهـا التلميذ والسابع في الوظـــائف والاحزاب وبهـذا يتم الكتاب [1] .

وفي البـــاب الثاني ياتي المؤلف بنسب الشيخ ويصل به الى عبد الله بن مسعود صاحب الرسول الاعظم .

نشا الشيخ الاكبر احمد بن مخلوف ببلد الشـابة [2] ومنهـا انتقل الى مدينة تونس بنية طلب العلم في زمن الشيخ الرصاع قـاضي القضاة بتونس [3] ومكث في دراسة طلب العلم بها اعواما.

---

(1) البـاب السادس والبـاب السابع مفقودان من النسخة التي اعتمدناها وذكرهما ورد في مقدمة الكتاب وفي آخر النسخة انقاص واضطراب قال الناسخ هذا ما وجد من هذا الكتاب بيد ابناء الشيخ المؤلف والنسخ في سنة 1320 - 1906

(2) يذكر الكثيرون ان جد الشابية الشيخ سيدي نعمون دفين بلد الشابة قرب صفاقس ولا ذكر للشيخ سيدي نعمون في هذا الكتاب (3) الشيخ الرصاع توفي سنة 894 هـ 1488 م

وتذكر المناقب « الفتح المنير » ان الشيخ احمد بن مخلوف كان يتردد بالزيارة الى الولي احمد بن عروس في حياته ودخل عليه مرة فوجد في بيته رجالا ونساء بمحضره قال الشيخ احمد بن مخلوف فتغيرت في نفسي وقلت هذا منكر وفي نازلة اخرى اعتدى الشيخ احمد بن مخلوف على عون للسلطان ولما عرف السلطان ان الاعتداء صار من احد اتباع الشيخ بن عروس تغير الشيخ على تلميذه الذي هو بن مخلوف الشابي وقال له يا ولدي حلفت ان الذي فعل هذا لا يعاشرني فخرج التلميذ « احمد بن مخلوف الى الساحل ليلتحق بشيخ آخر من الصوفية فوجد بقصور الساف سيدي علي المحجوب وكان زاهدا سالكا بالمريدين . فجلس لمجلسه واقام في خدمته عنده فاستخدمه الشيخ وكلفه بغراسة الاشجار بجنته واستمر يعمل لذلك الى ان اثمر غرسه « وهنا بدأت الكرامات في الظهور » وتم له الفتح ويشير عليه شيخه « سيدي علي المحجوب بالذهاب الى القيروان واذن له في العهد وقال له شيخك ياتيك الى القيروان فانتقل الشيخ احمد بن مخلوف الى القيروان واقام بجامع الدواز وكان فقيرا يتجرد ظاهرا وباطنا ثم صار اماما في هذا الجامع ثم مؤدبا بمكتب قريب منه ثم تزوج (ام العز) فانجب ستة من الذكور (وهم : محمد الكبير والشيخ عرفة وابو الفضل وابو الطيب وابو

الكرم (ابو بكر) وابو السعود وآخر لم يذكر اسمه والاخيرة سماها ام العز وتوفيت زوجته فاطلقوا اسم والدتها عليها ولم يتزوج بعدها ويقول اولادي في آخر الزمان تكون عندهم الدنيا واخاف عليهم من الفتنة

وقيل للشيخ الناس يسبونك فقال على اي شيء ؟ فما زدت شيئا اسب من اجله فالكتاب كتاب الله والسنة سنة رسول الله والطريق للجنيد والواهب سيدي عبد الوهاب الهندي والمصافحة سيدي علي المحجوب وحزب البحر للشاذلي والوظيفة ليحي بن عقيبة الا اعوذ بكلمات الله التامات وتوفي سنة 887 هـ 1482 م وكانت ولادته سنة 803 هـ 1400 م ودفن بضريح الشيخ سيدي عبد الله بن ابي زيد بالقيروان .

ومنه توارث ابناؤه واحفاده المشيخة فانتصب بعده ابنه محمد الكبير وتوفي بعده بثلاثة اعوام (890 هـ) وتولى بعده اخوه الشيخ سيدي عرفة المعرف بقبة ضريحه خارج سور مدينة القيروان .

اما شخصية الشيخ عرفة فانك تجد شيئا عنها في كتاب المؤنس « ص 152 ط تونس » وقد حاول ان يكون الملك بيده وفي اعقابه وان يؤسس دولة كاحدى الدولتين المرابطية

او الموحدية الا ان الظروف كانت عليه اشد مما كان يظنه فان البلاد التونسية كانت في عاصفة انقلاب لم يسبق له نظير وهي انحلال دولة بني حفص والاحتلال الاسباني والهجوم العمثاني الذي تغلب عليهما معا وشرد اعوان الاسبان من الاعراب • والشابية من اعراب بني هلال وكان سكان المدن يناصرون الترك بينما كان سكان البوادي من الاعراب يريدون ان تبقى تلك المدن نهبا لهم من حين الى حين •

وهذا ما تكفل بتفاصيله التاريخ التونسي من سنة 941 الى ما بعد الالف وتوفي الشيخ عرفة سنة 949 هـ 1542 م وقلوب سكان مدينة القيروان نافرة عنه وقد استنجدوا بالقائد درغوث باشا وهو بمدينة طرابلس فلما انجدهم سلموا اليه المدينة وانحرفوا عن ابي الطيب الشابي شقيق الشيخ عرفة المنتصب للزعامة بعد وفاة اخيه فقتله درغوث باشا وفرت اشياعه وقبيلته من القيروان وسكنوا البادية •

واحفاد عبد الصمد الشابي نزلوا بقفصة وهم المعروفون بالاجريين ومنهم من نزل بجبال ورغة من ولاية الكاف واحفاد محمد المسعود نزلوا بضاحية توزر وكانت لمحمد المسعود زاوية بجبل (اوراس) قرب خنشلة وبها توفي ودفن فيها •

ومن الشابيين من نزل عنابة وسوق هراس وخنشلة قال المسعودي في الخلاصة : النقية « واوقع حمودة باشاسنة 1041 1631 م بالشيخ عبد الصمد الشابي وانتزع دريد من يده » ونهب الناس منازل الشابيين اثر هروبهم . وقد عثرنا على وثيقة محررة بالشهادة العالة من بين الرسوم المحفوظة في المكتبة العتيقة بجامع عقبة بالقيروان تنص على اجراءات كانت صادرة من قائد محلة الترك (محلة درغوث باشا) في مثل هذا الشان وموضوع الوثيقة لم تتعرض كتب التاريخ اليه . وساتي في النهاية نص الوثيقة (طبق الاصل المعلق ببيت المخطوطات من متحف دار حسين بتونس) .

وهكذا امعن جنود الاتراك في مطاردة الشابيين وقتلوا منهم الزعيم محمد بنور والد الشيخ محمد المسعود « مؤلف كتاب الفتح المنير المتوفي سنة 1029 » وشردوهم خارج حدود البلاد الى الجهة الغربية وبعد امد مديد دخلوا بلاد الجريد واستقروا بضاحية خاصة من مدينة توزر حيث هم الان يعيشون في سلامة وامن ونزعتهم قد تحولت الى العمل الصالح واشتهر منهم الكثير بالنبوغ في العلم والادب نخص بالذكر منهم الشاعر الملهم المرحوم ابا القاسم الشابي ومن الغريب ان نلمس في شعره النزعة الصوفية واناشيد الحرية وهما من خصائص آبائه واجداده الشابيين تحلى بهما شعره واخيرا نجد في الديباج « ص 197 » في ترجمة عمر بن محمد

الكماد المتوفي سنة 960 ه 1552 م المعروف بالوزان القسنطيني انـه قد « الف كتابا في الرد على الطريقة الشابية وهو من الكتب المفقودة فيما يظهر .

الوثيقـــة

وثيقة تاريخية عثر عليها بالمكتبة العتيقة بجامع القيروان

ملف 1731 ـ محفظة 180 ـ خ 3 ـ

« بسم الله الرحمـان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

بعد ان وقع من بعض اهل القيروان وبعض اهل قراها فيىء وانتهـــاب لدور ولاتها الشابيين حين فرارهم عن المدينة المذكورة وقدوم المحلة المنصورة محلة الباشا الهمـام الصدر الشهير المكين الانوه الاسمى الاحفل ذي المواهب . . . . ابي محمود درغوث وقيام المدينة المذكورة بدعوة السلطان سليمان نصره الله تعالى ثم نودي برد مـا انتهب من دورهم لجانب بيت المال ووكل البـاشا المشار اليه اسماه الله تعالى على قبض ذلك والنظر فيه القـائد المكرم المرعي المعظم المـوقر المحترم ابا الخير شطمان ابن القائد محمد التركي قائد المدينة المذكورة حين التاريخ فقبض القائد المذكور منهم مـا انتهبوه وتحصل بيده ولم يزل

يطالبهم ويتهمهم ان يكونوا غيبوا شيئا من ذلك واخفوه وراى من المصلحة في حقهم وحق اهـــل لمدينة المذكورة قطع الدعوة المذكورة عنهم وعن اهل قراهم باداء شيء لجانب بيت المال وترفع عنهم التهمة والدعوة فاصطلح القائد المذكور مع اعيـان المدينة المذكورة واعيان قراها على ان يؤدوا لجانب بيت المـــال الفي دينار اثنين ومائة دينار وخمسة وسبعين دينارا كلها دنانير ذهبا مشحرة وزعوها على جميع المتهمين فدفعوها للقـــائد المذكور على الوفاء والكمال ورفع عنهم الدعوة المذكورة رفعا تاما ولم يبق له ولا لبيت المال قبلهم احد من اهل المدينة المذكورة من سبب ذلك دعـوا ولا مطلب ولا تهمة وذلك كله بمحضر الشيخ المعظم الحظي الموقر الاصعد الاسعد ابي العزغالي وكيل البـاشا المشار اليه اسماه الله تعالى وموافقته على ذلك الموافقة التامة هو والقائد المذكور لما في ذلك من السداد والصلاح في حق بيت المـال وشهد على اشهاد القائد المشار اليه والشيخ ابي العز بها عنهما فيه وهما بحال كمال بتاريخ اوائل شوال من عام خمسة وستين وتسعمائة (965) والمعرفة بهما تامة ويلي ذلك عقد العدل الاول وعقد العدل الثـاني وبهامش الكتب ختم الباشا .

سيدي الشريف العجمي الخراساني

دفين حلق الوادي توفي سنة 982 ه (1574) م

في تونس العاصمة امرحة عديدة تعرف باسم سيدي الشريف (لا غير) الا انني كنت وقفت على معلقة مكتوبة على قبر سيدي الشريف داخل الزاوية القائمة على بوغاز حلق الوادي وهذا نصها : « هــذا قبر سيدي الشريف العجمي الخراساني المتوفي سنة 982 ه » وذلك قبل نشوب الحرب العالمية الثانية

والمفهوم من هذا التاريخ ومن وجود قبره في المكان المذكور انه كان مرابطا واستشهد في الحرب التي اشتدت بين التونسيين والترك وهجومهما على الاسبانيين حتى اخرجوهم من قلعة حلق الوادي

ابو الغيث القشاش التونسي

959 1031 - ه (1551 - 1621 م)

لابي الغيث مناقب عامرة بما يستفيده المؤرخ عن حالة البلاد التونسية في اول الاحتلال التركي ونزول الوافدين عليها من الاندلس الذين اخرجهم الصليبيون من ديارهم قهرا .

وهذه المناقب الفها الشيخ المنتصر ابن المرابط ابي يحي او ابي

لحية القفصي شيخ زاوية القشاش بقفصة اتم تاليفها كما يقول بعد وفاة الشيخ باحد عشر شهرا [1]

وكان المؤلف كثير التردد والاقامة بزاوية ابي الغيث ومن المقربين للشيخ قال عنه ! كان والده محمد القشاش من حفاظ كلام الله عز وجل وصاحب اعتقاد في الصوفية .

ثم قال : « كان والده من الصوفية وكانت له علاقة بسيدي معاوية وكان يزوره بزاويته (بدخلة المعاوين) وفي زيارة له بشره سيدي معاوية وقال له : ابشر يا قشاش سيخرج من صلبك ولد تحيا به تونس واقليمها فكان كما قال بزيادة ابي الغيث له [2] .

وكان الوالد اماما وخطيبا في جامع باب البحر بتونس . قال صاحب المناقب « وانا لا اعرفه ولا لحقته » [3] وقد اهتم الوالد بتعليم ابنه ابي الغيث فاخذ اولا « علم الظاهر والباطن عن الشيخ سيدي محمد الجديدي بزاويته القريبة من الحمامات [4] وعند ما اخذ النصارى

---

(1) في المكتبة الاحمدية بتونس نسخة تامة في اول مجموع رقم 3883 ونسخة ثانية برقم 3872 بها نقص والمناقب محررة بلغة عربية تتخللهـا كلمات وجمل باللغة الدارجة ـ (2) راجع الفصل 43 من المناقب ـ (3) فصل 30 من لمناقب .

(4) راجع الفصل 5 من المناقب

الحمامات واسروا من اهلها فداهم الشيخ القشاش بثمانية عشر الف دينارا [1]

وتزوج ابو الغيث ابنة عمه اولا ثم فارقها وتزوج « حيزية بنت الكشباطي » وكانت تركب الخيل ولاتحجب فلم تعاشره طويلا لانها تعودت ركوب الخيل والخروج بلا حجاب « فخرجت عنه وبقى الشيخ غير مكترث بها وبدون زوجة » ثم تزوج علجية وفدت في مركب من الخارج اشتراها بخمسمائة دينارا فكانت ام اولاده « وجابت ولدا صغيرا سماه الشيخ القشاش احمد » بعد ان اسلمت وولدت له ولدا سماه محمد وآخر سماه عليا وقد توفاهم الله بعد اعوام في وباء عام 1015 ه 1606 م فولدت بنتا سماها ام هاني تزوجها فيما بعد الشيخ محمد تاج العارفين البكري وولدت بعدها بنتا سماها فاطمة توفيت بعد ثمانية اعوام « راجع للفصل السادس » .

وفي سنة 1006 ه توفي والده فباشر ابو الغيث ادارة الزاوية بنفسه مع التصرف في عدة احباس عامة (نذكرها في النهاية مفصلة) . .

وكان مسكنه وزاويته قرب سوق البلاط لا تزال بقاياها الى اليوم بنهج سيدي التينجي وفيها تعقد مجالسه لقراءة التفسير والبخاري .

---

(1) راجع الفصل الرابع وراجع هجوم الاسبان على قلعة الحمامات المونس ص 167 وعن الشيخ الجديدي ص 166 ـ 167 المونس

قـال صاحب خلاصة الاثر ومن جملة مـا وجد بخزائن كتبه نحو الف نسخة من البخاري

وفي المناقب ان له في الزاوية « عمل » للمستمعين (بالششتري) والطار والرباب والقصب وغير ذلك ويدوم هـــذا العمل من بعد العصر الى ما قبيل الغروب [1] والمفهوم من هذا الفصل ان السماع بالششتري هـو من الفن الاندلسي المعروف بالمالوف وان زاويـة القشاش كانت اولى الزوايا بتونس التي يعمل (عملها المالوف الاندلسي) قبل زاوية سيدي علي عزوز والزاوية العيساوية مع العلم ان زاوية القشاش كانت مــأوى للمهاجرين الاندلسيين وان الششتري صوفي اندلسي يقول الشعر والتواشيح والموالات وكانـ ينشدها في الاسواق بالربـاب في رحلته الى الشرق

وكانـ الشيخ محمد الظريف صوفي ولـه قصيدة ضنها اسمـاء (طبوع الموسيقى والاغاني التونسية) وهـــو اسبق من القشاش فقد توفي سنة 787 ه فهـــل ان تونس استعملت الفن الاندلسي بالتأثر من المهاجرين الاندلسيين في الهجرة الاولى (اول القرن السابع) ؟

وللزاوية فروع في البلاد التونسية ٠ وذاعت سمعتها بين الناس لا سيما بين الاندلسيين المهاجرين الى تونس فكانت لهم زاوية القشاش

---

(1) الفصل 5 من المناقب ٠

المقر الاول ومنها توزع جماعاتهم على سكان المدينة او بالانتقال الى الجهات التى تهيأت لاقاماتهم مثل طبربة وتستور وغيرهما. قال المؤلف وكان الشيخ عند خروجهم الى الجهة المعينة الى نزولهم ياخذ على تلك الجماعة العهد فكان له في كل بلد حزب واتباع. ويجعل لكل حزب نقيبا ويسلم اليه علما اخضر ويوصيه بطاعة الله وطاعة النقيب. [1]

اما تعاليم الطريقة ومنهجها الصوفي فانه غير بين الا ان الفصل الثاني عشر من المناقب فيه انقال عن ابي العباس احمد بن العريف من كتابه مفتاح السعادة ومنهاج طريق العبادة [2].

وفي الفصل الثالث من المناقب تفاصيل عن حدث قام به البعض من المريدين المقيمين في زاوية « القشاش وصورته : انه في يوم من الايام خرج عدد من الفقراء عراة من الزاوية باذن من الشيخ « ابي الغيث القشاش » ومروا وعوراتهم مكشوفة بالطرق والاسواق فامتعض اهل سوق البلاط من كشف عوراتهم « وطلعو الى الباشا وقالوا له : ابو الغيث القشاش عامل فقراء زنادقة يخرجون عراة الى السوق فامر الباشا اعوانه فاخرجوهم من الزاوية الى المحكمة فادبهم بالجلد. وكان الشيخ يقول ما امرتهم الا ليكونوا عراة من الذنوب » !

---

(1) الفصل الثاني من المناقب - (2) احمد بن العريف صوفي معاصر لابن برجان توفي سنة 536 هـ ودفن كلاهما بمراكش وهما من القائلين بوحدة الوجود (راجع الاستقصاء ص 68 ج 2 ط الدار البيضاء)

واحتجب الشيخ طيلة الاعوام 15 الاخيرة من عمره ولم يخرج من حجبته الا في سنة وفاته سنة 1031 وقد عمر 73 سنة وكانت ابنته (ام هاني) التي زوجها من تلميذه تاج العارفين البكري هي التى كانت قائمة بشؤون الزاوية (1) .

وفي الفصل 22 تفاصيل زواجها بالشيخ تاج العارفين لذي اسس لنفسه زاوية صارت تعرف في تونس بالزاوية البكرية وقد توسعت في الثروة التي كانت لزاوية القشاش تبعا للمصاهرة بالبنت (ام هاني) وقد اشار لذلك ابن ابي الضياف في ترجمة ابي الحسن علي تاج العارفين .

كان ابو الغيث في خلاف دائم لا مهادنة فيه مع رجال الدولة التركية بتونس لا سيما عثمان داي ومحل سكناه « بنهج المبزع » قريبا من زاوية ابي الغيث وهذا ما تشير اليه المناقب من حين الى حين ومن ذلك ما ورد في اول الفصل الحادي عشر من المناقب من ان عثمان داي « دخل للديوان متاع الترك وقال لهم هذه الرعية التي ياكلون هذه الزاوية والمرابطين كلها نقص على دار المخزن وعندي ان تفكوا هذه (الرعايا) وتستعان بهم دار المخزن

---

(1) الفصل 9 من المناقب .

فكان كذلك » [2] ولما فكوا من الشيخ رعايا الزاوية « لا غاض ولا فاض » وزاد في سماط الزاوية . وتذكر المناقب انها ردت اليه والى غيره من الزوايا بعد مدة .

وفي الفصل 29 من المناقب

كان الشيخ في حجبته قبل ان يزوج ابنته « ام هاني » بسيدي محمد تاج العارفين وكان مهتما باصلاح المساجد والزوايا والمدارس ويكلف بها فقراء الزاوية ويجري الحساب على يد من يكلفه بذلك

وفي الفصل 30 من المناقب « مهم جدا »

1 ـ اصلح « الشيخ » زاوية سيجوم وكانت للسلطان ابي فارس واسس فيها مستودعات تخزن من الشعير 800 قفيزا وبها نحو المائة جبح للنحل واسس بها طاحونة وكان الشيخ يقول : « يا فقراء كل ما عندكم بسجوم فهو لله » !

2 ـ وكانت زاوية سيدي فتح الله للسلاطين ففكها الشيخ ووكل عليها نقيبا .

---

(2) والمعني الذي يفهم من السياق في هذه الجملة ان تنزع الاحباس من يد شيوخ الزوايا وتنتزع لخزينة الدولة وهذا ما يدل عليه ما كان يتصرف فيه القشاش من الاحباس العامة التصرف المطلق وسياتي ذكر هذه الاملاك مفصلا .

3 ـ وزاوية عين غلال يملكها الشيخ .

4 ـ وزاوية بنونة يملكها الشيخ . [1]

5 ـ وجامع الزيتونة كان ناظرا على احبـــاسه وكلف فقيرا بحسابه وآخــر باصلاحاته وتكلم علماء تونس بعد عـامين ان الشيخ ياكل فواضل احباسه . فاجرى حسابه وعرفهم بالفاضل وقدره خمسة عشر الف دينارا في كل عام. وانه اشترى له زياتين وحوانيت وبقى (كذا وكذا) فشكروه وسلموا له فيه .

واخذ في تجديد سقوفه « طريده يعد طريده » حتى اكمله .

6 ـ وجـــامع باب البحر وكان يصلي فيه سي محمد القشاش وصلى وراءه كثيرون من فقراء قفصة « وانا لا اعـرفه ولا لحقته » وكان فيه خطيبا فلما مات والد الشيخ اخذ والده يتصرف فيه .

7 ـ جامع ننونة [1] داخل باب بحر فقد استحاط بـه الشيخ فصار تحت نظره فوقف له اماما ومؤذنا ووكيلا على جملة احباسه .

8 ـ والمرجانية وهي للشيخ سيدي محمد المرجاني وبها مسجد

9 ـ المدرسة المنتصرية ببيوتها 366 بيتا لانها اندرست ودخل في احباسها المخزن والشيخ احياها .

---

(1) في وقتنا هذا يوجد مسجد يعرف بمسجد نونية بنهج القشلة عدد 8 بمدينة تونس

10 ـ والمدرسة الشماعية انتزعها من تركي بمكتوب من السلطان فبقيت بيده حتى خربت . وبعث الترك للشيخ شـاوش من عند الديوان ، ومن عند الباشا وادخلوا على الشيخ وقالوا له هذه المقالة : « ارجع المدرسة واحيائها اليه » فقال لهم انا مستغني عنهـا وعن الاحباس جملة فان اردتم اترك لكم جميع الاحباس واتركوني انا (لاهـي بربي) فلحوا عليه في قبولها فقبلها منهم وكان بها مهتما حتى انه اوصى عند موته عليها وعلى طلبتها .

11 ـ جامع سيدي جفال

12 ـ جامع سوق البلاط متاع الصمعة .

13 ـ المدرسة المغربية « مدرسة صغيرة هي مدرسة حوانيت عاشور القديمة »

14 ـ جامع ابي محمد متاع باب سويقة .

15 ـ سيدي حذيفة

16 ـ سيدي ماضي بن سلطان

17 ـ زاوية سيدي ابي مقطع

18 ـ زاوية سيدي قـاسم الزليجي وهو روضة من رياض الجنة وكان قد خرب وتهدم وضاع فجدده الشيخ وجدد سقفه وجعل فيه قبة عظيمة وجعلها قرمود فخار اخضر .

19 ـ جامع الهواء وكان ترابا وفيه صومعة مهدودة فجدده واحاطه بطابية وبيضه وصطكه وجعل فيه بابا وجلده بالحديد وبقى التراب اكواما في وسط صحنه واستعان باهل باب سويقة فتطوعوا بحمله ونقله في يوم واحد ثم جدد الصومعة بعد نقض المتهدم واتمها.

20 ـ جامع السلطان بالقرجاني وهو طائح متهدم فبناه على منوال جامع الهواء ومات الشيخ ولم يكمل سوره [1].

الزوايـــا

21 ـ زاوية بصفاقس

22 ـ وزاوية بالاسكندرية

23 ـ وزاوية بمصر

24 ـ وزاوية بضمياط

25 ـ وزاوية بالمدينة شرفها الله

26 ـ وزاوية بالشام

27 ـ السبابيل

28 ـ اما الهناشير قال عنها صاحب المناقب :

---

(1) هذا الجامع منذ تاسس الثكنة العسكرية صار من محتويات الثكنة

فلا احسبها هي نحو المـــائة والثلاثين هنشيرا الذي يحرثوا فيهم على ذمـة الشيخ انتهى وقد احتفظنـــا باثبات عبارات مؤلف المناقب للتحري وفهم مدلولاتها

سيدي عامر المزوغي

هو من تلاميذ القشاش . له زاويـة كبرى بالقرب من بلدة الساحلين التابعة لولاية سوسة قال الشيخ مخلوف : اخـذ عنه (اي عن ابي الغيث القشاش) من لا يعد كثرة منهم تاج العرفين البكري وصاهره في ابنته والشيخ الصالح الشهير الذكر والكرامـات عـــامر المزوغي الذي زاويته بالقرب من بلد الساحلين من عمل سوسة (2)

سيدي علي عــزوز

ولد في مدينة فاس واخذ الطريقة عن الشيخ ابي القاسم بن للوشة وكان من تلاميذ ابن للوشة محمد المصطـــاري صاحب الزاوية المعروفة باسمه في بنزرت .

والشيخ بن للوشة هو الذي اشار عليهما بالرحيـل الى تونس لبث علمه « الباطني » في اهلهـا وعملا باشارة شيخهمـــا ارتحل كل

---

(2) شجرة النور الزكية الفصل 2211 ـ .

منهما الى الحج ورجع الاول ونزل بزغوان واشترى بها دارا لسكناه والتف به اتبــاع وكان في بداية امره يجمع الحطب من الغابة بنفسه لطبخ طعام اتباعه . وكان له (ميعاد) للذكـــر وقد حضر ميعاده الامير محمد باشا المعروف بالحفصي في جولة كانت له بزغوان وتلقى منه اشارات اعتقد منها صلاحه فبنى له بجانب مسكنه زاويته المعروفة بزغوان وبها قبره .

اما المريد الثاني وهو :

محمد المصطاري [1]

توفي سنة 1103 ه (1691) م

فقد اختار النزول ببنزرت بعد الحج واصله من مكناسة الزيتون وكان استقراره ببنزرت سنة 1083 ه 1672 م واكترى دارا يجتمع عليه فيها مريدوه وقام بتربيتهم على منهاج الطريقة من تلاوة القرآن والذكـــر والاحزاب . وفي سنة 1084 ه تبرع مراد باي بن محمد بـاشا ببناء زاويته المعروفة بمدينة بنزرت بكرامة تلقاها منه وكان له ولوع بالسياحـــة . وحج تسع حجج وفي الاخيرة توفي سنة 1103 ه ودفن بباب المعلى رحمه الله .

---

(1) ترجمة الاول بذيل بشائر اهل الايمان ص 199 والثاني ص 188 منه .

الشيخ حسن بوحجبة

كان الشيخ ابو الحسن الحلفاوي قبل « شملة » مهداة له من الشيخ الولي الصالح حسن بوحجبة وباعها الحلفاوي في مرض موته فاشتراها حمودة باشا المرادي وازر بها ابنه « وكانت ببركاتها ! » من اسباب نصره على منازعيه في فتنة دامية سنة 1084 ه .

والشيخ حسن بوحجبة هو المؤسس الباني لزاويته الكبرى التي قرب عين الصيقل جوفي طريق زغوان واقام بها رجلا صالحا يعلم اولاد المسلمين القرءان ورجلا يعلمهم الفرائض والسنن مع المدد العظيم الذي يخرج عن طوق الحصر من الطعام النفيس العالي وكان يرد عليه الجم الغفير ويزوره ملوك افريقية ويستفيدون منه الاشارات ويقفون عند حدود امره ونهيه . وعلى مقامه يزدحم طلبة العلم . وكان يامر بالمعروف وينهي عن المنكر (1)

سيدي عبد الله عرف ابن خود

ويعرف بالمجذوب له زاوية في القيروان واخرى في الحامة من بلاد الجريد . له احفاد ثلاثة وهم: يوسف ومعروف وبلقاسم ابناء الشيخ محمد عرف السنوسي ابن الشيخ سيدي عبد الله المذكور

---

(1) حلل خطية ج 2

وقد حبس هؤلاء الاحفاد الثلاثة املاكا على اعقابهم وعقب حبسه على زاويتي القيروان والحامة وذلك بحجة عادلة مؤرخة في المحـرم من سنة 1199 ه فالشيخ ابن خود من اولياء اول القرن الثاني عشر

الشيـخ سيدي ابـراهيم الجـني [1]

1037 ـ 1134 ه (1627 ـ 1721) م

ينتهي نسبه الى المقداد بن الاسود الكندي رضي الله عنه .

وجده الثامن هو منصور بن عبد العزيز بن معين نزيل الجديدة من قرى المدينة المنورة وانتقل جده معين المذكـور ونـزل جمنة « من قـرى نفزاوة بتونس » واستوطنها وكان والده عبد العزيز فقيها صالحا وكذا كان جده ابراهيم .

وكان جده للام علي بن حـــامد اخذ عن الشيخ الخروي الطرابلسي لقيه بالجزائر وتتلمذ له فناوله السبحة والبسه الخرقة واعطاه الورد .

واجتمع بسيدي عبد الله الجلابي في زاوية من زوايا الخنقـة التي بها سيدي ناجي ورحل الى بلاد زواوه ومكث بها ست سينين اما الشيـخ (ابراهيم الجمني) فقد رحل الى مصر باشـارة من الاستـاذ علي

(1) الحلل السندسية مخطوط ج 3

الوحيشي فدخلها اثر وفاة الشيخ الاجهوري سنة 1066 ه واخذ العلم عن شيوخ عديدين منهم الشيخ عبد الباقي الزرقاني والشيخ اللقاني الشبرخيتي وبقى بمصر تسع اعوام ورجع الى تونس في سنة 1075 ه 1664 م ووصل الى بلده (جمنة) وفي رجوعه ركب سفينة غرقت به وكانت نجاته معجزة فلما افاق من دهشته سال عن كتبه وكانت كثيرة فلم يجدها لانها غرقت في البحر وله رحلة ثانية الى مصر رجع منها بكتب اخرى الى جمنة ثم انتقل الى جربة وقصد جامع الغرباء وشرع في تعليم الناس فاشتهر وسمع به مراد باي ابن المرحوم حمودة باشا فبنى له المدرسة التي بها اقام وقد احب الاقامة بجربة لحسن هوائها وقلة عفوناتها ولافتراق مساكنها عن بعضها واقام بجربة نحو الخمسين سنة وتوفي سنة 1134 ه ودفن بالمدرسة المرادية بجربة وقبة المدرسة امر ببنائها حسين بن علي الحسيني .

ابو الحسن علي بن سعيد الوحيشي (1)

توفي سنة 1076 (1665) م

اصله من وادي العقيق وقيل من وادي الحبش من ارض الحجاز وفد جده الحاج سعد فنزل بغلوس من قرى صفاقس وتزوج

(1) الحلل السندسية مخطوط ج 3

وانجب منصورا وسعيدا « جد علي المذكور » وانتقل سعيد الى صفاقس وصارت له تجارة بين صفاقس والقيروان وفي القيروان تعرف بذرية الشيخ عطاء الله وتزوج منهم امراة ولدت له الشيخ علي الوحيشي وتوفي سنة 1101 ه وتعلم ابنه علي صناعة الكتان وصار تاجرا وانتقل الى تونس في عصر مراد بن حمودة باشا وتعرف به الامير واعتقد صلاحه فحبس عليه حماما وهنشيرا وبعض الرباع في سنة 1061 ه وتوفي ابو الحسن في سنة 1076 ه ودفن بزاويته بالقيروان (قرب باب تونس)

ابو الحسن علي تاج العارفين البكري

كان موجودا في سنة 1037 ه (1627) م

ينتسب الى جده الشيخ ابي بكر الاكبر دفين المنيهلة ونسبهم جميعا يتصل بالامام عثمان بن عفان الخليفة الثالث على ما يقولون .

وزاويتهم بتونس كانت قائمة قبل ظهور الشيخ تاج العارفين الا ان زواجه بام هاني كريمة الشيخ ابي الغيث القشاش صاحب الزاوية العتيقة الغنية بوفرة احباسها واملاكها تسبب عنه بعد وفاة ابي الغيث القشاش الذي لم يترك ولدا سوى ام هاني ان تؤول الزاوية القشاشة وتوابعها ومكاسبها الى الزاوية البكرية شيئا فشيئا .

قال ابن ابي الضياف ومن الشيخ القشاش « انجز اليهم غالب الاملاك التي بايديهم « اي الى البكريين » (1)

كان الشيخ تاج العارفين من العلماء الاعلام تولى امامة جامع الزيتونة سنة 1034 ه في دولة يوسف داي وهو اول الايمة من بيته وتوارثها اعقابه 93 عاما ومنهم انتقلت الى الاشراف واولهم الشيخ حسن ابن عبد الكبير الشريف المتوفي سنة 1234 ه

وتاريخ وفاة الشيخ تاج العارفين مجهول الا انه كان حيا في سنة 1037 ه .

سيدي منصور النشار (2)

توفي سنة 1088 ه (1677) م

كان اميا وينطق بالحكم ويشرح معانيها . قيل له النشار لانه كان ينشر طارات الغرابل . تزايد بجزيرة الاندلس ولجأ الى تونس اخذ الطريق عن الشيخ العسيري الاندلسي عن الشيخ ابي الغيث القشاش . ومن تفاصيل مناقبه يظهر انه صوفي متخلق بالفتوة وبآداب الشيوخ الكمل .

قيل عنه انه مر على دكانه يوما جماعة من الاسرى النصارى

---

(1) راجع ترجمة ابي الغيث القشاش .

(2) الحلل السندسية ج 3 مخطوط .

وقف بهم الجند امام دكانه ينتظرون البعض منهم للحاق بهم وهم حفاة ورؤوسهم مكشوفة فخرج النشار من دكانه وتخلل جمعهم الى ان تحركوا للذهاب فرجع الى دكانه قيل له في ذلك فقـال كلنا عبيد الله! ولو شاء الله لعكس . ان قلوبهم منكسرة والله مع المنكسرة قلوبهم!

وكان يوما ينشر بدكانه فاذا بلص دخل دكانه ومد يده لدراهم كانت عنده فالتفت عنه بوجهه فتفطن له ابن الشيخ فصاح به فنهر الاستاذ ابنه عن ذلك وقال ما فعل ذلك الا لانه محتاج وترك سبيله .

ومر بخمارة بها جماعة يغنون ويرفعون اصواتهم بذلك فقال : اللهم كما فرحتهم في الدنيا فرحهم في الاخرة قال الشيخ سيدي مصطفى البائلي[1] وكان اصحابه انه وقف على داره سائل يسال فاخرج له الشيخ شيئا من القوت فلما اخذه منه مد السائل يديه الى عمامة الشيخ فاختطفها من راسه وهرب . فقال والله ما ظننته الا انه جائع فقط ولكن ظهر انه مسكين في حاجة الى عمـامة والحمد لله الذي يسرهـا اليه بدون كلفة ! كان قصير القـامة نحيف الجسم كثيف الشعر يلبس الحسن وجبته من الصوف توفي في سنة 1088 ه ودفن بدار سكناه بسيدي مردوم بتونس.

---

(1) ترجم له في ذيل البشائر ص 220

الشيخ محمد بن عاشور

.... ـ 1110 هـ (1698) م

له مناقب الفها الوزير (صاحب كتاب الحلل السندسية) قال :

« هو مولانا وسيدنا وشيخنا وبركتنا ومن منة الله علينا ان كانت لنا به قرابة قال توفي رحمه الله سنة 1110 ثم يقول حدثني ابنه الشيخ سيدي عبد القادر ان والده الشيخ المذكور تزايد بمدينة سلا عند ما خرج والده من جزيرة الاندلس في حدود الثلاثين والالف . وفيها شب وتعلم واخذ التصوف عن الشيخ المربي ابي عبد الله محمد القجيري ثم رحل الى تونس بعد الحج وبها استقر الى ان توفي رحمه الله .

كانت حرفته التي يتمعش منها صناعة الشاشية . وتعرف به لاول مرة بدكان صناعته الولي الصالح ابو الحسن علي الزواوي وبعد التعرف لازمه وتعلق الشيخ ابن عاشور به وصار يتردد على زاوية الشيخ الزواوي في عاشايا الجمعة [1]

كما نوه الوزير بعلوم الشيخ بن عاشور وبفصاحته وآدابه وتعففه واعراضه . وكان ياتي الى حضرته جلة العلماء للاستفادة منه في علم الحقيقة وممن كان يلازمه الشيخ محمد بن شعبان . وتخرج عليه

---

(1) لا تزال بقايا هذه الزاوية بنهج سيدي الزواوي (خارج باب منارة) .

الشيخ مصطفى البائلي [2] وخلف الشيخ ابن عاشور عقبا صالحا نافعا تمحض لطلب العلم والتعليم العالي وظهر في اعقابه نوابغ فضلاء منهم فضيلة العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور صاحب كتابي مقاصد الشريعة وتفسير القرآن وغيرهما وهو مع علمه الجم يتحلى بروح الواقعية وعنده التاويل اهون من مكابرة الامور القطعية اطال الله حياته وادام النفع به وبابنه الكريم فضيلة العلامة الشيخ الفاضل بن عاشور عميد الكلية الزيتونية للشريعة واصول الدين الذي وفي هذا العميد الفاضل يتمثل اشعاع والده كاملا .

ويتماسك هذا الخلف باسلافه في طريق العلم والادب باعلام آخرين ترجم لثلاثة منهم الشيخ ابن ابي الضياف في الرابع من اجزاء تاريخه .

ابو العباس احمد الباهي

عالم صوفي اشتهر بزاويته الكبرى المعروفة بمدينة تونس ترجمه ونوه بشانه الشيخ ابن ابي الضياف « في جزء التراجم » وترجم لاربعة من احفاده قال عن حفيده ابي الحسن علي بن الشيخ اسماعيل : « هذا الفاضل هو حفيد صاحب الزاوية الشهيرة بتونس بناها جده ابو العباس سيدي احمد الباهي من ماله . ويرجع نسبه لوايل

---

(2) ترجم له في ذيل البشائر ص 220 وقال اخذ علم الشريعة من علي الغماد ومحمد القلعي والحجام واخذ في بداية امره عن الشيخ الولي الصالح محمد بن عاشور .

بني حجر الصحابي وكان عالما صالحا معتقدا ذا كرامات . ولما شرع في بناء هذه الزاوية المؤسسة على التقوى راوده الباشا (علي بن محمد) على ان يعينه بمال فابى ثم راوده على ان يحبس عليها هنشيرين فابى ايضا وقبره بها يتبرك به الى الان وعن هذه الزاوية قيلت امداح وتنويهات من فحول الشعراء بتونس من ذلك المقامة البهية للورغي وفيها مديح من ادباء مصر جمع كله في ديوان معروف) وابنه اسماعيل اخذ العلم عن اعلام وبعثه ابوه الى الولي المعروف بالله سيدي ابراهيم الجمني فاقام في زاويته بجربة تسعة سنين . ثم قال : « وهذه الزاوية مأوى المتغربين لحفظ القرآن العظيم وممن حفظ بها القرآن والد العبد الفقير في قليل من الزمن واخذ عن صاحبها مباشرة وكان يخدمه . »

ورجع ابن ابي الضياف يتكلم عن كمالات حفيده الشيخ علي وكان شيخا للزاوية بعد ابيه وجده فقال : « كانت له رتبة عالية وامتزاج قوي مع الباي ابي محمد حمودة باشا ثم يقول : وكان الوزير ابو المحاسن يوسف صاحب الطابع ياتي لزيارته بداره بتونس ويقبل يده .

وتوفي هذا الحفيد « علي » في سنة 1235 ه 1819 م وبه نكتفي عن التعريف بهذه الزاوية المشهورة .

احمد الباهي العوني

هو الجد الرابع للشيخ احمد بن ابي الضياف اشار اليه في ترجمة

والده «الحاج بالضياف من جزء التراجم» فقال عن والده: هذا الرجل هو والد العبد الفقير واصله من بيت ينسب الى الصلاح في قـــومه كزوايا العربان وجده كان سائحا مجذوبا مـــات في سياحته قرب (وادي الزرقاء) على طريق باجة ودفن حيث مات وبنى على قبره الباي حمودة باشا المرادي قبة معروفة به لانه كان يعتقده وحبس على زاويته بسليانة هنشيرا هو الان بيد ذريته » وكان والد الشيخ احمد بن ابي الضياف من نجباء المتعلمين بالزاوية البهية ومنهـــا تعرف به يوسف صاحب الطابع واختص به لضبط حساباته ومكاتباته (ولو لم يكن ذلك) ورجع الوالد من الزاوية البهية الى زاوية جده بسليانة لكان مؤرخنـــا من شيوخ الزوايا ايضا لا يكتب ان قدر له ان يكتب الا في مناقب الاولياء وكرامات الاصفياء ....

ولكن الاقدار شاءت الا يكون احمد ابن ابي الضياف الا مؤرخا فذا ومصلحا كبيرا

ابو عبد الله محمد البشير الزواوي

« صاحب الطريقة الرحمانية »

توفي سنة 1242 هـ (1826) م

وصاحب الزاوية المعروفة بزاوية سيدي البشير قال ابن ابي

الضياف في جـزء التراجم اصل هـذا الشريف من جبل زواوة اتى الحاضرة بعد وفاة عمه سيدي الونيس المشهور مقامه بالزلاج [1] .

تعلم الحديث والفقه وسلك طريق القوم ولزم خلوته متجردا للعبادة وظهرت عليه انواع الكرامات فعظم في قلوب العامة والخاصة.

وقال ابن ابي الضياف : « قرات بين يديه تفسير ابن الفرس من اوله الى آخره وانا في مبادي القراءة وتارة يأمرني باعادة بعض العبارات ريثما يتامل وكان قبل الانقطـاع يقرىء طلبة العلم بجـامع القصر

والباي محمود باشا حجر لسره اولاده فكانا ياتيان لزيارتـه واكبرهم حسين باي الثاني هو الذي بنى له الزاوية المعروفة بـه في الحاضرة وله زاوية في غيرها . ولما لزم داره اناب في قـراءة المولد شيخنا ابا اسحاق ابراهيم الرياحي .

وكان محببا الى النـاس لا سيما (زواوة) فانه قطب مدارهم يتبركون بثيابه وبسبحته وتوفي سنة 1242 ﻫ .

عبد الملك بن احمد الحمـادي العوني

توفي سنة 1256 ﻫ (1840) م

ترجمه ابن ابي الضياف ايضا فقال : نشأ في بيت صلاح واعتقاد

---

(1) انظر التفاصيل المبينة عن الطريقة الرحمانية في كتابنا هذا

وزاوية سيدي حمادة من اشهر زوايا هذه القبيلة (2) وحفظ القرآن ورحل من ناجعته لقراءة العلم بالحاضرة فسكن المدرسة الحسينية واخذ عن اعلام منهم الشيخ صالح الكواش والشيخ سيدي حسن الشريف والشيخ الطاهر وغيرهم وضمه الباي حمودة باشا للكتابة في بيت خزندار فاقام على ذلك نحو الجمعة ثم طار به جناح الجذب الى ناجعته وطلق الدنيا .

وسافر مع الوزير صاحب الطابع في محله سرّاط ولما رجعت المحلة منصورة طلب له الوزير ارضا من هنشير سليانة فقال له الباي لاي سبب فقال له الوزير انه رجل صالح فقال له واي كرامة له وكان الوزير سليمان كاهيته حاضرا فقال لا كرامة له ولا ولاية ولكنه يستحق هذه الارض لثباته وشجاعته شاهدته بعيني يهجم على الصف وينكى غير مكترث بالموت فقال له الباي نعم واعطاه الارض .

وكان عالما ذكيا اديبا ناظما ناثرا فصيح اللسان توفي سنة 1256ه وخلف اولادا سلكوا هذه المسالك ما بين مجذوب وسالك .

---

(2) وهي رحمانية (انظر الطريقة الرحمانية

الشيخ سيدي عبد الله العريان
المعروف سيدي ابي العظام
من احياء منتصف القرن الثاني عشر

له زاوية بالحجامين في بداية النهج مما يلي باب الجديد قرات رسوما لاحباس هذه الزاوية[1] تذكر ان الزاوية من بناء ابن اخ الشيخ وانه حبس عليها وتلقى عليه الشهود الحبسية في سنة 1137 ه فهو من الشيوخ المتاخرين .

مصطفى بن عزوز
... ـ 1282 ه (1865) م

قال ابن ابي الضياف هو من بيت فضل وعلم وصلاح وزاويتهم بصحراء سوف معروفة ودخل هذا الولي للقطر التونسي وبث الطريقة الرحمانية في العروش لا سيما في الجهة الغربية . وانشا زاوية بنفطة وكان المشير احمد باي يعظم شانه واجتمع به غير مرة . وكان ممن ضمن للناس الامان في ثورة ابن غذاهم وكان ما كان من الاغترار بالامان فتغير الشيخ وكان من النادمين وتوفي في سنة 1282 ه ودفن بزاويته بنفطة وطريقته رحمانية (انظر التفاصيل عن هذه الطريقة بهذا الكتاب)

---

(1) رسم بخزينة الاوقاف رقم 741 ورقم 743 زوايا) .

اولياء صفاقس وضواحيها [1]

1 ـ سيدي عباس الجديدي

من احفـاد ادريس الاصغر بن ادريس الأكبر استشهد في صفاقس في وقعة روجار ملك صقلية اثنـاء هجومه على صفاقس . له خلف صالحون بيدهم اوامر حفصية وعثمـــانية باحترام زاويتهم واخذ اعشارهم والزاوية حطمتها قنابل الطائرات في الحرب العالمية الثانية ودخلت ارضيتها في الحي الجاري الجديد بصفاقس

2 ـ سيدي جبلة

من الصالحين قتل شهيدا في وقعة استجلاء جيوش روجـار في المكان الذي دفن فيـه واستشهد معـه اولاده السبعة وقبره عليه قبة خارج بلد صفاقس قرب شاطيء البحر . وقبته سالمة من الضرر

3 ـ ابو الحسن علي بن عبد الناظر

على قبره قبة في الربض خارج باب البحر . اصله من قرية ملـــول ومن ذرية سيدي محمد عبد النـــاظر صاحب الشيخ سالم القديدي القيرواني .

---

(1) اعتمدنا في هذه التراجم كتاب نزهة الانظار للشيخ مقديش ، ومعالم الايمان (الجزء الرابع) وبعض الرسوم الخاصة في ثبوت الانساب

فائدة : وملول انتقل منها اهلها وخربت ومكانهـــا فيه قبة سيدي بنور (ابو الضياء) تعرض لذكره ابن ناجي في تـرجمة ابي عفيف صالح ابن عبد العالي الصدفي وكان معاصرا له وكانت وفاته في سنة 772 ه 1370 م واهـــل ملول انتقلوا الى صفاقس وانتقل اهل عروة الى سوسة وتوفي ابن عبد الناظر عن غير عقب .

4 ـ سيدي عبد الكافي

اشتهر احفاده بقلب « بوعتور » ومنهم العزيز وزير بـاي تونس ولعبد الكافي (الجـد) ضريح عليه قبة بقـرية برشانه قرب قرية سيدي عيسى بن مسكين

5 ـ الشيخ ابراهيم بن فضل بن سباع
الذوادي الشهير بسيدي عقارب

من اعراب البوادي « اولاد صولة » اخـذ الطريق عن الشيخ سيد علي العبدلي نزيل القيروان المتوفي سنة 784 ه 1382 م .

6 ـ ابو بكر القرقوري

من تلاميذ محمد الجديدي المتوفي سنة 786 ه 1384 م المـؤسس للزاوية الغريانيـة بمدينة القيروان وتوفي بمكة ولم يترك ولدا ولا اهلا فانتصف فيها خادمه الشيخ عبيد ابن يعيش الغرياني واصبحت

الزاوية تسمى بالزاوية الغريانية . ومن اصحاب الشيخ الجديدي :

7 ـ ابو فارس عبد العزيز ابن الشيخ عياش

صاحب الزاوية المعروفة بطبلبة[1] وهو حسنة من حسنات الشيخ محمد الجديدي

8 ـ الشيخ علي الكراي المعروف بابي بغيلة

قال مقديش ترجم له المناوي ويظهر انه كان معاصرا للشيخ احمد بن عروس .

9 ـ سيدي منصور الغلام

له زاوية فيها ضريحه خارج مدينة صفاقس ببرج غزال وهو مجهول الزمن الا انه كان يعيش قبل حياة ابي بغيلة «علي الكراي».

10 ـ سيدي مخلوف الشريائي

اصله مغربي صحب الشيخ العياشي بطبلبة وسكن شريانة « قرب بلدة جبنيانة » ثم انتقل الى انشلة

كان من العلماء له تخميس عظيم على البردة وله اعقاب بيدهم اوامر من الملوك الحفصيين والولاة العثمانيين . وقبره معروف بالخريبة قرب جبنيانة

---

(1) راجع ما قيل عنه معالم الايمان ج 4 ص . 240

11 ـ سيدي الرقيق بوعكازين

اصله من اولاد عنان من نسل مولاي ادريس اخذ الطريقة من سيدي علي القرقوري وسمى بالرقيق لحسن صوته توفي سنة 787 هـ 1385 م .

12 ـ اللخمـــي

في مدينة صفاقس اشتهر اثنان باسم اللخمي ويختلط قبر هذا بذاك فالاول هو ابو الحسن علي بن محمد الربعي المعـروف باللخمي (المتفقه بالسيوري والتونسي وبابن محرز) .وبه تفقه الامام المازري وابو الفضل النحوي . وله كتاب علق به على المدونة سماه(التبصرة) توفي بصفاقس سنة 478 هـ و قبره بها

والثـاني : الشيخ ابو بكر بن محمد الفريـــاني شهر اللخمي توفي سنة 555 هـ 1160 م وهذا من ابناء ابي الحسن الفرياني المعروف قال في نزهة الانظار[1] . وقبره اول قبة تلاقيك من مقبرة صفاقس وعلى قبره سيف من الرخـام مكتوب فيه : « هذا قبر ابي بكر بن علي بن محمد الفرياني شهر اللخمي » . والقبه القائمة على قبره بنـاها جماعة من البحريين في سنة 1150 هـ 1737 م .

---

(1) ص 125 ج 2 ـ . وابو الحسن الفرياني اخذه جند روجـار الصقلي رهينة عند ما احتل صفـاقس وبقى فيهـا مـع النصاري ابنه عمر الذي دبر ثورة ابادهم فيها بصفاقس « انظر الحلل ط 139 » .

وفي حلل الوزير [1]

« وبحصن صفاقس قبر الامـام ابي الحسن علي بن محمد الربعي المعروف باللخمي ؟ والحقيقة ما قدمنا ذكره بعد زيادة التحري عما ذكره الشيخ مقديش

وهي في وقتنا هذا خارجة عن المقبرة وكائنة بالجهة الجوفية من مدينة صفاقس

امـا قبر اللخمي الفقيه فهو القبر المـوجود في المقبرة وعليه قبـة بناهامراد باي وعلى باب القبة في العتبة العليا خمسة ابيات من الشعر اولها:

هلال تبدى في علا الافق ساطع   واشرق منه الكون كالبرق لامع

وفي بلاد الساحل امـرآة صالحة مشهورة بالولاية تعرف باسم :

ام الزين البهليـة

لها زاوية بجمـال وفي رسم من رسوم الاحباس ان والدها يسمى ميلاد سعيد الجمالي توفي وترك معها اخوين همـا احمد وسالم فمات احمد وترك ابنا اسمه محمد وخلف محمد ولدا اسمه احمد ومـات سالم وترك ابنا اسمه صالح وخلف صالح ولدا اسمه محمد

والحجة محررة في المحـرم من سنة 1280 ه بشهادة الشيـخ حمودة

---

(1) الحلل السندسية ص 143 .

الجعيدي عن اذن القاضي الشيخ محمد النيفر بطلب من الاخيرين المذكورين احمد ومحمد . اما ام الزين فانها توفيت عن غير عقب ويظهر من هذه الحجة انها كانت موجودة في اول القرن الثالث عشر عصر الباي حمودة باشا

سيدي علي شبيل

دفين طبلبة وصاحب زاويتها المشهورة

حياته مجهولة التاريخ والمرجح انه كا حيا في زمن متاخر عن حياة الشيخ سيدي عبد العزيز ابن الشيخ سيدي عياش

والشيء الذى يمكن الرجوع اليه هو وثيقة . الاشهاد بصحة نسبه الشريف فهي وقد اطلعنا على محتواها تنص على سلم هذا النسب ابتداء من جده الاقرب ابي زيد عبد الرحمان ابن الشيخ الزاهد مسعود بن حمزة وتنص على شرف ابي الحسن علي بن الحسن بن علي الشريف الحسيني المعروف بالشبيلي وابناء عمه (مع معرفة الشهود لهم) وحجة الشجرة مؤرخة في جمادي الاول سنة 972 ه وتحريرها تم بمدينة فاس بشهادة احمد بن محمد تاب الله عليه واحمد بن خلاصة

فالشيخ علي شبيل مغربي نزح اسلافه من الاندلس (اشبيلية) ومن المغرب انتقل الى البلاد التونسية وسكن طبلبة في آخر القرن العاشر او بداية الحادي عشر

سيدي اسماعيل ابن الشيخ محمد

صاحب زاوية قصر زرمدين كان حيا في سنة 1003 ه وقد حبس املاكه بزرمدين على اولاده محمد واحمد وعلي وعمر وابي بكر وعلى اعقابهم وذريتهم وهي اغلبية سكان زرمدين

سيدي سالم الغلام العجمي

دفين قرية بني حسان التابعة للمنستير

من احفاد هذا الولي الشيخ حميدة العجمي صاحب زاوية المكنين والاخير كان حيا في عام الف للهجرة . ومن احفاد سيدي سالم سيدي احمد صاحب مدرسة المكنين وكان من تلاميذ الشيخ سيدي علي النوري (1)

سيدي علي بن خليفة

هو صاحب الزاوية والمدرسة بمساكن توفي سنة 1172 بمساكن وكان من تلاميذ سيدي علي النوري ايضا

سيدي علوان بن سعيد

له زاوية معروفة مشهورة في قرية تسمى باسمه (سيدي علوان) غربي قصور الساف اخذ عن الشيخ سيدي علي المحجوب المولود سنة 776 ه

---

(1) علي النوري من مشاهير علماء صفاقس طلب العلم بمدينة تونس واستكمل علمه في مصر ورجع الى صفاقس فاسس فيها مدرسة للطلبة وزاوية للمريدين وتخرج عليه عدد عظيم من علماء الساحل واصحاب الطرق توفي سنة 1118 (شجرة النور رقم 1372)

سيدي علي المحجوب

ولد بقصور الساف سنة 776 ه وجده الشيخ سيدي طاهر المزوغي المتوفي سنة 646 ه دفين قصور الساف والمزوغي من اصحاب ابي مدين الغوث واقران ابي علي النفطي وعبد العزيز المهدوي وابي سعيد الباجي

اخذ سيدي علي المحجوب عن ابي علي السماط والشيخ عبد الغني المزوغي وعنه اخذ سيدي علي الكراي (بوبغيلة) وسمي المحجوب لملازمته الحجاب وانقطاعه للعبادة

الشيخ محمد بن جابر

من علماء التصوف بالمهدية مات مستشهدا في قتال الاسبان عند ما هاجموا المهدية في سنة 957 ه وقد وجده اولاده بعد المعركة اشلاء مبعثرة على الشاطي فجمعوها ونقلوها الى قصور الساف ودفنوها بجوار قبر جده علي بن بلقاسم وله في المهدية مقام

سيدي داود النوبي الصنهاجي

تقدم التعريف بالشيخ احمد المقايز وانه توفي سنة 1122 ه وان نسبه يرجع الى سيدي داود النوبي

وقد سمحت الظروف ومكننا صديق من الاطلاع على ما يثبت

هذا النسب . فذكروا ان ادريس بن محمد بن عبد الله بن داود بن اسحاق بن داود النوبي الصنهاجي قد توفي وخلف من الابناء احمد وحمد وحميدة

وان حميدة (هو الجد الثالث للشيخ سيدي احمد المقايز) على هذا النسق : احمد المقايز بن سليمان بن داود بن ابراهيم بن حميدة

وبضم النسق الاول الى الثاني يمكننا ان نحدد حياة سيدي داود النوبي الصنهاجي بآخر القرن الثامن للهجرة

اشهر الطرق الصوفية التي كانت قائمة بتونس

القادرية

نسبة للشيخ سيدي عبد القادر [1] دفين بغداد اجتمع به في مكة الشيخ ابو مدين واخذ عليه الطريق ولبس من يده الخرقة ومر ابو مدين بتونس عند رجوعه من الحج فاجتمع به الاصحاب : عبد العزيز المهدوي وابو سعيد الباجى ومحمد الدباغ وابو علي النفطي وابو يوسف الدهماني والطاهر المزوغي السافي وكانوا بعد انتقاله الى بجاية يلتحقون به المرار العديدة . ولهذا فالطريقة القادرية من اقدم الطرق الصوفية في تونس الا انها كما في رياض البساتين لم يكن لهذه

---

(1) محي الدين عبد القادر الجيلاني الحسني الحسني واعظ وصوفي والف عدة كتب واحزاب سماها الصلوات الصغرى والوسطى والكبرى ولد سنة 470 وتوفي 561 ترجمته في كتاب القلائد وفتوح الغيب على هامشه ،ط في مصر سنة 1303 ه وبهجة الاسرار ورياض البساتين وكلاهما ط تونس في كتاب واحد سنة 1302 ه .

الطريقة زاوية في تونس الى ان ظهر الشيخ ابو الحسن علي بن عمر الشايب في اول القرن الثاني عشر للهجرة فقد تلقى الطريقة القادرية في الحجاز من الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان ورجع الى تونس فظهر صلاحه واعتقده الامير حمودة باشا المتولي (من سنة 1196 الى 1781 م 1229 1813 م وتوفي الشيخ علي الشائب في بلده (المنزل) بالطاعون بعد ان شرع فيها لبناء الزاوية فاتمها من بعده الامير حمودة باشا وانتصب للمشيخة فيها تلميذه الاكبر محمد المعروف (بالامام المنزلي) . فكانت زاوية المنزل هي اول زاوية قادرية بتونس وصدر فيها امر من الامير برعايتها وحصانتها حتى لا يتعقب الاعوان مسؤولا دخلها وتوفي شيخها الامام محمد المنزلي سنة 1248 هـ (1832) م

الزاوية القادرية الثانية

اسسها محمد الميزوني المغربي دفينها بالكاف المتوفي سنة 1296 1878 بعد ان اسس زاوية الديوان بالحاضرة سنة 1262 1845 وزاوية الميزوني مشكوك في اخلاصها واخلاص صاحبها معا فقد قيل انها اسست لتنفيذ اغراض سياسية وعسكرية ظهرت مع هجوم الجيش الفرنسي من ارض الجزائر على تونس عام 1881 !

ومن الذي لم يسمع عن العمل الذي كان يقوم به (روا الفرنسي)

في الكاف قبل احتلال تونس او ومن الذي لا يعلم عن هذا الجاسوس الذي صار بعد الاحتلال « الكاتب العام للحكومة التونسية المحمية » فيما بعد وما كانت له من علاقات دامت متبادلة طيلة حياته مع شيوخ الزاوية القادرية بالكاف ؟

الطريقة التجانية المحمدية

وشيخها احمد التجاني العلواني

1150 ـ 1230 هـ (1737 ـ 1814) م

قال الناصري في كتابه الاستقصاء « وفي سنة خمسين ومائة والف ولد الشيخ ابو العباس احمد التجاني شيخ الطريقة التجانية [1]

ثم قال في حوادث سنة 1211 هـ : « وفي هـذه السنة قدم الشيخ الفقيه المتصوف ابو العباس احمد التجاني الى فاس واستوطنها وكان الباي محمد ابن عثمان صاحب وهران قد ازعجه من تلمسان الى قرية ابي صمغون فاقام بها واقبل اهلها عليه ثم لما مات الباي المذكور وولي بعده ابنه عثمان بن محمد سعي عنده بالشيخ التجاني فبعث الى اهل ابي صمغون وتهددهم ليخرجوه ولما سمع بذلك الشيخ المذكور خرج مع بعض تلامذته واولاده وسلك طريق الصحراء حتى اقترب من فـاس

---

(1) ص 83 ج 8) الاستقصاء ط الدار البيضاء .

ولما دخلها بعث رسوله بكتاب الى امير المؤمنين المولي سليمان يعلمه بانه هاجر اليه من جور الترك وظلمهم واستجار منهم باهل البيت الكريم فقبله السلطان واذن له في الدخول عليه والحضور بمجلسه ولما اجتمع به وراى سمته ومشاركته في العلوم اقبل عليه واعتقده واعطاه دارا معتبرة من دوره كان انفق في عمارتها نحوا من عشرين الف مثقال . ورتب له ما يكفيه واقبل عليه الخلق واشتهر بفاس والمغرب وهو شيخ الطائفة التجانية رحمه الله ونفعنا به » [1] .

وفي ترجمته المحررة من بعض اصحابه ومريده : هو احمد بن محمد الشريف الحسني التجاني العلواني ويذكرون اسلافه واحدا بعد واحد الى علي ابن ابي طالب وامه عائشة بنت الشيخ محمد السنوسي التجاني المضاوي « نسبه الى عين ماضي . ولد احمد التجاني سنة 1150 هـ وعلمه والده وبعد وفاة ابويه خرج الى الحج سنة 1186 هـ وفي مصر اجتمع بالشيخ محمود الكردي وقال له الكردي انت محبوب من الله فما هو مطلبك ؟ فقال التجاني : القطبانية العظمى فقال له : لك اكثر من ذلك !

وفي مكة انتفع بالشيخ احمد بن عبد الله الهندي واجتمع في المدينة بالشيخ محمد بن عبد الكريم السمان واخذ عنه اسرارا .....

(1) ص 104 - 105 ج 8 الاستقصاء .

ورجع الى بلاده ولم يقض الله له بالفتح على يد شيخ من الشيوخ لما سبق في علمه تعالى ان فتحه ووصوله الى الله لا يكون الا على يد سيد الوجود (محمد) صلعم

هكذا قال من ترجم له وفي سنة 1196 ه 1781 م خرج الشيخ احمد التجاني من تلمسان الى قصر ابي صمغون [1] والسلالة بالصحراء الشرقية فقضى له فيها بالفتح فراى رسول الله « يقضه لا منـاما » وعين له الـورد مائة من الاستغفار ومائة من الصلاة عليه وامره بتلقينه لكل من طلبه من المسلمين والمسلمات .

وقـال له : لا منة لمخلوق عليك من مشائخ الطريق فانا واسطتك وممدك على التحقيق فاترك عنك جميع ما اخذت من الطرق»

وفي سنة 1200 ه كمّل له صلى الله عليه وسلم الورد بمائة من الهيللة [2] ثم طلب التجاني من الرسول الاعظم وقال : ان كنت انا بابا لنجاة كل عاص تعلق بي فنعم والا فاي فضل لي؟ فاجابه الرسول: انت باب لنجاة كل عاص تعلق بك . فاخذ التجاني يدعو الناس الى طريقه في الصحراء ، الى ان التجأ الى فاس واتصل بامير المؤمنين

(1) قرية بسلجلماسة المصدر ص 360

(2) الهيللة هي لا الاه الا الله او « الله الله » او هما معا يذكرهما الذاكرون يوم الجمعة بعد صلاة العصر (ص 50 الفتح الرباني » .

المولى سليمان فاكرمه واستقر بهـــا الى ان توفي سنة 1230 ه وقبره بفاس وانتقلت المشيخة التجانية الى تماسين (جهة تقرت) بوصية منه الى صاحبه الاكبر الشيخ الحـاج علي التماسيني وانتقل اولاد الشيخ احمد التجاني الى عين ماضي بجهة الاغواط

اسرار الطريقة التجانية

دون اصحاب الطريقة التجانية كتبا عديدة في اسرار التجانية وآدابها واذكارها وصلواتها .

وأهم ما الف عنها ذلك الكتاب المعروف باسم «جـــواهر المعاني وبلوغ الاماني في قيض ابي العباس التجاني» دونه الشيخ الحاج علي حرازم بن العربي براده املاء من الشيخ احمد التجاني والكتاب مطبوع في جزئين كبيرين وفي آخـره ان تاليفه انتهى في شعبان من سنة 1213 ه وهو كتاب غـــريب وممتع وتدوينه مركز على اطلاع واسع من ناحية العلوم الفقهية والمذاهب الاعتقادية اصولا وفروعا!

اما الناحية الصوفية فصوفية التجانية على ما في هذا الكتاب تنبثق من صوفية محي الدين ابن عربي وصوفية عبد الكريم الجيلي بدون اي ملابسة فالطريقة التجانية فيها الايمان بوحدة الوجود وفيها الاعتقاد بالحقيقة المحمدية وان الشيخ التجاني يتلقى من الحقيقة المحمدية ما تلقاه من الاسرار « يقظة لا مناما » .

وهـذا ما كان يقول به الشيخ محي الدين بن عربي وما كان يتصوره الجيلي وقد صرح الاول به في كتــابه الفصوص وصرح به الثاني في كتابه « الانسان الكامل ».

ومن اراد ان يعلم ذلك من الشيخ التجاني فله عن وحدة الوجود ص 259 من الجزء الاول و ص 98 من الجزء الثاني من كتاب « جواهر المعـاني » وعن الحقيقة المحمدية صفحات : 145 ـ 219 ـ 221 ـ 222 ـ 223 ـ 259 ج ا وصفحات 42 ـ 43 ـ 74 ـ 75 ـ 143 ـ ج 2 وراجع الخاتم المستدير في كتاب الرماح ص 30 ج 2 ط تونس . وقـارن ما كتبناه عن الشيخ محي الدين في كتابنا هذا بما هو مدون في الجواهر يظمر لك الاتحاد في الوحدة

اذكارها واورادها [1]

اذكار الطريقة التجانية واورادهـا متنوعة فمنها ما هو لازم ومنها ما يختص به الخواص دون العوام واعظمها شانا عندهم :

جوهرة الكمال [2]

وهي مما تلقاه الشيخ احمد التجاني املاء من الرسول الاعظم

(1) ص 339 ج ء من كتاب الرماح ط تونس سنة 1293 وكتاب الفتح الربـاني وص 176 ج 2 من جواهر المعاني ط مصر المكتبة التجاريه .

(2) ص 49 الفتح الرباني ونصها مدرج به .

« يقظة لا مناما [1] ولقراءتها وضعية خاصة وشروط مقررة كالطهر الكامل واستقبال قبلة ونشر الازار . فاذا توفرت الشروط ففي القراءة السابعة يتم بها حضور النبي ﷺ « يقظة لا مناما » مع اصحابه الاربعة والشيخ احمد التجاني وهم لا يفارقون ذاكرها ما دام يذكرها بعد ذلك .

من تعاليم الطريقة

1) وللطريقة اسرار يقول عنها الشيخ نفسه : ... وهذا من المكتوم الذي لا ينبغي ان يذكر للعامة [2] .

2) يجب على المريد ان لا يزور وليا من الاولياء سواء من الاحياء او الاموات

3) وعلى المريدان يعتقد ان احمد التجاني هو خاتم الاولياء وسيد العارفين و ممد الاقطاب والاغواث !

4) ويقول : من اراد ان يشاوربي وكان بيني وبينه بعد فليصل على النبي مائة مرة ثم يذكر حاجته « وهو مشخص لنفسه بين يدي » فالجواب ما يقع في قلبه وهذا المفعول يبقى بعد وفاة الشيخ التجاني .

---

(1) ص 07 « « «

(2) ص 107 ج 2 جواهر المعاني وص 75 من الاولى

5) ومن اجوبة الشيخ التجاني

جواب عن سؤال قال صاحبه وهو تاجر من الاغنياء بمدينة فاس ان المتسولين قدضايقوه في الطلب وانه لا طاقة له لردهم . فاجابه الشيخ بان يتصدق باعتدال ولا يسرف فيه ولا يبذر « وذكر ما ورد من الايات في هذا الشان » ونصحه بان يعتني بتحصين ماله من التلف ان المال يصون الايمان ومن اتلفه اتلف ايمانه . وقال له ان للشيطان مكرا خفيا لصاحب المال اذا رآه تقيا فانه يسوق الناس اليه لطلب العطاء لله ولخوفه من منعه لهم فاذا انخدع اليه ذهب ماله ووقع في حيرة الاحتياج وشغل عن العبادة الخ .. وهذا الجواب مخالف لتعاليم الصوفية المتعارفة [1]

الطريقة التجانية في تونس

والعلامة الشيخ سيدي ابراهيم الرياحي

1181 ـ 1266 ـ (1767 ـ 1849 م)

علمنا ان الشيخ الحاج علي حرازم بن العربي براده قد انتهى من تدوين « كتاب جواهر المعاني » في شعبان من سنة 1213 ه

الا ان هذا التابعة قد ظهر بعد ثلاثة اعوام (1216 ه) في

(1) جواهر المعاني ص 185 ج 2

مدينة تونس وتردد على جـــامع الزيتونة وتعـرف بالشيخ سيدي ابراهيم الرياحي من بين تلاميذ الجامع وكان الشيخ ابراهيم في الخامسة والثلاثين من عمره لم يتكامل نضجة بعد . فكان بـه معجبا غاية الاعجاب حتى انـــه اسكنه معه في بيت سكناه بمدرسة بئر الحجـار وكان الشيخ ابراهيم منخرطا في سلك الطريقة الرحمـــانية وشيخها في تونس سيدي عمر البشيري الذي اسلكه الطريقة لايزال بقيد الحيـاة . الا ان براعة الحـــاج علي حـرازم قد حملت الشيخ ابراهيم الريـاحي على الخــــروج من الطريقة الرحمانية والتخلي عن نسخها ولم يسلك الطريقة التجانية الا عن شروط ضمنها له الشيخ علي حرازم وهذه الشروط فيها الضمان المؤكد لنجاح الشيخ ابراهيم في الدنيا بحصول الجاه والكسب وصلاح الذرية ومـــا الى ذلك مع ما يضمن له الفوز وسعـادة الآخرة وقد بين الشيخ السنوسي [1] في (مسامرات الطريف) شروط الشيخ ابراهيم واحدة بعد واحدة

وفي سنة 1218 تمكن الشيخ ابراهيم من السفر الى المغرب في سفارة من الامير حموده باشا وادى زيـارة الى الشيخ احمد التجاني واجتمع به في داره وقال عنه « فرحت كثيرا برؤية السلف الصالح »

---

(1) ص 155

وفي سنة 1238 ه ادى الشيخ ابراهيم الرياحي زيارة (للقطب) الشيخ الحاج علي التماسيني الذي تولى مشيخة الطريقة بعد وفاة الشيخ احمد التجاني

وللشيخ ابراهيم رسالة سماها « بمبرد الصوارم والاسنة في الرد على من اخرج سيدي احمد التجاني من دائرة اهل السنة » وله من جملة ما كتب في هذا الغرض مكتوب مؤرخ في سنة 1264 ه لاحد المريدين بزاوية الدرس ينوه فيه بمحاسن الطريقة التجانية ويقول : « وتلذذ بذكر جوهرة الكمال والياقوتة الفريدة » [1]

وكتب اجازة قال فيها : « .. كما اجازني بها شيخنا ابو العباس رضي الله عنه عن رسول الله يقظة لا مناما » [2] وزاوية الشيخ في تونس معروفة مشهورة قرب حوانيت عاشور . نعم انه كان عصاميا نبيلا وعالما فذا وصاحب جاه عظيم . ومع ذلك فان ابراهيم الرياحي قد استعمل نفوذه العظيم في كثير من المواقف مع الامير احمد باشا باي لتخفيف وطأة المظالم الفادحة التي كانت قائمة اعلى كاهل الشعب التونسي

وهنا لك حدث عظيم في البلاد التونسية له علاقة بالطريقة التجانية واعني به القاء القبض على الثائر علي بن غذاهم وقد تعرض

---

(1) تعطير النواحي ص 41

(2) الاعلام للزركلي ج ا ص 48

لذكره ابن ابي ضياف الا انه اجمل و تشكك ولم يفصل ! فعلق الشيخ عمر القروي على نسخته من تاريخ ابن ابي الضياف بقوله: « بل ان السيد عمر العيد[1] كاتب علي بن غذاهم ووعده الشفاعة والامان باسم القطب الرباني والهيكل الصمداني، سيدي احمد التجاني ولما قدم له المغرور « علي بن غذاهم » امره بنزع سلاحه قائلا له ان الذي ياتي طائعا تائبا طالبا للشفاعة لا يكون متقلدا سلاحه وكاتب الوزير في الحين بان علي بن غذاهم في قبضته ولم يذكر في مكتوبه شيئا من الشفاعة وانما اقتصر على الاعلام بان المذكور في قبضته فبعث الوزير من اخذه من عنده وكان ماكان واخذ الشيخ محمد العيد جائزة على ذلك وهذا كله مقرر بمكاتيب لم يسع هذا المحل ذكرها » والشيخ محمد القروي كان حافظا لخزانة المكاتيب والوثائق التابعة لحكومة التونسية

الطريقة السنوسية

زعيمها ومؤسسها محمد بن علي السنوسي الخطبي الحسيني الادريسي[2] ولد في بلد مستغانم من القطر الجزائري وتعلم العلوم العالية في فاس وتصوف على يد الشيخ عبد الوهاب التارزي وجال

(1) شيخ شيوخ الطريقة التيجانية بتماسين وقد نزل بهنشير خلاد قرب مدينة تبرسق وهو ذاهبا الى الحج

(2) الاعلام ص 192 ج 7 -

في صحراء جنوب البلاد الجزائرية يعظ النـــاس ويلقنهم الاداب الاسلامية ثم زار تونس وطرابلس وبرقة ومصر والحجاز فحج واقام في مكة للتصوف وبنى زاوية في جبل ابي قبيس ثم رجع الى برقة في سنة 1255 ه واقام في الجبل الاخظر وبنى « زاوية البيضاء » وكثر تلاميذه وانتشرت طريقته بسرعة فارتابت الحكومة العثمانية التركية في امره ولما احس بذلك انتقل الى واحة جغبوب وسكنها الى ان توفي سنة 1272 ه 1855 م وكانت ولادته في سنة 1202 ه 1787 م والف نحو الاربعين كتابا ورسالة منها الدرر السنية في اخبـــار السلالة الادريسية ودفن بزاوية جغبوب .

وتولى بعده مشيخة الزاويا السنوسية ابنه محمد المهدي « 1260 ـ 1844 ـ 1320 ه 1902 » وكانت له حرب مـــع الجيش الفرنسي بضواحي كانم وتشاد سنة 1319 وتوفي السنة الموالية فتولى حفيده احمـد الشريف بن محمد الشريف بمعية عمه محمد ادريس السنوسي ملك ليبيا الحـــالي المولود سنة 1307 ه 1889 م [1] .

وكانت لهما جولات في مقاومة الاحتلال الايطالي .

وفي سنة 1339 ه 1920 م انتقل محمد ادريس الى مصر وقام بكفالة الاخوان اخوه « الرضـــا » بعد وفاة احمد الشريف الى قيام الحرب

(1) تاريخ ليبيا الحديث

العالمية الثانية ودارت الحرب بين الانقليز والطليـان في طرابلس فكان السنوسيون في اعانة الجيـش الانقليـزي الى ان تمت هزيمـة الجيشين المتحالفين الايطالي والالماني وتحررت ليبيا في عام 1362 ه 1943 واستقلت البلاد وفـاء بالوعد الذي تعهدت بـه حكومة الانقليز للشيخ محمد ادريس وقـــد انتخب ملكا للقطر الليبي مقيدا بدستور ومجـــالس ديموقراطية .

الطريقة العيساوية

الشيخ سيدي محمد بنعيسى

872 ـ 933 ه (1477 ـ 126) م

ينتسب الشخ محمد بنعيسى الى ادريس الاصغر « مؤسس مدينة فاس » ابن ادريس الاكبر بن عبد الله الكامل ابن مولانـا الحسن المثني بن الحسن بن علي بن ابي طالب وهو من بلاد السوس جزولي . وقـال من صحح نسبه انه من قبيلة ابي السباع [1] من السوس ارتحل به والده الى مدينة فاس ليتعلم القرآن العظيم ومـا يلزمه من العلم وبعـد ان تعلم وتأهل للمفـاهمة مع الشيوخ رجع لقبيلة سفيان وقصد الشيخ الولي سيدي ابا العباس احمـد بن عمر الحـــارثي المكناسي صاحب الشيخ

---

(1) عن مختصر الشيخ الغزال ط تونس 1302

القطب سيدي محمد بن سلميان الجزولي واخذ عنه الطريق بالعهد والصحبة وقرأ عليه كتب القوم وتربى على يده بالطريقة الجزولية المحمدية .

وبعد وفاة شيخه انتقل باشارة سابقة له منه الى الشيخ عبد العزيز التباع بمدينة مراكش خليفة القطب الجزولي فلازمه واكمل تربيته منه . واخذ عن الشيخ سيدي محمد السهيلي وقد اجازه الشيخ السهيلي قراءة كتاب الجزولي « دلائل الخيرات » فانتصب للقراءة وتربية المريدين وصار من الشيوخ الكبار موفور الكمالات ومشهور بالكرامات الى ان توفي سنة 933 ه ودفن بروضته المعروفة بمدينة مكناسة الزيتون بمقبرة شيخه الحارثي .

قال عبد الرحمان بن زيدان في كتابه «اعلام الناس» (1) :

وقفت على ظهير للسلطان ابي عبد الله محمد بن عبد الله العلوي لأولاد المترجم صرح فيه بثبوت شرفهم تاريخه في فاتح رجب (1174) ه ثم انتقد عبد الرحمان بن زيدان مايأتيه اتباع الطريقة العيساوية من البدع والمنكرات واسهب في الانكار على وحشية الاتباع ومخالفتهم لاصول الشريعة والطريقة معا .

وللطريقة العساوية زاوية كبرى بتونس تسمى بزاوية سيدي

---

(1) ص 11 ـ 13 ج 4

شيحة قرب جامع صاحب الطابع بالحلفاوين بمدينة تونس .

وكان للوزير مصطفى خزندار اعتقاد في شيخها « علي شيحة » المتوفى سنة 1271 فأسس له الزاوية المذكورة وأنفق عليها اموالا طائله وهي من اعظم وافخر الزوايا من حيث السعة والزخرف والتأثيث .

والحق مع الشيخ عبد الرحمان زيدان في الانكار على اصحاب الطريقة العيساوية ففي تونس كان اتباعها يقومون « في الحضرة » بأعمال مزرية للغاية .

ويظهران الطريقة العيساوية من فروع الطريقة « الرفاعية » وهي في بلاد الشرق (1) وقد وصفوها بان اصحابها يضربون انفسهم بالمدى في حالة الغيبوبة ويأكلون الزجاج ويقبضون على الحديد المحمي ويزدردون الافاعي ؟

وهكذا كان اصحاب الطريقة العيساوية في تونس يفعلون .

الطريقة الرحمانية

من فروع الطريقة الخلوتية المشرقية .

اسسها الشيخ محمد بن عبد الرحمان « بوقبرين » المتوفي سنة 1208 هـ 1793 م قال الشيخ مصطفى باش تارزي القسنطيني في شرحه للمنظومة الرحمانية المسمى بالمنح الربانية (2) :

---

(1) مؤسس الطريقة الرفاعية هو الشيخ احمد الرفاعي المتوفي سنة 578

(2) المنظومة لوالده واولها : يا من تريد الشفاء واتباع المصطفى
ادخل طريق الوفاء طريق الخلوتيا

ان هذه الطريقة الخلوتية لم يكن لهـا ذكر بالارض المغربيـة وانما اتى بها الشيـخ الامام خاتمة المربين وواسطة عقد الايمة العارفين ابو عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمان القجطولي الزواوي الازهري مجـاورة حين رحــــل من وطنه الى مصر قـاصدا تحصيل علم الشريعة والحقيقة . فجاور بالجامع الازهر مستقرا برواق المغـــاربة . فلازم علامة زمانه ابا عبد الله سيدي محمد بن سالم الحفنـاوي فلقنه الاسمـاء السبعة فسلك على يده ثم وجهه الى ناحية السودان لنشر الاوراد ونفع العبـــاد . وبعد مـدة امـره بالـــرجوع الى مصر فرجــــع والبسه الخرقة وامره ان يرجع الى وطنه فـــامتثل فذهب الى وطنه واستقر بجبل جـرجرة جبل بناحية الجـزائر بينه وبينها مسافة يومين في وطن يسمى قجطولة من ارض زواوة واذن له في التربية وتعليم خـــلق الله بما هم مطالبون به من امور الدين . فاخذ عنه جم غفير وسلك على يده خلق كثير واشتهر في الاقطار ذكره وكثر اتباعه وعظم حزبه . امـا ولادته فمنهم من قال سنة 1128 و من قال سنة 1141 ه .

فروع الزاوية في بلاد الجزائر [1]

عين الشيـخ محمد بن عبد الرحمان خليفة له في قسنطينة الشيـخ

---

(1) مترجمة بتصرف عن الفرنسية من صديق استاذ فيما يخص الطريقة في الجزائر اما ما يتعلق بفروعهـا في تونس فقد استفدته بالبحث ممن لهم معرفة صحيحة بذلك .

مصطفى بن عبد الرحمان « باش تارزي » وعن هذا الاخير اخذ الطريق الشيخ محمد بن عزوز بجهة بسكرة ولما احتلت فرنسا بسكرة سنة 1843 التحق محمد بن عزوز بنفطة بعد ان اسس اصحابه بنواحي الجزائر خمس زوايا من بينها زاوية الشيخ علي بن عمر بطولقا .

كما عين الشيخ محمد بن عبد الرحمان خليفة له بزاوية الشيخ علي بن عيسى المغري المتوفي سنة 1252 ه وتولي بعده في هذه الزاوية « المركزية » الشيخ الحاج البشير المغري وكان صديقا مخلصا للأمير عبد القادر الجزائري والتحق به وخلف الزاوية للسيدة خديجة ارملة الشيخ بنعيسى والى هذه الفروع ترجع الزوايا الرحمانية بتونس كزاوية سيدي البشير « اسسها الشيخ محمد البشير » المتوفي سنة 1242 وقد ترجم له الشيخ ابن ابي الضياف في تاريخه . ونسبه يتصل بالشيخ عبد السلام بن مشيش المغربي شيخ سيدي ابي الحسن الشاذلي

وللشيخ محمود قبادو الشاعر التونسي منظومة مدح بها الشيخ محمد البشير سماها : خريده عقد الآل في التوسل للنبي بالآل » ط تونس سنة 1288 ه .

فالشيخ محمد البشير يرجع للشيخ الحاج البشير المغري الذي تولى مشيخة زاوية جبل جرجرة « زواوة » كما ان زاوية ابن عيسى

بالكاف ترجع للشيخ علي بنعيسى خليفة الشيخ ابن عبد الرحمان بزاوية جرجرة ايضا وعن الشيخ بنعيسى أخذ الشيخ بلحسن اليوسفي الدهماني . ومن فروع الرحمانية بتونس زاوية عين الصابون أسسها الشيخ محمد الصالح العمراني وزاوية الشيخ بنعيسى بمدينة الكاف وزاوية القسطلي بباجة وزاوية بن عزوز بنفطة أسسها الشيخ مصطفى بن عزوز وقد ترجم له ابن ابي الضياف في تاريخه وكانت وفاته في سنة 1282 هـ 1865 م دفن بزاويته بنفطة والشيخ مصطفى بن عزوز هو ابن محمد بن عزوز صاحب زاوية برج طولقة بجهة بسكرة المهاجر الى نفطة وصاحب زاويتها الرحمانية والى هذه الزاوية فروع بتونس منها زاوية ابن عبد الملك بسليانة وزاوية الحاج مبارك بتالة وزاوية ابن قضوم بالقصرين .

البكتاشية

أسسها الصوفي الحاج بكتاش يقال انه يتصل بالامام موسى الكاظم ولد بنسابور ودرس في خراسان واخذ عن الشيخ لقمان الصوفي وهاجر الى الاناضول وتوفي سنة 738 هـ وكان لهذه الطريقة صلة قوية بالانكشارية حتى قيل انهم اعتنقوا الاسلام على يد بكتاش في عهد اورخان . وعقائدهم الصوفية تقترب من عقائد غلاة الشيعة القائلين

بالوهية « علي » وفيها عناصر مسيحية وهم يبجلون الامام جعفر الصادق ويعترفون بالائمة الاثنى عشر . وعندهم الاعتـــراف بخطاياهم لشيوخهم والخمر عندهم غير محرمة ولهم اعتقاد في تناسح الارواح[1].

وكانت تونس تعرف هذه الطريقة في الجند الانكشاري وكانت لهم ثكنة في تونس يجتمعون فيها وهي الدار التي صارت محكمة شرعية بنهج الديوان وهي تتصل بدويرة تعرف حتى الان بسيدي بكتاش . اما الطريقة فالظاهر انها انقرضت من تونس بانقراض الجند الانكشاري منـذ ما يزيد عن مائة عام .

القلندريـــة

تنسب الى « قلندرة يوسف » عـــربي اندلسي كان معاصرا للحاج بكتاش مؤسس البكتاشية وقد ظهرت هذه الطـائفة لأول مرة في دمشق سنة 610 هـ 1213 م وكانوا يحلقون لحـــاهم وحواجبهم فمنعهم السلطان الملك النـاصر حسن (حفيد قلاوون سنة 610 هـ وكان زيهم مزيجا بالزي الفارسي والمزدكي وكانت اخلاقهم في منتهى الانحلال[2] وهم لا يأخذون انفسهم بشعائر الدين ومقومات الاخلاق .

---

(1) دائرة المعارف الاسلامية ج 4 ص 37 ـ 40 عن تعليقــات نور الدين اشربية وكتاب الشبك « بغداد 1904 » ص 242 .

(2) المصدر ج 2 ص 672 .

الطريقـة العـلاوية

طريقة جديدة اسسهـا الشيخ احمد بن مصطفى العـلاوي المستغاني المولود سنة 1291 ه 1873 م والمتوفي سنة 1353 ه 1934 م وكانت ولادته ووفاته في مستغانم القريبة من مدينة وهران من بلاد الجزائر.

وهو فقيه ومتصوف انتشرت طريقته في بلاد الجـزائر وفي البلاد التونسية وفي بلاد المغـرب . وكان الشيخ محمد عبد الحي الكتاني (وهو من مشائخ الطريق) من انصاره ومؤيديه . وكانت فرنسا في الاقطار الثلاثة تؤيدهم جميعا بكل الوسائل . وكانت اكثرية اتباعه في البلاد التونسية بالساحل ومركز نائب الشيخ بقرية القصيبه المديونية ولهم اتباع في ولاية السواسي وغيرها .

وهم يمتازون باطلاق الحي والركـوب على العجلات واظهار النشاط والحزم كالاباء البيض . الف الشيخ احمد العلاوي عدة كتب من بينها رسالة في الرد على كتـاب الفه المرحوم الشيخ عثمان بن المكي التونسي احد المدرسين بجامع الزيتونة اسماه « المرآة لاظهار الظلالات » انتقد فيه الطريقة العلاوية .

والرسالة العلاوية اسماها « القول المعـروف في الرد على من انكر التصوف » طبعت في تونس سنة 1339 ه والرسالة مذيلة بتقريظ

وتأييد من الشيخ محمد عبد الحي الكتاني حاول فيها الكتاني ان يثبت للتصوف مرجعا دينيا في الاسلام ؟

اول من انتصب من شيوخ الصوفية لقبض الفتوحات

كان التصوف « عقيدة » ومحض رياضة روحية يصل بها المريد الى رؤية الله والفناء في ذاته بعد الفناء عن ذاته الخاصة ٠ وكل هذا يعتمد على التوكل وترك التكسب وان الصوفي لا يكون جديرا بهذا اللقب الا اذا عاش في دنياه كما يقولون « عيش الكلاب على المزابل » ٠

وبمرور الزمن وظهور المحن فقدت العقيدة الصوفية جدتها وتحولت شيئا فشيئا طوائف وجماعات تستقل كل طائفة او جماعة بتعاليم ونظم جديدة وجميعهم يدعو الى اصول لامحيد عنها تشترك فيها كل الطوائف اما بالزيادة او بالنقص ٠

وقد بدا استقرار الصوفية بتأسيس الزاويا «الخانقاه» وأول من أسس لهم الزاوية الاولى الامير «صلاح الدين الايوبي فقد أسس اولى الزاويا المعروفة بخنقاه « سعيد السعداء » في مصر ٠ وقد نسج الملوك والامراء على منواله في البلاد الاسلامية الاخرى . وتكاثرت

الزوايا بوفرة الاحسان الى شيوخها واتباعها الا اننا نجد قبل ظهور الامير صلاح الدين الايوبي شيوخا كانوا ينتصبون للمشيخة ولا يتورعون من قبض ما يعطى اليهم من الناس؟

وقد انتبه الشعراني لهذا التحول الذي آل الى ما عرفناه من اصحاب الطريقة الصوفية من بعد

فقال في ترجمة « الشيخ عدى بن مسافر الاموي » في كتابه الطبقات الكبرى ما نصه: « وهو اول من قصد بالزيارات وتربية المريدين الصادقين وقصده الناس « بالزيارة » من سائر الاقطار [1] »

ويقول الشيخ عدى بن مسافر : « لا تنتفع بشيخك الا اذا كان اعتقادك فيه فوق كل الاعتقاد » وكانت وفاة الشيخ عدى في سنة 558 هـ 1162 م بالقرب من الموصل .

ونجد في كتاب « معالم الايمان للدباغ » كثيرا من المناقب الخاصة لعدد كبير من الشيوخ الذين عاشوا في العصور المتأخرة ولهم زوايا في القيروان وفي رباط المنستير وفي غيرهما يسلكون الطريقة التي ابتكرها الشيخ عدى من مد اليد لقبض الزيارات والتبرعات

---

(1) الطبقات الكبرى ج ا ص 152 . .

والقرابين . ومع ذلك فمنهم بقية تورعت عن هذا السلوك الجديد وبقيت تحافظ على العزلة والانفراد وعلى كل ما كان عليه الاوائل .

وفي مناقب القشاش قائمة تنص على ما وضع القشاش عليه يده من اوقاف جامع الزيتونة ومعظم الجوامع والزوايا والهناشير وتصرف فيها اثر انقراض الدولة الحفصية وبعد القضاء على الاحتلال الاسباني وانتصاب الحكم التركي ودخول الجالية الاندلسية الامر الذي جاب لزاوية القشاش ثراء لا نظير له ثم انتقل منها الى زاوية اخرى جديدة هي الزاوية البكرية [1] .

وفيما بعد ذلك وقبل ان يتوفر العمران في البلاد التونسة استسهل امراء البلاد ان يقطعوا للزوايا الاقطعات الواسعة من الاراضي ويحبسوها لتقوم بتعليم الصبيان والاميين تعليما دينيا وعربيا واصلاح الزاوية وتوفير مرافقها واقراء الصادر والوارد مع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . الامر الذي كان متعذرا على الحكومات وقتئذ القيام به في البوادي فأوكلوه الى شيوخ الزوايا وشيوخ الزوايا تفرغوا لهذه المهنة بدون ان تتوفر في اغلبيتهم الكفاءة

---

(١) راجع ترجمة القشاش من هذا الكتاب .

بناء اضرحة العلماء الكبار واضرحة مشائخ الطرق كان في تونس على نسق واحد

كثير من اضرحة العلماء القائمة بالجمهورية التونسية وحتى بالبلاد الافريقية يحسبها الناس ان اصحابها من شيوخ الطرق الصوفية من ذلك في تونس العاصمة ضريح سيدي علي بن زياد (1) صاحب مالك ابن انس واول من ادخل الى افريقية كتاب «الموطا» وضريح الولي احمد ابن نفيس (2) وضريح ابن عصفور (3) وضريح عبد الله الترجمان (4) والشيخ ابراهيم الرياحي (5) والابياني بمرناق والغبريني بجبل المنار (6) وتربة ملوك بني خراسان ومن العجب ان نجد في رسوم املاك محبسة على قبور بني خراسان تنص على تحبيس مواضع زيتونا بالجبل الاحمر في سنة 1292 وتقول هي حبس على الشيخ المزار البركة سيدي ابي خراسان (7) مع انهم من ملوك الطوائف

---

(1) قرب مستشفى عزيزة عثمانة بالقصبة (2) قبالة جامع القصبة (3) بسوق القماش (4) بسوق السراجين (5) بالنهج المسمى باسمه (6) الغبريني احمد بن احمد بن احمد والده قاضي بجاية ومؤلف كتاب «عنوان الدراية» والغبريني الثالث هو ابو مهدي عيسى قاضي الجماعة قبره في الزلاج (نص على الاخير الزركشي ص 109 وفي الخلاصة النقية «وقبره بجبل المنار والزركشي اثبت واصح (7) التربة بنهج بن محمود بسوق السكاجين والرسوم بخزينة الاوقاف رقم 240 زوايا .

بتونس استقلوا بالحكم بعد هجوم الاعراب وسقوط صنهاجة وقبل نجدة عبد المؤمن بن علي.وكانت عايشة المنوبية مثابرة على زيادة قبور بني في خراسان !

ويجدر بنا ان نتعرض في هذا القسم الثاني لراي عبد الرحمان ابن خلدون في التصوف الاسلامي وما يقبله منه وما يرفضه وكيف تصوف في نهايته وصار شيخا لمدرسة صوفية في مصر

عبد الرحمان بن خلدون
من شيوخ الصوفية !

كتب ابن خلدون ترجمة حياته بقلمه ودون له آخرون في مصر ما فاته تدوينه بعد الانتقال اليها . ومن المعروف عنه ان له القدم الراسخة في علوم الشريعة الاسلامية اصولا وفروعا وله المكانة العالية في علوم العربية والمنطق والادب والفلسفة والتاريخ وقد اهتدى بمحض بصيرته القوية في فهم التاريخ الى ضبط الاسس الاولى لنقده وتمحيصه وتكلم وهو اول من تكلم عن الفلسفة الاجتماعية وعن اسباب النهوض والانحلال عند الامم . وهذا ما فصله في كتابه (المقدمة) وله في المقدمة متون في التعريف بكل علم كان في عصره . منها علم التصوف (الفصل الحادي عشر) وفي هذا

الفصل يقول : هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثا في الملة ! وانتقد الصوفيه فيما يدعونه من الكشف وحمل ساخطا على من يقول بوحدة الوجود والحلول

وفي اقامته بمصر تولى النظارة على خنقاه الملك ببريس وتولى المشيخة على من كان يسكنها من الصوفية سنة 790 وكانت لها اوقاف عظيمة حتى ان البعض قال عنه ان جرايته بسبب تلك الولاية قد زادت وان موارده اتسعت وقد اشار لذلك بقلمه (راجع كتاب التعريف بابن خلدون (ص 312)

ولابن خلدون رسالة مستقلة في موضوع التصوف اسماها شفاء السائل لتهذيب المسائل) [1] صدرها بقوله : اما بعد فقد اوقعني بعض الاخوان على تقييد وصل من عدوة الاندلس وطن الرباط والجهاد ومأوى الصالحين والزهاد والفقهاء والعباد يخاطب بعض الاعلام من اهل مدينة فاس حيث الملك يزار وبتجار العلم والدين تزخر طالبا كشف الغطاء في طريق الصوفية وهل يصح سلوكه والوصول به الى المعرفة الروحية ورفع الحجاب عن العالم الروحاني تعلما من الكتب ام لا بد من شيخ »

---

(1) في كتاب « منطق ابن خلدون ص 224 » ان ابن خلدون قد الف تلخيصا لكتاب المحصل لفخر الدين الرازي وانه اورد فيه ردودا استمدها من نصير الدين الطوسي الذي كان ابن خلدون يعظمه ويلقبه بالامام الكبير .
ونقل عنان عن الاحاطة ان ابن خلدون قد لخص كتبا اخرى في الفلسفة لابن رشد

وعلى هذا السؤال حرر ابن خلدون جوابه . ولخص العبادة في مجهودات ثلاث

الاولى مجاهدة التقوى وهي فرض عين تحصل بالورع

والثانية مجاهدة الاستقامة وهي التخلق بخلق القرآن والانبياء وهي فرض عين في الانبياء مشروعة في حق طالب الدرجات العلي والكلام عنهما من الامور الكسبية ويصح الوصول اليهما بالكتب وبلا شيخ

والثالثة مجاهدة الكشف والاطلاع وهي طلب رفع الحجاب بسلوك خاص على هيئة خاصة لاخماد القوى البشرية وخلع الصفات البدنية بمنزلة ما يقع للبدن بالموت . وهذا لايكون الا بشيخ سالك قد خبر المجاهدات وقطع بها طريق الله وارتفع الحجاب وتجلت الانوار . يلقي المريد بين يديه نفسه كالميت بين يدي الغاسل . ثم يفصل ذلك بما هو معروف عند الصوفية .

ويقول : ان اكثر الباطنية والحلولية والزنادقة والاباحية والتناسخية والجبرية وسائر ما يذكر من الفرق في هذا النمط انما اصل هلاكهم السلوك في هذا الطريق من غير شيخ محقق عارف والخروج عن نظره فيه

ويظهر ان رسالة (شفاء السائل) كتبها ابن خلدون في مدة

اقامته الثانية بفاس (بين سنة 774 - 776 هـ) اي قبل ان يتفرغ لكتابة (مقدمة) تاريخه الكبير .

فابن خلدون في الرسالة أقر للصوفية (الكشف) بشروط ولكنه في المقدمة ينكر عليهم الادعاء . بالكشف والقطبية ويرجع ذلك لعقيده الرابطة العلوية ثم يقول : « واكثر من تكلم من هؤلاء الصوفية المتاخرين في شان الفاطمي ابن العربي الحاتمي في كتاب عنقاء مغرب وابن قسي في كتاب خلع النعلين وعبد الحق بن سبعين وابن امل تلميذه في شرحه كتاب خلع النعلين . واكثر كلماتهم في شأنه الغاز وامثال . ونقف به عند هذا الحد اذ لا يسعنا المجال للتعليق عليه فان حياة ابن خلدون مليئة بالغموض والمتناقضات لاسباب قد يكون لها ما يبررها بالنظر لظروفه المضطربة

القسم الثالث

وحدة الوجود

نقل عن ابي يزيد البسطامي المتوفي سنة 261 هـ 874 م انه قال في شطحة من شطحاته « سبحاني سبحاني » فانكر عليه بعضهم لان سبوح وسبحان اسم من اسماء الله الذي لا يجوز ان يسمى به غير الله[1] .

---

(1) اللمع ص 472 .

وكلمة البسطامي بارقة لا وضوح فيها ومع ذلك فهي تـدل على جولة الخاطر في معنى « الوحدة » ولا اقول على الحلول الذي افـاض القول فيه من بعده الحلاج المتوفي سنة 309 هـ ـ 921 م

ومن المتقدمين القائلين بالوحـــدة ابن مسرة القرطبي المتوفي سنة 318 هـ ـ 930 م واحمد بن العريف المتوفي سنة 535 وابن برجان المتوفي سنة 536 هـ ـ 1140 م وابن عربي صاحب الفتوحـات والفصوص المتوفي سنة 638 هـ ـ 1240 م وابن سبعين المتوفي سنة 669 هـ ـ 1270 م وابن هـــود المتوفي سنـة 693 هـ 129 م والششتري المتوفي سنة 668 هـ 1369 م وجميعهم من الاندلس وابن عربي هو الذي انتقل به القول بالوحدة راجعا الى الشرق فكان من اصحابها جلال الدين الرومي المتوفي سنة 672 هـ 1273 م وابن الفارض المتوفي سنة 632 هـ 1234 م وفـريد الدين العطار المتـوفي سنة 586 هـ 1190 م وعبد الكريم الجيلي صاحب الانسان الكامل المتـوفي سنة 826 هـ 1422 م

يقول ابن عربي « الفص الاول من كتابه الفصوص » : « ولولا سريان الحق في الموجودات بالصورة ما كان للعالم وجود » .

ويقول في الفصل التاسع عشر : ليس في الامكان ابدع من هذا العالم لانه على صورة الرحمـان أو جـده الله أي ظهر وجوده تعـــالى بظهور العالم .

ويقول في الفصل السابع والعشرين : ليست الطبيعة على الحقيقة الا النفس الرحماني فانه فيه انفتحت صور العالم اعلاه واسفله سريان النفخة في الجوهر الهيولاني في عالم الاجرام .

ويقول فيه : والا له المطلق لا يسعة شيء لانه عين الاشياء وعين نفسه أما عبد الكريم الجيلي فانه تكلم على الوحدة بايضاح واسهاب لا نظير لهما عند غيره .

وعلى منوال هذين الاخيرين أسس الشيخ احمد التجاني طريقته في مدينة فاس ومنها انتشرت في بلاد المغرب . وهي الطريقة التي ظهر منها لنا انها تقول بوحدة الوجود [1] والحقيقة المحمدية .

الحقيقة المحمدية

هي غير الذات المحمدية المعروفة بتبليغ الرسالة العامة والتي توفاها الله في اجل محدود وصارت تعرف بشمائله وكمالاته المروية عن اصحابه صلى الله عليه وسلم .

فالشيخ محي الدين بن عربي يراها ويفسرها بالنور الالهي السابق عن كل ما خلق من فيض نوره .

---

(1) في المكتبة الاحمدية بتونس كتاب باسم « كلمة الجود في القول بوحدة الوجود » رقم 3814 وآخر باسم « ايضاح المقصود من معنى وحدة الوجود رقم 3830 ـ ، وراجع اصول الطريقة التجانية في هذا الكتاب

يقول في الفصل الثاني : « وليس هذا العلم « اي علم الكشف » الا لخاتم الرسل وخاتم الاولياء « محمد » وما يراه احد من الانبياء والرسل الا من مشكاة الرسول الخاتم ولا يراه احد من الاولياء الا من مشكاة الولي الخاتم « محمد » حتى ان الرسل لا يرونه الا من مشكاة خاتم الاولياء .

والرسالة تنقطع والولاية تنقطع ابدا والمرسلون من كونهم اولياء لا يرون ما ذكرناه الا من مشكاة خاتم الاولياء وفي الحديث الشريف « كنت نبيئا وآدم بين الماء والطين » والحديث الآخر « انا سيد ولد آدم ولا فخر » .

وابن عربي يجعل الرسل والانبياء في نطاق محدود لا يخرجون عنه بينما يرى الولي (القطب) يتصرف في العالم كله وهو الذي يمسك بنظامه الا انه يجعله يستمد مواهبه من « الرسول الولي » ولكل رسول رسالة وولاية وكلهم يستمدون المدد من نور محمد ﷺ . وفي الانسان الكامل للجيلي « ص 133 » ما نصه : « ان الانبياء والاولياء متفاوتون في الكمال فمنهم الكامل والاكمل ولم يتعين احد منهم بما تعين به محمد ﷺ في الوجود من الكمال الذي قطع له بانفراده فيه ».

والذي يسميه ويعنيه في جميع فصول كتابه بالانسان الكامل هو محمد ﷺ وكل الاولياء والاقطاب يستمدون الكشف منه في كل زمان

ومكان وان الهيمنة على العالم كله راجعة للحقيقة المحمدية بقدر الله سبحانه .

ويصل هؤلاء الاقطاب والاولياء الى رؤيته كما يقول احمد التجاني « يقظة لا مناما » ففي مقدمة الفصوص يذكر ابن عربي انه اجتمع بالنبيء ﷺ بمحروسة دمشق في العشر الاخر من محرم سنة 627 ه وبيده الكريمة كتاب وقال له : « هذا كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به الى الناس ينتفعون به .

اما عبد الكريم الجيلي فهو يذكر في كتابه الانسان الكامل (ص 133) انه اجتمع به ﷺ وهو في صورة شيخه شرف الدين اسماعيل الجبرتي سنة 796 ه بزبيد « باليمن » وقال : انا لست اعلم انه النبيء وفسره بقوله : وسر هذا الامر تمكنه ﷺ من التصور بكامل صورة الخ ...

كلمة المطاع عند الغزالي

تعرض المستشرق نيكولسون لهذه الحقيقة وهو يعالج تفسير كلمة المطاع » وقد وردت في كتاب المشكاة للغزالي . فقال : « اما انا فاميل الى الاعتقاد بأن نظرية الغزالي في المطاع تتفق مع نظريات المتاخرين من الصوفية وان المطاع يمثل الصورة المثالية التى يسمونها

« الحقيقة المحمدية » او الروح المحمدي أي الانسان السماوي الذي خلقه الله على صورته ويعتبرونه قوة كونية يتوقف عليها نظام العالم وحفظه [1]

والواقع ان الحقيقة المحمدية لها جذور تشيعية وضع لها الشيعة كثيرا من الاحاديث من بداية القرن الثاني للهجرة [2] .

والحقيقة المحمدية بدأ الخوض والنزاع فيها بين الصوفية انفسهم في القرن الثالث للهجرة فقد قيل عن محمد بن موسى المعروف « بالواسطي » وهو من خراسان دخل العراق وانتقل الى « مرو » انه قال:

« اياك ان تلاحظ حبيبا او كليما او خليلا وانت تجد الى ملاحظة الحق سبيلا والمعنى ان يكون همك بالله لا بالانبياء . فقيل له : أفلا اصلي عليهم ؟ فقال صل عليهم بالاوتار ولاتجعل لها في قلبك مقدارا » !

قال السراج في كتابه اللمع : وبلغني ان بناحية الجبل خلقا من العامة افتتنوا بذلك حتى ليقولون : ان هؤلاء محمديون وهؤلاء ليس محمديين وذلك ان رجلا ممن كان « يقص » على الناس يقال له ابو سعيد البسطامي وقع اليهم وقال لهم في « قصصه » ان الصوفية لا يقولون

---

(1) التصوف الاسلامي ص 147 وشرح الفصوص ص 319

(2) راجع التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية من ص 218 الى 241

« محمد صلى الله عليه وسلم » وذكر لهم شيئا من كلام الواسطي حتى هيجهم بذلك على الصوفية[1].

وحدة الوجود

عقيدة من عقائد براهمة الهند

العقيدة الغالبة لسكان بلاد الهند هي الاعتقاد بالوهية « برهما » والدين البراهمي عريق في القدم ويتمزج بالفلسفة اذ لا صلة لهذا الدين بالرسل والانبياء لذلك كانت الفلسفة عريقة في بلاد الهند ومن اشعاعها ظهرت الفلسفة في الحضارات القديمة متنقلة من امة الى امة وقد وجدوا لها اثارا في الفلسفة اليونانية وللبراهمة كتب مقدسة دونها كهانهم في عصور عريقة في القدم وصارت بمرور الزمن في غموض يتعذر به الفهم ثم ظهر فلافسة من الكهنة آخرون تناولوا الاسفار القديمة بالشرح والتفسير والتلخيص في نطاق التعاليم القديمة. وقد استطاع علماء عصرنا هذا ان يفهموا ويترجموا ما كتبه احد المجددين من كهانهم أعني فيلسوفهم المتصوف « شنكارا » الذي فسر العقيدة البراهمية . وقد استطاع شنكارا باسلوبه وسلوكه وتنقلاته ومحاضراته ان يعيد للبرهميه مكانتها التي فقدت الكثير من انصارها

---

(1) اللمع ص 509 ـ.

واتباعها بظهور العقيدة البوذية في بلاد الهند . وكانت لهـــذا الزعيم الديني « شنكارا » مكانة في جامعة « بنـــارس » والمعاصرون الذين كتبوا عنه يقـولون انه كان من رجال القرن الثامن للمسيـح ويلخصون آرآءه لدين « براهما » في المجمل الآتي :

1) ليس المنطق هو الذي يعوزنـا انمـــا تعوزنا « البصيرة » النافذة ومرجعها للتذوق كالفنون . وبالبصيرة نعرف مـا هو أبدي وما هو زمني عابر وبها نستخرج الكل من الجزء .

2) الاقبال عن طواعية للبحث والتفكير لا لغاية وراء المعرفة لذاتها

3) الصبر والهدؤ والترفع للتحرر من الجهـــل مع القضـاء على الحاسة الفردية لبلوغ « الادماج السعيد في براهما » الذي هـو المعرفة الكاملة والاتحاد اللانهائي.

4) الله هو الوجود والكون الحقيقي كله والله شيء واحـــد . وان براهمـــا « الله » يتصف بسائر الصفات جميعا ما دام مشتملا على خصائص الاشياء . ولكنه يسمو عن الشبه ويترفع عن الفوارق الخلقية وكل اوجه الاختلاف بين الاشياء وكل الخصائص والصفـات وكـل الشهوات والغايات فان « براهما » هو السبب والمسبب معا . « براهما » هو جوهر العالم الخفي الذي لاتحدده قيود الزمان [1] .

---

(1) قصة الحضارة ج 3 ص 962 ـ 372

اليس هذه هي « وحدة الوجود » التي كان لنا منها بصيص شطحات ابي يزيد البسطامي في القرن الثالث للهجرة ثم ظهرت طليقة سافرة وموشحة بالنصوص القرآنية والاحاديث النبوية المؤولة في كتب ابن عربي وابن سبعين والششتري وابن الفارض !

وفي هذا النص المتقدم ذكره كثير مما يسمى عند هؤلاء الصوفيين المسلمين بالمقامات كالزهد والتجلي والمعرفة والحب والفناء. فالتصوف الاسلامي يرجع في معظمه الى الديانة البرهمية على طريق البلاد الفارسية المفتوحة اولا ومنها اخذ طريقه في الانتشار الى البلاد الاسلامية الاخرى

قال ابو الريحان البيروني في كتابه « تحقيق ما للهند من مقولة » [1] عن مذهب البراهمة في وحدة الوجود: انهم يذهبون في الوجود الى انه شيء واحد. (ويذكر النصوص التي كتبهم وكيف نشا هذا الراي عن اسطورة لبداية الخلق والتكوين. ويتعرض للصوفية القائلين بالحلول والظهور الكلي بالصفحة 44)

اننا نعلم ان التصوف قد ظهر في شخصيات هي الآن وقبل الآن كانت قدوة من جاء بعدهم واغلب شخصيات هذه الطلائع

---

(1) ص 29 ـ 30 ـ ط الهند سنة 1908 ـ

ينتسبون الى مدن فارسية والى مدن متاخمة لبلاد الهند (كالسندي) استاذ ابي يزيد البسطامي وكالطوسي والترمذي والنيسابوري والبسطامي والششتري والرازي والكرماني والاصبهاني والروذباري والدينوري والشيرازي وغيرهم

ونعلم من جهة اخرى ان غزوات المسلمين الى بلاد السند واطرف الهند استمرت بعد فتح «كابل» في ايام معاوية ابن ابي سفيان على يد المهلب ابن ابي صفرة الذي غزا «لاهور» وقام بالغزو بعده الحجاج بقيادة ابن اخيه محمد بن القاسم الثقفي الذي وصل بجيوشه الى حيدراباد السند [1] !

ومما اخذه الصوفية عن البراهمية وغيرهم من الامم الاخرى ان الهداية لا يصل اليها العقل بمنطقه وان الاصول الى الحقائق لا يتأتى الا بمحض «البصيرة» . وهذا ما تورط فيه الامام الغزالي [2] والا فما هي البصيرة اليست هي خميرة العقل في الانسان ؟

ومن تصوف الهند «مذهب اليوجا»

واليوجا طائفة يفوق عددهم في الهند الثلاثة ملايين يعذبون

---

(1) تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ص 57 ـ 58 وفتوح البلدان للبلاذري ص 42

(2) راجع المنقذ من الضلال

انفسهم بغية ان يظفروا بسكينة « المعرفة » ولطريقهم مقامات شبيهة جدا بمقامات صوفية الاسلام وهي :

1) موت الشهوة وتحرير النفس من كل رغباتها وتمني الخير للكائنات جميعا

2) النظافة والقناعة والتطهر والتقوى والدراسة .

3) وضع معين للجسد والغرض منه ايقاف كل احساس .

4) تنظيم التنفس ليفرغ عقله من شواغله استعدادا للخلاء القابل الذي يسبق التأمل .

5) التجريد ـ قطع الصلة بين النفس وبين كل المحسسات .

6) التركيز . توجيه الانتباه في موضوع واحد ليتحرر العقل ويحس الجور الروحي للوجود على الحقيقة .

7) تكرار المقطع « اوم » مثل الذكر : هو هو هو عند الصوفية

8) تامل الغيبوبة وهنا يحمي من الذهن كل تفكير وينغمس في مجموعة الوجود[1] .

وهل التصوف الاسلامي بعد هذا شيء آخر غير مذهب اليوجا ؟

---

(1) ص 362 ج 3 قصة الحضارة

ضياء آخر من التاريخ

على مذهب القول بوحدة الوجود

واخيرا فان وحدة الوجود شرقية كما قلنا خرجت من بلاد الهند وعرفها المسلمون من الذين اسلموا من البلاد الفارسية وبلاد السند وبلاد ما وراء النهر اثر الفتوحات الاسلامية السريعة. فظهرت منها في التصوف الاسلامي بوارق لامعة في شطحات ابي يزيد البسطامي واشارات ابي حمزة الصوفي وغيرهما من الشيوخ الاول وقد تعرض لشيء من ذلك السراج في كتابه اللمع

كان القول بالحلول يختلط به القول بوحدة الوجود الى ان ظهر الحلاج وكان صريحا وشجاعا في التمسك بعقيدة الحلول فاصر عليها وتحمل في سبيلها القتل الفضيع . فكان قتل الحلاج والتمثيل به قد بعث الرعب في قلوب الصوفية وحملهم على الاحتراز والتقية . لا سيما وقد ظهرت الدعوة الفاطمية الاسماعيلية في رسائلهم (اخوان الصفاء) وهي تشجع الناس على الفلسفة والتصوف ولكنها جعلت الحلول من خصائص الائمة دون غيرهم من الناس . فكان ذلك منهم حرا لنشاط الطائفة القائلة بالحق المشاع فيه

وكان نجاح الاسماعلية وقيام دولة لهم في افريقية ومصر

وتخوفات الدولة العباسية من كل (الدعاة) مما جعل القول بوحدة الوجود او القول بالحلول في فتور وسكون لا مزيد عليهما وقد قيل ان ابن مسرة الاندلسي قد رجع الى قرطبة من الشرق يحمل معه القول بمذهب وحدة الوجود سرا وقد علمه لاتباعه في الخفاء

وكان ابن مسرة من شيوخ التصوف في الاندلس المعروفين بوحدة الوجود وفي هذا الجو الذي امتد أمده الى آخر القرن السادس ظهر (التصوف الاشعري) وذاع صيته بتاليف الكتب وحلقات الوعض في كل مكان وظهر الغزالي بكتابيه (الاحياء) و (المنقذ من الضلال) وتصدى لتحطيم الفلفسة وكفر اهلها حتى علماء الفلسفة الالهية كالفرابي وابن سينا وهما كانا من اصحاب الفضل على علم التصوف الاسلامي ونشر الافلاطونية الحديثة وقد يتنفس علماء التصوف الفلسفي الا بعد سقوط بغداد وانهيار الدولة الفاطمية وانقسام بلاد الاندلس الى ملوك الطوائف التي شغل بالها هجوم الاسبان من شمال وحكومات بلاد البربر من الجنوب

فظهر من بلاد الاندلس مذهبا القول بوحدة الوجود سافرا على طريق اتباع مدرسة ابن مسرة فاعلنها جهرة الزعيم الصوفي الكبير محي الدين بن عربي ورجع بها الى الشرق مهدها الاول فكتب

كتابيه (الفتوحات) و (الفصوص) وهما من آيته الكبرى . وبه ذاع مذهب الوحدة شرقا وغربا وفي عصرنا هذا تقوم الطريقة التجانية بتعاليم هذا المذهب

ابن مسرة

(269 ـ 319 هـ ـ (882 ـ 931 م)

هو محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيح القرطبي .

سمع من ابيه ومن محمد بن وضاح والخشني وخرج الى المشرق في آخر ايام الخليفة عبد الله اي قبل سنة 300 هـ ويروي ابن الفرضي في تاريخه انه خرج فارا من التهمة بالزندقة وتردد بالمشرق مدة فاشتغل بملاقاة اهل الجدل واصحاب الكلام والمعتزلة ثم انصرف الى الاندلس « بعد دخوله القيروان وحضوره مجلس احمد بن نصر بن زياد[2] في المدة القريبة من دخول عبيد الله الشيعي الى رقادة » وانقراض دولة بني الاغلب وقال ابن الفرضي واظهر بعد رجوعه الى الاندلس نسكا وورعا واغتر الناس بظاهره فاختلفوا اليه وسمعوا منه. ثم قال: « وكان يدعى التكلم على تصحيح الاعمال ومحاسبة النفوس على حقيقة الصدق في فحو من كلام ذي النون الاخميمي وابي يعقوب النهرجوري » والنهرجوري من اصحاب الجنيد توفي

(2) ترجمة الدباغ ص 3 ج 3 معالم الايمان ومجلة الندوة عدد افريل 1953

سنة 330 ه ومن قوله : الجمع عين الحق الذي قامت به الاشياء والتفرقة صفرة الحق من الباطن .(3)

وقال الخنشي : الناس في ابن مسرة فرقتان فرقة تبلغ به مبلغ الامامة في العلم والزهد وفرقة تطعن عليه بالبدع لما ظهر من كلامه في الوعد والوعيد وبخروجه عن العلوم المعلـومة بارض الاندلس الجارية على مذهب التقليد والتسليم . ؟

ومن تلاميذ ابن مسرة اسماعيل ابن عبد الله الرعيني ومحمد بن مفرج الغني ويظهر ان مذهب ابن مسرة قـد تفشى وذاع بين الناس في قرطبة حتى ان القاضي ابن زرب تصدى لا صحابه واشياعه

قال النباهي[1] : « واعتني القاضي ابن زرب بطلب اصحاب ابن مسرة والكشف عنهم واظهر القاضي للناس كتابا وضعه في الرد على ابن مسرة ويقول : في سنة 350 ه استتـاب ابن زرب جملة من الناس جيء بهم اليه من اتباع ابن مسرة ثم خرج الى جانب المسجد الجامع الشرقي وقعد هناك . فاحـرق بين يديه مـا وجد عندهم من كتبه واوضاعه» وقد ضاعت كتب ابن مسرة كلها ولم يبق الا اسم كتاب « التبصرة » واسـم كتـاب « الحروف » . وقد استطـاع الاستـاد

(3) طبقات السلمي ص 380

(1) قضاة الاندلس ص 78 ـ .

آسين بلاثيوس ان يجمع اطراف مذهب ابن مسرة الفلسفي والديني معتمدا على ما ورد منها في كتب ابن حزم وصاعد والشهر زوري والشهرستاني وابن ابي اصيبعة والقفطي ومحور مذهبه كله اراء (انباذ فليس اي القول بوجود مادة روحانية يشرك فيها جميع الكائنات[1].

وتوفي ابن مسرة سنة 319 هـ . وبقيت مدرسته قائمة ولها اتباع منهم منذر بن سعيد البلوطي قاضي قرطبة واسماعيل بن عبد الله الرعيني وكان اهل بيته كلهم مسريين وكان من بيهم ابنة له لقبها الناس « بالمتكلمة »[2]

وعلى الرغم من ان ترجيع ما ظهر من القول الصريح في الاندلس بوحدة الوجود لم تؤيده مدرسة المستشرقين الاسبانية بحجج قطعية الا انها تعد من المفاهيم القريبة من التحقيق

وابن مسرة هو الاول من الراحلين الى الشرق في الاعوام التي كان فيه الصوفية في بغداد يقولون ويتجاهرون بالحلولية و« الوحدة »

وكل شيء في المغرب هو وافد عليه من المشرق و « الوحدة » من اليوجا البرهمية اخذها المشارقة المسلمون مباشرة

---

(1) تاريخ الفكر الاندلسي ص 329 .

(2) ص 331 تاريخ الفكر الاندلسي

منهم بسبب الفتوحات والاختلاط واحتفظوا باصولها وما كانت لتبقى هكذا لو انها مرت باليونانيين واختلطت بفلسفتهم .

احمــد بن قسي

... ـ 546 هـ (1151)م

ابو القاسم احمد بن الحسين بن قسي

صوفي اندلسي من المولودين اشتهر بمقاومة سلطان دولة المرابطين في الاندلس ونفوذ المرابطين كان غير مرغوب فيه في البلاد الاندلسية.

اعتصم بن قسي مع طائفة من المريدين من تلاميـذ واصحـاب الصوفي الآخر احمد بن العريف بحصن « مــارتلة » وهو من حصون اشبيلية كان بيد المعتمد بن عباد وسلمه لابن تاشفين عند ما نكب والده .

وبعد قيام دولة الموحدين استسلم احمد بن قسي والتحق بالامير عبد المؤمن بن علي بعد سنة 545 هـ ولم يزل بحضرته الى ان قتلـه بعض اصحابه الذين كانوا معه بالاندلس .

ونقل صاحب الاعلام « عن الحلة السيراء فقال » هــو رومي الاصل من بادية شلب استعرب وتادب وقــال الشعر ثم عكف على الوعظ وكثر مريدوه فادعى « الهداية » وتسمى بالامام وطلب فاختبأ وقبض على طائفة من اصحابه فسيقوا الى اشبيلية فاشار من خبأه على من

بقي اصحابه بقلعة ميرتلة « في غرب الاندلس » فاستولوا عليها وجاءهم ابن قسي ثم ضعف امره فخلعوه واعيد فهاجر الى الموحدين سنة 540 متبرئا مما كان يدعيه فوثقوا به وولوه شلب فعاد الى الخلاف فقتله اهل شلب ».

وقال غيره : واصبحت المرية مركز الصوفية في الاندلس تتكلم باراء تنحو نحو « وحدة الوجود » وفيها ظهر محمد بن عيسى الالبيري المتصوف ومنها كذلك ظهر ابو العباس بن العريف الذي من تلاميذه في غرناطة ابو بكر الميورقي « محمد بن الحسين بن احمد بن يحي » وابن برجان « عبد السلام بن عبد الرحمان الاشبيلي» وهو شيخ بن عربي وشيخ ابن قسي (ابي القاسم احمد مترجمنا) [1] ويقول ابن قسي : ان لكل اسم الهي على انفراده مسمى بجميع الاسماء الالهية كلها اذا قدمته في الذكر نعته بجميع الاسماء وذلك لدلالتها على عين واحدة.

وقال ابن حزم كان جده الاول قسي « قومس الثغر » حاكم الثغر في ايام القوط فلما افتتح المسلمون الاندلس لحق « قسي » بالشلم واسلم على يدي الوليدين عبد الملك فكان ينتمي اليه بالولاء لذلك كان بنو قسي يتعصبون للمضرية في الاندلس ضد اليمنية . وبعد تسمية

---

(1) تاريخ الفكر الاندلسي ص 332 .

اولاده وما كان من حفيده موسى المعروف بخروجه عن طاعة بني امية في الاندلس ثم قال : وبعد حروب له معهم استبد بسائر قواعد الثغر الاعلى واصبح سيدا على طليطلة ووشقـــة وسرفسطة واحـــوازهـا وكانت له محالفة ومصاهرة مع (قارسيا) امير نقار « الشمال الشرقي في الاندلس » فقد زوجـه موسى ابنته اورية » وصار بجنوده مع صهـره لمحاربة اردونيـو ملك ليون (الجهة الشمالية) الغربية للاندلس » وفي هذه الحرب التي كانت في سنة (248 ه) جرح موسى ومـات متـــاثرا بجروحه وقتل صهره (قارسيا) . لذلك اعـلن ابنه (لب بن موسى) خضوعه لملك ليون وتحالف معه ضد المسلمين . وانقسم احفـــاد ابن قسي الى محــــالفين للنصـارى على المسلمين والى محـالفين للمسلمين على النصارى [1] وصاحبنا احمد بن قسي من الفريق الثـاني . ولم يؤثر فيـه خمـول التصوف عما تاصل فيـه من حب اسلافه للمغـامرات والطموح للسيادة والملك ! وعلى كل فهو صوفي اصيل وجدير بالتقدير فقـد الف كتاب « خلع النعلين » في الوصول الى حضرة الجمعين » عـرف به من عرفـه وقال في اوله : الحمد لله الذي اوجد بالحرفين دائرة الو جود .

وقد شرحه الشيخ محي الدين بن عـربي وشرحه الشيخ عبدي شارح الفصوص وكتاب خلع النعلين تعرض لذكره الشيـخ محي الدين في آخر الفصل 21 من كتابه (الفصوص) وقال :

---

(1) جمهرة انساب العرب ص 467 ـ .

« حكمة مالكية » وقد تعرف ابن عربي في تونس سنة 590 ه بابن احمد بن قسي وتلقى عنه رواية كتاب « خلع النعلين » [1].

احمـــد بن العريف

481 ـ 536 ه (1088 ـ 1141) م

هو ابو العباس احمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله بن العريف الصنهاجي الاندلسي ظهر في المرية « معقل الصوفية الاندلسية » ينتمي في تصوفه لمدرسة بن مسرة وهو من شيوخ ابن عربي ويقول : اذا اراد الله ان يهيء عبداللامامة والاقتداء شغله في ايام غفلته بعلم الظـــاهر والقرآن والحديث والفقه والعربية ثم ينقله الى علم الاحوال والمقامات وعند ذلك يستحق الامامة والتقديم ؟ وهذا تشيع ظاهر منه

والمعنى يظهر من قوله هذا في ثورة المريدين على المرابطين بقيـادة ابن قسي ولابن العريف كتاب « محاسن المجالس » بين فيه اصول طريقة جديدة كان لها اثر في طريقة إبي الحسن الشاذلي من بعد [2]

وقال الناصري : كان ابن العريف متنــــاهيا في الفضل والدين والزهد سعى به الى امير المسلمين علي بن يوسف فـــامر باشخاصه الى

---

(1) ص 180 ج 1 الفصوص وص 55 ج 2 ويقـول الدكتور ابـو علاء عفيفي يوجد الكتاب مع شرحه في مكتبة ايا صوفية برقم 1879 A.S وهي نسخة خطية نادرة (2) الفكر الاندلسي ص 369 وكتاب محاسن المجالس نشره آسين بباريس 1931 ـ

حضرة مراكش فوصلها وتوفي بها سنة 536 ه واحتفل الناس بجنازته ودفن بقرب الجامع القديم وقبره مشهور بسوق العطارين بمراكش عليه بناء حفيل [1]

ابو الحكم ابن مرجان

. . . ـ 536 ه (1141 م)

واسمه عبد السلام بن عبد الرحمان بن ابي الرجال محمد اللخمي الاشبيلي ويعرف بابن برجان ذكره ابن العماد في شذرات الذهب مع من توفي في سنة 536 ه قال : وفيها توفي ابن برجان ابو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمان بن ابي الرجال الافريقي ثم الاشبيلي العارف شيخ الصوفية مؤلف شرح « الاسماء الحسنى » توفي غريبا في مراكش

وقال ابن الابار : كان من اهل المعرفة بالقراءات والحديث والتحقيق بعلم الكلام والتصوف مع الزهد والاجتهاد في العبادة وقبره بازاء قبر ابن العريف .

ونوه به ابن خلكان وقال : كان عبدا صالحا وله تفسير القرآن الكريم واكثر كلامه فيه على طريق اصحاب الاحوال والمقامات .

جلبه من المرية الى مراكش علي بن يوسف بن تشفين وعقد له

(1) الاستقصاء ج 2 ص 68 ـ .

مجلسا من العلماء فقرروا انه مبتدع فحبسه ومات في الحبس سنة 536 هـ فامر بطرحه على المزبلة بغير صلاة عليه ومنع دفنه . وكان ابو الحسن علي ابن حرزهم يومئذ بمراكش فدخل عليه رجل اسود كان يخدمه فاخبره بما امر به السلطان في شان ابي الحكم فقال له ابو الحسن: « ان كنت تبيع نفسك من الله فافعل ما اقول لك فقال له.مرني بما شئت افعله فقال له : تنادي في طريق مراكش واسواقها : يقول لكم ابن حرزهم احضروا جنازة الشيخ الفقيه الزاهد ابي الحكم ابن برجان ومن قدر على حضورها ولم يحضر فعليه لعنة الله » ففعل ما امره فبلغ ذلك امير المسلمين فقال : من عرف فضله ولم يحضر جنازته لعنة الله ودفن بمدينة مراكش برحبة الحنطة بازاء قبر احمد بن العريف [1] وكلاهما ماتا في السجن لسبب واحد وفي عام واحد

كتابه شرح اسماء الله الحسنى

اطلعت على نسخة خطية « والكتاب لم يطبع » مكنني منها الاستاذ البارع محمد احمد النيفر صاحب مجلة الندوة سابقا فاذا هو كتاب كبير انيق العبارة على المنهج الصوفي سلك فيه صاحبه مسالك اهل السنة قال في مقدمته :

---

(1) الاستفطاء ج 2 ص 68 ـ .

اما بعد ايها الولي الحبيب والاخ المصافي الغريب فانك سالتني كتب الله لنا ولك رضوانه واوسعنا واياك رحمته وغفرانه ان اشرح لك معاني قول رسول الله ﷺ المشهور في جوابه المأثور ان الله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل اللجنة . وهل هذه الاسماء المذكورة معينة ومعروفة ام لا الخ ... وبعد هذا التمهيد يعدد الصفات الالهية ويعقب على كل صفة بشرح ما يلزم التعبد من تلك الصفة وما يلزم من الاعتبار ويقول في كتابه • اعلم ان فروع اسماء الله لا يتم لها عد ولا يحفظ بها احصاء ولا حصر ويقول في آخر النصف الاول من الكتاب: اتحدت الاسماء والصفات من حيث هو وتغايرت من حيث علمنا بها وميزنا لها. ومعرفتنا هو هو ليس كمثله شيء .

ابن عربي

560 ـ 638 هـ (1164 ـ 1240) م

هو ابو عبد الله بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الاندلسي المعروف بابن العربي وقال المشارقة « ابن عربي » للتفريق بينه وبين ابن العربي الفقيه الاندلسي

ولد بمرسية وسكن اشبيلية من سنة 568 الى 598 هـ قال ابن الآبار : اخذ عن مشيخة بلده وكتب لبعض الولاة ثم رحل الى المشرق حاجا ولم يعد بعدها الى الاندلس .

وقال ابن عربي عن نفسه : ومن شيوخنا الاندلسيين ابو محمد عبد الحق ابن عبد الرحمان بن عبد الله الاشبيلي حدثني بجميع مصنفاته في الحديث وحدثني بكتب الامام ابي محمد علي بن احمد بن حزم عن ابي الحسن شريح بن محمد بن شريح عنه .

وكان ابن عربي ظاهري المذهب في العبادات باطني النظر في الاعتقادات وقد اختصر كتاب (المحلى) لابن حزم .

وقد تردد على مدن عديدة اندلسية وتعرف بعلماء كثيرين ومتصوفين عديدين وخرج الى المغرب وتردد على مدينة فاس من سنة 590 ه الى سنة 591 ه ورجع الى غرناطة سنة 595 ه وفي هذه السنة قدم على المرية من مرسية وفي سنة 597 ه رجع الى فاس ومنها الى مراكش كل ذلك وعائلته باشبيلية وفي السنة الاخيرة 597 ه كان في بجاية وحل بتونس في السنة الموالية بعد ان اخذ في الاندلس نصيب (المريد) من علم التصوف

وقرا رسالة القشيري على البعض من تلاميذ ابي مدين وكان من في المعجبين بابي مدين وبعلومه واسراره لذلك بادر والتحق باصحابه تونس وكان منهم الشيخ عبد العزيز المهدوي دفين بلد المرسى «احواز تونس» ويظهر انه قد استفاد منه علما وحقائق ما كان يعرفها من قبل لانه لم يخف

اعجابه به فقد ميزه عن شيوخه بثناء وتقدير واعجاب وشكر في كتابه (الفتوحات المكية) وفي الرسالة التي وجهها اليه من مكة سنة 600 ه وتعرف برسالة « روح القدس » وتسمى (بمشاهد الاسرار القدسية ومطالع الانوار الالهية)

وفي تونس تعرف ابن عربي بولد احمد ابن قسي واخذ عنه كتاب والده « خلع النعلين » رواية وابن قسي من الذين يقولون بالوحدة ومن اتباع مدرسة ابن مسرة ثم انتقل الى مكة واقام بها من سنة 598 الى سنة 600 ه ودخل بغداد سنة 601 ه والقاهرة سنة 603 هورجع الى بغداد سنة 608 ه والى مكة سنة 611 ه للمرة الثانية ومنها خرج الى حلب ومن حلب الى دمشق حيث استقر بها الى ان توفي سنة 638 ه وترك ما يزيد عن مائتي كتاب من تاليفه كتبه غموض وخلط واشارات وعبارات غريبة لا تنصرف الى ما هو معين ومفهوم وابن عربي شخصية قد استوعبت ما تقدمه من العلوم الصوفية والعلوم الدينية معا فمن القرآن الى الحديث والفقه اصولا وفروعا مع اطلاع على الفاسفة من نوع ما في رسائل اخوان الصفاء - ولكنه انتهى الى شيء جديد لا يعرفه احد من هؤلاء الذين تعلم علمهم واستمد الراي منهم. وهذا الشيء الجديد قد ظهر صريحا في كتابه « فصوص الحكم » وفي رسالة « روح القدس » وفي كتابه « ترجمان الاشواق » وكان هذا الشيء مفهوما عندنا على غير

عادته لانه قد اراده ان يكون مفهوما ! وساتي الكلام عليه مفصلا

ما الذي حمله على توخي الغموض

كانت اراء ابن عربي غامضة في اول امره فجلبت اليه الاذاية والغضب والانكار . ففي مصر انتقده اهلها وعلموا على قتله فخلصه ودافع عنه ابو الحسن علي بن ابي نصر البجائي .

وحدث في بغداد بشيء من مصنفاته وانتشرت كتبه ببلاد الروم . وتنبأ في بعضها ان السلطان سليمان العثماني سيفتحها في وقت عينه ! فكان كذلك . فبنى السلطان على قبره بعد الفتح قبة عظيمة جعل فيها الاقامة والطعام وقد قيل انه دخلها وسكنها حتى من كان يبول على قبره . !

واختلف فيه معاصروه فمنهم من قال عنه : انه زنديق لا صديق ومنهم من قال : هو واسطة عقد الاولياء ورئيس الاصفياء .

ورغم الغموض الذي كان يتوخاه في مصنفاته حتى لا يتمكن اعداؤه من فهم اغراضه الا من كان قريبا منه في المعرفة والذوق ومع ذلك فانه كاد ان يكون صريحا كل الصراحة في كتابه « الفصوص » وفي رسالته التى بعث بها الى وليد الشيخ عبد العزيز المهدوي التونسي. وسنكتفي بما جاء في الرسالة والفصوص بفهم ارائه الغريبة رغم تحفظاته

التي اعترف وصرح بها في كتابه « الفناء في المشاهده »[1] كقوله :

« ..... كان الحسن البصري اذا اراد ان يتكلم في مثل هذه الاسرار التي لا ينبغي لمن ليس من طريقها ان يقف عليها دعا (مرتل السخي) ومالك بن دينار وغيرهما واغلق بابه وتحدث معهم فيها فلولا وجوب كتمه ما فعل هذا » وقال عن ابي هريره انه قال : « حملت على النبي ﷺ جوابين فاما الواحد فبثيته فيكم واما الآخر فلو بثثه لقطع مني هذا البعلوم » ؟ والحديث من مرويات الامام البخاري

ويتمادى ابن عربي فيقول : « وقال ابن عباس رضي الله عنه في قول الله عز وجل « الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن » لو ذكرت لكم تفسيره لرجمتموني ولقلتم انه كافر) !

ومع ذلك كله فقد صرح في كتابه الفصوص بآرائه الخطيرة من غير تردد وبدون تقية

ابن عربي يمجد شيوخه

ولكنه لا يعترف لا حد منهم انه قد هداه الطريق

وهذا ما صرح به في كتابه (الطائف الاسرار) فقال : « لقد انعم الله علي ببشارة عظمى بشرني بها وكنت لا اعرفها من حالي فاوقفني

---

(1) كتاب مخطوط ضمن مجموعة بالمكتبة الاحمدية (تونس) رقم 3788 ورقة 218 ـ .

عليها الامام خليفة القطب فقد نهاني عند التقائي به عن الانتماء الى من لقيت من الشيوخ وقال لي : لا تنتم الا الى الله فليس لاحد ممن لقيته عليك يد مما انت فيه بل الله تولاك برعايته وعنايته فاذكر فضل من لقيت ان شئت ولا تنتسب الا الى الله » [1]

وهذا ما عمل به ايضا الشيخ احمد التجاني مؤسس الطريقة التجانية التي هي من صميم فلسفة محي الدين بن عربي وتصوفه واعتقاده بوحدة الوجود [2]

مختارات من الرسالة

التي خاطب بها وليه عبد العزيز المهدوي وهي تعرف برسالة « روح القدس » [1].

ويبدءوها بقوله : من العبد الضعيف الناصح الشقيق المأمور بالنصح لاخوانه والمشدد علثية في ذلك دون اهل زمانه محمد بن علي بن محمد العربي الطائي الخاتمي وفقه الله تعالى واخيه الركن الوثيق ابي محمد عبد العزيز بن ابي بكر القرشي المهدوي تزيل تونس ابقاه الله محفوظا

---

(1) ص 21 دار الفكر العربي وسماه صاحب كشف الظنون (تنزيل الاملاك) في حراكات الاملاك

(2) راجع في كتابنا هذا ما كتبناه عن الطريقة التجانية وقارن

(1) الرسالة ضمن مجموع مخطوط بالمكتبة الاحمدية (تونس) رقم 3788 مورخة بشهر ربيع الاول سنة 600 كتبها اليه بمكة بعد ان طاف بها اسبوعا والمسها الحجر الاسود وتبدا من الورقة 91 وتنتهي في 172 والمجموع من الحجم الكبير .

وبعين الصون والرعاية ملحوظا السلام عليك ورحمة الله وبركاته . اما بعد فاني احمد الله اليك الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما . اما بعد يا اخي ان النصح اولى ما تعامل به رفيقان وتآمر به صديقان . وقل ما دامت اليوم صحبة الا على مداهنة.

ثم يقول : وقد فزت يا اخي جعلني الله واياك من الفائزين في زمنك هذا بخلال لم اقدر ان ارها من غيرك منها معرفتك بمرتبة العلم واهله وعدم تعريجك على الكرامات والاحوال الى ان يقول : وما وهبك الله من الصولة والقوة على الفقهاء بدلائل المكارم والفتوة الجارية مع براهين النبوة ثم يتعرض بالنقد على صوفية المشرق وقلة آدابهم وريائهم .

ويقول عنهم لقيت في هذا البلد من يلبس سراويل الفتان ولا يستحي في ذلك من الرحمان لا يعرف شروط السنن والفرائض ولا يصلح ان يكون خديما في المراحض !

وتكلم على السماع والوجود عندهم بنقد لاذع .

ثم اخذ يعرف شيخه بماضيه ويفضل شيوخه ويذكرهم واحد بعد واحد من اشبيلية الاندلس وفيها كما قال لاول مرة سمع ما في رسالة القشيري ويقول : وكنت لا اعرفها ولا اعرف غيرها ولا ادري

لفظة التصوف [1] فسمعتها من شيخي يوسف الكومي العبسي ويقـول عنه انه من اصحاب ابي مدين . وانه قد استفاد من شيخه هذا : مسالة الوصال ـ (الحقيقة المحمدية) . وهي قوله ﷺ (.... وانا سيد ولد آدم وآدم ومن دونه تحت لوائي » قال ابن عربي : ولم يسبقه احـــد الى هذه المسالة في بلدنا اشبيلية ومن بين ما ذكر شيخا له وهو « الثالث عشر » عبد الله بن الاستاذ المروزي قال عنه خدم ابا مدين وكان ابـو مدين يقربه فرجع المروزي الى الاندلس فاودعه الشيخ سلامة الى ابي عبد الله الشيخ المسن « بالمـــرية » المعروف بالغزال من اصحاب ابن العريف ومن اقران ابي مدين وابن الربيع الكفيف ويقول ابن عربي عنه كان اذا لقيني يعاتبني على صحبتهم « اي الفقهاء » ! ويقول مثلك يصحبهم ؟ ويتعجب

ويذكر من بين شيوخه عمه ابا محمد عبد الله بن محمد ابن العربي الطائي .

ويقول عن شيخه ابن جعدون الحناوي « مات بفاس سنة 577 هـ ويقول انه كان واحدا من الاربعـة الاوتـاد الذين يمسك الله العـالم بهم وانه اجتمع به في فاس وكان بيده كتاب المعرفة « للمحاسبي » .

---

(1) يظهر ان ذلك كان حوالي سنة 586 هـ « انظر ص 26 من منـاقب ابن عربي لابراهيم البغدادي المتوفي سنة 784 هـ ط بيروت 1959 م .

وهو ايضا يمجد شيخه محمد بن شرف الرندي ويعده من الابدال ويقول عاشرته زمانا بقرية روطة ثم يذكر انه قد شاور والدته للسفر الى تونس ولقاء الشيخ عبد العزيز المهدوي وهي توافقه على ذلك

وقال انه الف من اجل شيخه ابي يحي ابن ابي بكر الصنهاجي كتابه « عنقاء مغرب » .

ومن شيوخه ميمون ابن التونسي قال : كان يجمع القرمز يعيش منه عندنا باشبيلية ثم يذكر : ابا محمد ابن عبد الله بن خميس الكتاني جرايحي مدينة تونس [1] قال لقيته وزرته حافيا على قدمي في شدة الحر قايسا بشيخي ابي يعقوب وابي محمد قالا لي انهما زاراه على هذه الحالة. له بركات وحسبي علمك بحاله .

ويقول بعد تبسط منه في علم الحقائق : وما زالت الفقهاء في كل زمان مع المحققين بمنزلة الفراعنة من النبيئين ؟

ويرجع بعد كلام آخر الى ذم الفقهاء « اصحاب علم الرسوم ».

ويقول في آخر الرسالة مخاطبا وليه المهدوي : ... ويعلم الله لولا ودي فيك وحرمتك التي لك في نفسي ما خطبتك بشيء من هذا كله ولا ذكرت اسمك ولتركتك مهملا في جملة عباد الله تعالى لكن

---

(1) قبره بشاطيء المرسى من احواز تونس

الله قد عرف بيني وبينك روحا وجسما ومعنى ورسما فلم اتمكن ان اخطابك الا بما يقتضيه الود الصريح والدين الخالص الصحيح . واما فضلك وتقدمك في طريقك عندي فمشهود وفوق ذي كل علم عليم . والرسالة تنتهي بشعر بليغ في الشوق والتشوق .

ما به الحاجة من الفصوص

في مقدمة كتاب الفصوص يقول ابن عربي : اما بعد فاني رايت رسول الله ﷺ في العشر الاخر من محرم سنة 627 ه بمحروسة دمشق وبيده ﷺ كتاب فقال لي هذا كتاب « فصوص الحكم » خذه واخرج به الى الناس ينتفعون به فقلت السمع والطاعة لله ولرسوله واولى الامر منا كما امرنا فحققت الامنية كما حده لي رسول الله من غير زيادة ولا نقصان . وفي الفصوص : يتكلم عن وحدة الوجود فيقول: ولولا سريان الحق في الموجودات بالصورة ما كان للعالم وجود « الفص الاول » ويقول : والا له المطلق لا يسعه شيء لانه عين الاشياء وعين نفسه « القص 27 » واذا كان الحق هوية العالم فليس في الامكان ابدع من هذا العالم « الفص 19 » .

عبادة الاوثان عبادة الله ... بل هو يدرك الابصار للطفه وسريانه في اعيان الاشيا فلا تدركه الابصار « الفص 24 »

ويقول عن وحدة الدين : فكن في نفسك هيولى تصور

المعتقدات كلها فان الله تعالى اوسع واعظم من ان يحصره عقد دون عقد الفص (1) والفص 10) .

عبادة الله واحدة وان تعددت الاديان الفص 27 »

النبي والولي : واعلم ان الولاية هي الفلك المحيط ولهذا لم تنقطع ولها الانباء العام واما نبؤة التشريع والرسالة فمنقطعة « فص 14 »

الانبياء : ولما كانت العلماء لا تاخذ علومها الا من الوحي الخاص الالهي، فقلوبهم ساذجة من النظر العقلي « الفص 14 » .

الرسل : - - - والرسل من حيث هم رسل لا من حيث هم اولياء وعارفون على مراتب ما هي عليه اممهم فما عندهم من العلم الذي ارسلوا به الا قدر ما تحتاج اليه امة ذلك الرسول لا زائد ولا ناقص والامم متفاضلة يزيد بعضها على بعض « الفص 14 »

النبيء ولي : فاذا رايت النبيء يتكلم بكلام خارج عن التشريع فمن حيث هو ولي وعارف ولهذا مقامه من حيث هو عالم اتم واكمل من حيث هو رسول « فص 14 »

الحقيقة المحمدية : ... وليس هذا العلم (الكشف) الا لخاتم الرسل وخاتم الاولياء وما يراه احد من الانبياء والرسل الا من مشكاة الرسول الخاتم ولا يراه احد من الاولياء الا من مشكاة الولي الخاتم ...... « الفص 2 » .

الجبر - جهنم - الخير والشر : « الفص 10 » .

السلم افضل من الجهاد : « الفص 18 » .

ويقول شعرا في الفصل السابع عشر :

فمن كان ذا فهـــم يشاهـــد مـــا قلنـــا

وان لم يكن فهـــم فيـــاخـــذه عـــنـــا

الف ابن عربي 192 كتابا سماها ابراهيم البغدادي الذي الف كتابا في مناقبه(1)

وقال البغدادي : لابن عربي تفسير في القرآن في تسعة وتسعين مجلدا . ومن كتبه المطبوعة « الفتوحات المكية » . الفهـا في مكة وكتاب ترجمان الاشواق ثم شـرحه بنفسه وسمى الشرح « الذخـائر والاعلاق » قال المغريزي : ان الشيخ محي الدين بعث الى الشيخ عمر بن الفـــارض يستاذنه في شرح التائية الكبرى فقال : كتابك المسمى بالفتوحات المكية شرح لها ؟

ابـــن سبعيـــن

612 _ 669 هـ _ 1215 _ 1270 م

ابو محمد عبد الحق ابن سبعين المـــرسي الاندلسي ويلقب بقطب الدين وينسب الى علي ابن ابي طالب كان من كبـــار الصوفية

---

(1) مناقب ابي عربي تحقيق صلاح الدين المنجد ط بيروت 1959 . -

وممن يقول بوحدة الوجود له علم وحكمة وبلاغة وبراعة اصه من بيت كريم نابه الذكر نشأ في ظل جاه ونعمة كان جميلا ملوكي البزة عزيز النفس قليل التصنع وهو آيـــة في عزة النفس والايثار والجود بما في يده .

وكان عالما بالفلسفة اليونانية قبل انتقاله الى الشرق يدل على ذلك اجوبته حينما كان في سبتة على الرسالة المعروفة بالاجوبة على المسائل الصقلية « راجع تاريخ الفكر الاندلسي » .

رحل الى العدوة وسكن بجاية واقام في تونس مدة طويلة ومنها رحل الى المشرق وقصد الحجاز وكانت له منزلة وحظوة عند شريف مكة في الاوان الذي دخل فيه التاتار بغداد سنة 656 هـ » ومن تاثيره على شريف مكة حاكمها ان حمله على مبايعة المستنصر الحفصي امير تونس بالخلافة الاسلامية وكان سجل المبايعة من تحرير ابن سبعين ذكر ذلك ابن خلدون واثبت نص البيعة في تاريخه « الدولة الحفصية » (1)

وفي نص المبايعة اشارة الى ان المستنصر هو المهدي المبشر به؟ وابن سبعين يتفق مع ابن عربي في وحدة الوجود ولم يجتمع به .

(1) في عنوان الدراية وفي طبقات الشعراني ان وفاة ابن سبعين كانت سنة 609 هـ وفي نيل الابتهاج كانت سنة 669 هـ وهو الاصح لان وثيقة البيعة المحررة بقلمه مؤرخه بسنة 657 هـ .

قال ابن الخطيب في الاحاطة : « والناس امـــره اختلاف بين الولاية وضدها » .

ومذهبه الصوفي يرجع الى مذهب ابن عـــربي لا سيما في الاعتقاد بوحدة الوجود ووحدة الدين . قـــال في رسالة « الشخ بالقلب واللسان » [2] . « ... وان كان الكافر يطلق الذكر على غير وجهه ولغير الله فالامر اليه يرجع » .

وفي هذه الرسالة يرجع ابن سبعين افضلية الذكر على الصدقة والجهاد مستعد لا على ذلك بآيات قرآنية واحاديث نبوية منها قوله صلى الله عليه وسلم « الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتدقوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا : بلى ؟ قال ذكر الله . والذكر عنده لا يتوقف على الطهر .

فاذا صح الحديث فالذكر المشار اليه ليس هو الامر المتعارف بل هو تفكير الانسان في قـــوة الايمان بالله وان الرحمة بين الناس ودخولهم في السلم من نتائج الذكر والايمان الرفيع .

---

(3) هي رسالة النصيحة او النورية حققها الدكتور بدوي ونشرها صحيفة المعهد المصري بمدريد فى العدد المصري بمدريد في العدد الاول والثاني من المجلد الرابع سنة 1956 م .

سئل ابن سبعين عن الغوث ابي مدين شعيب فقال : شعيب عبد عمل ونحن عبيد حضرة ؟ اجتمع به ابو الحسن علي الششتري في بجاية سنة 648 هـ و تاثر بفلسفته جد اتـاثر قيل لقب بـابن سبعين لكثرة اصحابه المتنقلين معه الى حيث يذهب والى حيث يكون وهم يلبسون معه الصوف وكانوا يسمعون السبعينية وانكر الفقهاء عليهم عقيدتهم وطريقتهم المخالفة للمألوف

قال معبرا عن « الوحدة »[1] .

قـالت : مـــاهيته لهاويته اين انا فسمعتها الانيه فقالت لهما انتما انا فاستجابت لها الاحاطة وقالت انا آنية الآنيـــات وهوية الهويات وماهية المهيات وكل ذلك قل اواكثر معنى واحد٠وذلك المعنى هو (انا) ومن قال معنا (انا) اوقعته في العناء .

وتوفي في مكة 669 هـ قال الغبريني في عنـوان الدراية ولـه من الفضل والمزية ملازمته لبيت الله الحرام واستلزامه الاعتمار على الدوام وحجه مع الحجاج في كل عام .

---

(1) من كتـاب الاحاطـة لابن سبعين تحقيـق بدوي (صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد عدد 1 ـ 2 ـ 1958 ص 33 ـ .

الششتــري

610 ـ 668 هـ (1213 ـ 1269) م

ابو الحسن علي بن عبد الله النميري الششتري اللوشي الاندلسي وششتر قرية من عمل وادي آش « قرب غرناطة من الشرق » حفظ القـــرآن و تعلم العلوم الاسلامية والفلسفية وتصوف وكان شاعرا وزجالا وكل اشعاره وازجاله في التصوف والوحدة) .

اخذ الطريقة عن محي الدين بن سراقة الشاطبي من اصحاب السهروردي صاحب عوارف المعارف . ثم اجتمع بـابن سبعين في بجاية سنة 648 هـ وكان ملازما لمجلسه واراد يوما ان يجتمع في ميعـاد بجماعة ابي مـدين فقـال له ابن سبعين : الزم طريقا واحـدة فان اردت الجنة فعليك بابي مدين وان اردت « الله » فتعـال الي ! فاختار الششتري طريق ابن سبعين . ويظهران الششتري قد استكمل صوفية الوحدة من شيخه ابن سبعين قيل ان يفـــارقه ويذهب الى الشرق . فقد تخاف الششتري بتونس ونزل رباط قصر البحر بقابس وفي قابس اجتمع به ابو اسحاق الورقاني وعبد الله الصنهاجي وهما كبار الصوفية بقابس وقبر الاول لا يزال معروفا بناحية « جارة » من قابس وسمعوا منه شعرا بليغا اثبته صاحب الدراية في كتابه (1)

---

(1) ص 140 ـ

وفي هذا الشعر عقيدة خالصة في الوحـــدة . ويظهر ان اقامته في قابس كانت قصيرة لانه انتقل منهـا الى طرابلس ثم الحجـــاز لاحقا بشيخه ابن سبعين الذي يكن الششتري احتراما لا يكيف ولا يحد. كان الششتري يقول : انا غلام ابن سبعين [1] .

وابن سبعين دونه في السن ويقول انا غلام عبد ابن سبعين. ما دامت السبع في العدد. وتكاد اشعاره وتواشيحه وازجاله لا تخلو من الاشارة الى الوحدة.

ارى طالبا منا الزيادة الحسنى بفكر رمى سهما فعدى به عدنا

ويقول :

وذوق للحلاج طعـم اتحـــاده فقال انا من لا يحيط به معنى

ومن غرر قصائد الجامعة : (ص 72)

فقيل له ارجع عن مقالك قال لا ـ شربت مداما كل من ذاقها غنى ويقول في آخرها :

فمن كان يبغـــي السير للجانب الـذي ـ تقدس فليأت لياخذه عنا [2] ومن زجله:

---

(1) ص 231 ديوان الششتري ط الاسكندرية 1960 تحقيق الدكتور سامي النشار .

(2) ص 76 ديوان الششتري ط الاسكندرية 1960 تحقيق الدكتور سامي النشار . (2) المصدر ص 77

يا من يريـد يـــري الاله ينظر جميع المـوجـــودات
صـامط ونـــاطق وجمـــاد من حيـوان ومن نبـــات
في كل شـيء يـرى الالـه من غير حلول ولا جهـاد

كان الششتري من كبار العلماء فقد قيل عنه انه كان يجيز في المستصفى للغزالي وهذا يؤكده انه لما دخـل طرابلس في رحلته الى الشرق واقام بها مدة عرضوا عليه خطة القضـــاء فرفضها وتلهى باناشيده وازجاله في الشوارع والطرقـات فاستحمقوه وانسبوه الى الجنون . فذهب الى السوق وانشد :

رضي التميم في الهوى بجنـونه خلـــوه يفني عمـره بفنـونه
لا تعذلوه فليس ينفع عذلكم ليس الساو عن الهواء من دينه[1]

وانتقل الى مصر واقام في الازهر ويظهر انه اجتمع باصحاب الشاذلي في مصر لقوله : « شيوخي هم شاذليـة » وخـرج من مصر الى الشام وحج مرات واجتمع بشيخه ابن سبعين وفي دمشق اجتمع بالنجم بن اسرائيل الصوفي . وكان الششتري في اسفاره يتبعه مـــا ينف عن اربعمائة مريد يخدمونه ويتعلمون منه تـوفي بطينة قـرب « دمياط » سنة 668 هـ ودفن بها .

---

(1) المصور ص 77

قال في اسماء الله الحسنى : فقلت لـه الاسماء تبغي بيـــانه .
فكانت له الالفاظ سترا على ستر « ص 59 من الديوان » وقال :

تأدب بباب الـــدير واخلع بـه النعـلا
وسلم على الرهبانـ واحطط به رحـــلا
وعظم به القسيس انـ شئت حضـــوة
وكبر به الشماس انـ شئت العلا تعـــلا

ويظهران ان معرفته قد سجلها في قصيدته « النونية الكبرى »
ص 72 وله في الوحدة ص 78

رايت الحـــق فيـــك وانت فيـــه
فصـــار العبد حـــرا في امـانـ

وله : « ص 80 » في المعنى :

كشف المحجـوب عن قلبي الغطـــاء
وتـجـــلى جـهـــرة مـنـــي الي
لـــم يشـــاهد حسنه غـــيري ولـــم
يبـق في الديـر ســـوى المشـــهود في
ورأى الاشيـــاء شيـــأ واحـــداً
بل رآى الواحـد وترا دونـ شيء

وله تخميس لقصيدة محي الدين بن عربي « ص 245 »

وله من موشح « ص 115 » :

وحـدة الحـق تنـزع مـا رواه رواتـي

هـذا مـا فيـه مدفع منـي لي صلاتي

وله زجل في المعنى ص 263) ولـه موشح بديـع (ص 117) في الفلسفـة الصوفيـة وديـوانه يشهد لـه بفصاحة اللسان في القصائد والموشحات والازجال على السواء .

والششتري الاخر؟

هو القاضي نور الله بن الشريف المرعشي من كبار الشيعة له كتاب « احقاق الحق وارهاق الباطل » بالعربية قتله ملك الهند وهو في منصب القضاء عنده سنة 1019 ه ويعده الامامية الشهيد الثالث [1]

وهذا ينسب الى مدينة « شوشتر » او شوستر من بلاد ايران والعرب تسميها تستر ـ والمدينة الاندلسية مسماة على المدينة الايرانية كعادة عرب الاندلس في تسمية مدنهم باسماء مدن شرقية يكون لها بها شبه .

---

(1) ص 210 من كتاب كتاب (تراث فارس)

عبد الحق بن ربيع الانصاري

. . . ـ 675 هـ (1276) م

قال الغبريني : هو شيخنا الامام العالم الصوفي ابو محمد عبد الحق ابن ربيع بن احمد بن عمر الانصاري اصله من ابدة وجده عمر هو الواصل الى بجاية مستوطنا .

ولد ببجاية وقرا بها ولقي مشائخ وكان رحمه الله روح بلده ومصره وواصطة نظام اهل زمانه وعصره . يحمل فنونا من العلم والاصول والمنطق والتصوف وله خطوط جميلة وهو في كل واحد منها اين مقلة زمانه كان يكتب الشرقي والغربي على فنون من ريحاني وديواني وغير ذلك .

وكان من احسن الناس نادرة وفيه دعاية مستحسنة تخطط في بلده بالعدالة وكانت له نيابة عن القضاة في الاحكام ومرجعهم كان اليه .

قال : « ولقد رايت الشيخ عبد الحق ابن سبعين رحمه الله اثنى عليه في بعض كتبه ثناء حسنا ـ وقد نظم في مدة قراءته على الشيخ ابي الحسن الحرالي القصيدة الصوفية وكانت من نحو خمسمائة بيت فلخصها له الشيخ رحمه الله بهذه الابيات انتقاها منها وترك ما عداها وهي :

سفرت على وجه الجميل فاسفرا وبدا هلال الحسن منها مغمرا
ودنت فكاشفت القلوب بسرها وسقت شراب الانس منها كوثرا
ورايتها في كل شيء ابصرت عيناي حتى عدت كلي مبصرا
وسمعت نطق الناطقين فكلهم بالحمد والتسبيح عنها اخبرا
وبها ركبت زواخرا من حبها ولبست سر السر ثوبا احمرا
وبها فنيت عن الفناء وغصت في ماء الحياة مسرمدا ومدهرا
في الماء يظهر كل شيء كائن وبه يرى مثل الوجود مصورا
وانا ارى في كل ماء ماءه وارى وراء الماء ماء آخرا
فاذا وصلت به اليه فراجعن تلك المنازل نقله متنكرا
فمتى اردت ابانة عن بعض ما في القلب من سر مصون عبرا
فارفع به ظلم الحجاب فرفعها تجنيك من غرس المنى ما اثمرا
فتراه حين تراك ذاتا رافعا للّبس حتى لا ترى الا العرا
فهناك يفتح بابه ولطالما قد كان دونك مبهما متعذرا
افصاح قولي لا يفي بمواجدي وبيانه لا يستقل بما جرى
لو كان سر الله يكشف لم يكن سرا ولكن لم يكن ليذكرا (1)

(1) عنوان الدراية ص 34 .

عرض عليه قضاء بجاية فامتنع منه. ووصل اليه كتاب المستنصر الحفصي صاحب افريقية وتونس بولاية قضاء قسنطينة فاعتذر وتلطف عنه وتوفي سنة 675 هـ ودفن بخارج باب المرسى ببجاية .

والقصيد تشير الى « وحدة الوجود » ويمكن ان الحذف قد اصاب به ما به الحاجة منها

ومدينة بجاية هي محطة الجسر التي اقام بها ابن عربي وابن سبعين والششتري وقد يكون لصاحبنا «الانصاري» صحبة بالششتري

عمر بن الفارض

576 ـ 632 هـ (1180 ـ 1234) م

هو شرفالدين عمر بن ابي الحسن علي ـ حموي الاصل مصري المولد والدار والوفاة دخل مصر صغيرا مع والده من حماة

وهو من كبار شعراء الصوفية وكان والده صوفيا . والفارض لقب لوالده لانه كان عالما بالفرائض ويقوم بما يفرض للنساء على الرجال باذن القاضي واكبر شخصية تاثر بها ابن الفارض هو الشيخ محي الدين ابن عربي . قال المقري : طلب الشيخ ابن عربي من ابن الفارض ان يرخص له في شرح قصيدته « التائية الكبرى » فاجابه ابن الفارض بقوله : ان كتابك (الفتوحات المكية) شرح لها ! فهو

قد قرأ الفتوحات ولا شك انه بها وبغيرها من كتب ابن عربي قد تأثر
بدأ ابن الفارض التصوف وتحدث عن هذه البداية فقال : (كنت في
اول عهدي بالتجريد استاذن والدي واطلع الى وادي « المستضعفين »
وآوي فيه واقيم في هذه السياحة ليلا ونهارا ثم اعود الى والدي لاجل
بره ومراعاة قلبه ثم اعود الى السياحة وما برحت افعل ذلك مرة بعد مرة
وبعد وفاة والده عاد الى التجريد والسياحة وسلوك طريق « الحقيقة »
وبقي ولم يفتح عليه . فانتقل الى الحجاز سنة 613 ه باشارة من شيخه
« محمد البقال » وقضى بالحجاز خمسة عشر عاما وعاد الى مصر وتوفي
بها بعد اربعة اعوام . وكان رجوعه بدعوة من شيخه محمد البقال ونظم
في الحجاز شعرا كثيرا منها قصيدته :

ابرق بدا من جامع الغور لامع ام ارتفعت عن وجه سلمى البراقع

وفي مصر بعد رجوه من الحجاز املى ديوان شعره في القاهرة .
وفي الحجاز التقى بالشيخ شهاب الدين عمر السهروردي « صاحب
عوارف المعارف » .

وابن الفارض صوفي وشاعر الصوفية الاكبر . فقد جاهد نفسه
في الرياضة ومارس الوانا من الحب والعبادة وتقلب في احوال الارادة
واعتنق مذهب الوحدة (وحدة الوجود) متاثرا فيها بالشيخ محي الدين
بن عربي وشعره يعبر عنها جملة وتفصيلا رغم قوله :

ولي من اتـم الرؤيتين اشارة تنـزه عن راي الحلـول عقيدتي
اجل والحلول غير الوحدة والبون بينهما بعيد

كان ابن الفارض محبا للجمال يتذوقه حيثما كان ظهوره وتجليه فابن خلكان يقول انه كلف بحب غـــلام جزار وعشق « برنية » في حانـوت عطار وله صبابـة في رؤية النيل في فيضانـه ! وهذا العشق قد تأتي اليه بدون شك من عقيدة الوحدة

وله ولوع بالسماع والرقص وكان بهما يستعين على « التواجد» وكانت له بيت في « البهنسا » يقيم فيه طـائفة من الجـواري والمغنيات والضاربات على الدفوف والشبابات ؟

كانت حياة ابن الفارض في العصر الذي انتهى فيـه الحكـم الفاطمي من مصر سنة 567 ه على يد صلاح الدين الايوبي المتوفي سنة 598 ه وعصر صلاح الدين هو عصر الاعتـراف الرسمي بالطوائف الصوفيـة فقد انشا صلاح الدين الايوبي اول خنقاه (سعيـد السعداء) وسماهـا دويرة الصوفية وقدم شيخها على غيره من المشائخ وولى عليها من كبراء الدولة ومن اعيانها . (1)

(1) راجع ابن الفارض شاعر الحب الالهي وكتاب التمدن الاسلامي ص 202 ج ا

جـلال الدين الـرومي

(604 ـ 672 هـ (1207 ـ 1273 م)

اجتمع من ترجم لجلال الدين الرومي انه بكري يرجع بنسبه الي ابي بكر الصديق ـ وقد انحدر من اسرة ماجدة في « بلخ » ولهذه الاسرة مصاهرة لملوك خوازرم

وبسبب نفرة ظهرت بين والـــده بهاء الدين وبين صهره ملك خوازرم انتقل بهاء الدين من بلده مصحوبا بثلاثمـائة من تلاميـذه الى بغداد في سنة 607 ه وكان صوفيا مشهورا في بلاده

ويقال ان فخر الدين الرازي هو الذي تسبب في هذا الخلاف وكان فخر الدين الرازي يكره الصوفية

خرج بهاء الدين وكان ابنه محمد (جلال الدين) في الرابعة من عمره متجها نحو بغداد ولما مر بنيسابور لقيه جماعة من العلمـــاء منهم الشاعر الصوفي العظيم فريد الدين العطار .

ويقال ان فريد الدين قد بارك الطفل (جـلال الدين) وبشر والده بمستقبله العظيم وقدم للطفل كتابه « الاهي نامة » وهي منظومـة صوفية تتالف من ستة الاف وخمسمائة بيت .

واصل بهاء الدين صفره مع رفاقه حتى بلغـوا بغـداد فاستقبله

جماعة من العلماء منهم شهاب الدين السهروردي ابـو حفص المتـوفي سنة 632 ه ونزلوا المدرسة المستنصرية ولبث حينـــا في بغـداد يعظ الناس ويعلمهم ثم سار الى الحج ثم الى دمشق وحلب.

وكانت له بعد ذلك رحـــلات في بلاد الروم (الاناضول) وارمينية ثم الى لارندة (قرمان) فاقام سبعة سنوات يدرس في المدرسة التي بناها الامير موسى . ثم دعاه السلطان عـلاء الدين السلجوقي في « 616 ـ 634 » الى مدينة قونية حاضرة ملكه فرحـل اليها سنة 623 ه واستقر بها بعد رحلات استمرت زهـاء الستة عشر عاما واقام في مدرسة قونيا وعلم بها حتى توفي سنة 628 ه

اما جـــلال الدين

واسمه محمد بن محمد بن الحسين البلخي هكذا قال عن نفسه في مقدمة كتابه « المثنوي » ولد سنة 604 ه وانتقل ابوه وهـو طفل وصحبه في حله وترحالة وتزج في مدينة « لارنـــدة » وسنه احدى وعشرون وولد له (علاء الدين وسلطان ولد) ولم تعش معه طويلا زوجته «جوهر خاتون» فتزوج بعد وفاتها اخرى عاشت بعده .

فكان خلفا لوالده بعد وفاته في الدرس وعمره 24 سنة واول

شيوخه ابوه وتلقى عن آخرين بدمشق وحلب واخذ التصوف عن برهان الدين الترمذي احد اصحاب ابيه .

وتولى جلال الدين في اربعة مدارس في قونية وكثر طلابه وبعد بضع عشرة سنة حدث له لقاء بالدرويش شمس الدين التبريزي في سنة 642 ه « وشمس الدين التبريزي هـو محمد بن علي بن ملك التبريزي » فافتتن به جلال الدين ولازمه واهمل دروسه وتلاميذه وتاثر به الى حد كبير حتى ان جلال الدين من شدة اعجابه به خصص ديوانا باسمه « شمس تبريز » في كتابه الشعري المعروف « بالمثنوي » وقد ثار تلاميذ جلال الدين على التبريزي حتى اضطر الى ان يهرب من قونية الى تبريز . ولكن جلال الدين لم يصبر عنه فذهب اليه وارجعه الى قونية . ويقال انه خرج الى دمشق فارسل جلال الدين ولده فرجع به الى قونية وتشب ثورة فيختفي بعدها التبريزي وتنقطع اخباره ويقـــال ان شرطة السلطان قتلته ويقال قتله بعض تلاميذ جلال الدين . وفي قونية مزارة لشمس الدين عليها قبة عالية وكانت وفاة التبريزي فيما يظهر سنة 645 ه .

كان جلال الدين من كبار شعراء الصوفية باللغة الفارسيه واهم كتبه نظما « المثنوي » وكان له شغف بسماع الموسيقى والغناء وقد

عود اصحابه ومريديه ذلك وجعلهـــا من مشمولات طريقته التي عرفت من بعد بالمولوية وتوفي سنة 672 ه ودفن بجانب ابيه في القبة التي شادها له علاء الدين السلجوقي ولا تزال قائمة في « قونية » الى يومنا هذا

كان جلال الدين معتدل القامة لا بالبادن ولا بالنحيف وجهه مشرب بحمرة ثم نحف ومال لونه الى الصفـرة بسبب المجـــاهدة . وتـــرك ابنـه (سلطان) بعده وله الاثر المحمود في الادب التركي العثماني ومن عهد الانقلاب الكمالي تحولت تكية المولوية بقونية الى متحف .

كتابه المثنــوي

منظومة صوفية فلسفية منقسمة الى خمسة اسفـــار بداها في سنة 657 ه وقد ذاع صيت هذا الكتاب حتى انه روى عن عبد الرحمان الجاهي ما معناه : « ان كنت عالما باسرار المعرفة فدع اللفظ واقصد المعنى ان المثنوي المعنوي المولوي هو القرآن في اللسان الفـــارسي وماذا اقول في وصف هذا العظيم؟ لم يكن نبيئا ولكنه اوتى الكتاب؟

والمثنوي منظوم في بحر الرمل يقع في ستة مجلدات وعدد ابياته ستة وعشرون الف بيت « قصص وحكم وامثال ومواعظ وتفسير

للقرآن. وقد بدا نظمه بعد ان اتم نظم « ديوان شمس تبريز » وهو من الشعر الغزلي الغنائي .

والمثنوي ترجمه الى العربية نثرا يوسف بن احمـــد المولوي وسماه « المنهج القوي لطلاب المثنوي » طبع ببولاق سنة 1289 ه كما ترجم للتركية ولكثير من اللغات .

وهـــذه قطعة منه يشير فيها الى مذهب الصوفية في وحدة الوجود : ما التدبير ايها المسلمون ؟ فانا لا اعرف نفسي .

فلا انا نصراني ولا يهودي ولا انا مجوسي ولا انا مسلم ولا انا شرقي ولا غربي ولا انا بري ولا بحري.

ولا انا من معدن طبيعي ولا انا من الافلاك الدائرة .

ولا انا من التراب ولا الماء ولا الريح ولا النار .

ولا انا من العرش ولا من الفـرش ولا من الكون ولا من العدم .

ولا انا من الهند ولا الصين ولا البلغار ولا السقسين .

ولا انا من ملك العراق ولا من ارض خراسان .

ولا من الدنيا ولا من العقبى ، ولا من الجنة ولا من جهنم

لقد صرت بلا مكان وصار وجودي بلا عيان .

فلا هو جسم ولا هو روح ، فلني انا من نفس الحبيب .

لقد طرحت التثنية جانبا ورايت العالمين عالما واحدا .

فانا ابحث عن واحد واعرف واحدا وارى واحدا وادعو واحدا .

واختتم بهذه المقطوعة الغزلية :

ايها الحبيب اني لم ار في الكونين طربا بدونك

لقد رايت كثيرا من العجائب ولكني لم ار عجبا مثلك

يقولون ان الاحتراق بالنار نصيب الكافر .

ولم ار محروما من نارك سوى ابي لهب .

ولكم وضعت اذن الروح على نافذة القلب .

فسمعت كلاما كثيرا ولكني لم ار شفتين .

ايها الساقي المختار يا من انت مني بمنزلة عيني .

ان مثلك لم يجيء في العجم ولا انا رايت نظيرك في العرب .

صب لي الخمر حتى اتخلص من نفسي .

فاني لم ار في الاحساس والوجود سوى التعب؟ [1]

---

(1) عن كتاب فصول المثنوي والاعلام ج 7 ص 258 والصوفية في الاسلام ترجمة نور الدين شريبة وكتاب الشبك ومقال في المستمع العربي عدد 8 من سنة 1948 للاستاذ محمد كفافي .

فـريد الـدين العطـار

513 ـ 586 هـ (1119 ـ 1190) م

هو ابو طالب محمد بن ابراهيم المعروف بفريد الدين العطار ولد سنة 513 هـ في قرية بجوار مدينة نيسابور وعاش فيها وبها قبره .

وهو شاعر فارسي من كبار شعراء التصوف الاسلامي قال المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام [1] . هو ثاني ثلاثة من شعراء الفرس المتصوفين الاول مجد الدين سنـائي والثالث جلال الدين الرومي

والعطار عالم بالفقه والحديث اظهـر التشيع بعد التصوف وجلب له ذلك محنة من تحريش العامة عليه وهو كالغزالي وكالمولى جلال الدين الرومي، من اعداء الفلسفة ومع ذلك يرى تحكيم العقل فيما هو معلوم ومحدود وآراؤه الصوفية كلها منظومة في الدواوين مثل: منطق الطير .شرح القلب .خسروا نامة .مختار نامة. الهي نامة. بلبل نامة ـ مظهر العجائب وهذه تبلغ 22 ديوانا ايسرها « منطق الطير » وهو اجل كتبه وتشمل هذه الدواوين اربعين منظـومة اكثرها ينتظم آلافا من الابيات

كان فريد الدين في صناعة والده « عطارا » وكان لوالده كل

---

(1) وعلى كتابه اعتمدنا في هذه الترجمة وادب العطار كله باللغة الفارسية

حوانيت العطارين في نيسابور ! وكان يتعاطى الصيدلة والطب وله في التصوف تذوق وباغ . وفي وقت يسوده الغموض ترك حانوته وصحب ركن الدين (الاكاف) وذهبا الى الحج معا ومكث في السياحة اربع سنوات ذهب فيها الى بغداد ولبس الخرقة الصوفية من يد الشيخ مجد الدين البغدادي ورجع الى بلده نيسابور » .

ونيسابور مدينة صوفية معروفة بابراهيم بن ادهم وشقيق البلخي وبشر الحافي وفضيل بن عياض وابو يزيد البسطامي وحاتم بن علوان الاصم وابو حفص الحداد وابو عثمان الحيري والقشيري والغزالي وابو سعد ابن ابي الخير والعطار وجلال الدين الرومي وكلهم من هذا الاقليم اصلا ومنشأً .

وفي وفاته روايات قيل انه توفي في اضطرابات الغزو المغولي وقيل في حادث آخر.

كان فريد الدين متحمسا للحلاج ويقول عن نفسه : انه حلاج زمانه ؟ ويقال ان جلال الدين الرومي قد مر بنيسابور صبيا في صحبة ابيه وهو في طريقه الى العراق . والعطار « باركه » واعطاه كتابه « اسرار نامة » وجلال الدين الرومي يقول عن العطار ان روح الحلاج تجلت في العطار والادباء مع الصوفية يقولون « ان العطار

وجلال الدين الرومي هما اكبر الصوفية في الشعراء الفرس وان يكن جلال الدين ابعد ذكرا واوضح طريقة : وسئل صوفي عنهما فقال : ان ابن الرومي بلغ قمة الكمال كالنسر في طرفة عين والعطار بلغ القمة نفسها ولكن كالنملة بعد سير طويل وأدب لا يفتر

ومن ادبه ما ترجمه الدكتور عزام بالقطعة الآتية

« انا عطار ومانح ادوية ولكن قلبي يحترق والجاحدون لا يشعرون . ها انا ذا اعاني الامي وحيدا . وحينما اضع خبزي اليابس على مائدتي لا اجد الا دمعي بلا لا

ولا اجد غير قلبي شواء . ولكني اُضيِّف على هذه المائدة جبريل احيانا .

فكيف يبل وجبريل رفيقي لقمة من لئيم ؟ حسبي بلاغا خبزي وحسبي شرفا قناعتي . ان الحق كنزي الذي لا يفني.فكيف تاسرني منه؟ كيف اعيد قلبي لانسان او اتخذ احدا سيدا ؟ فاطعمت طعام ظالم ولا اهديت كتابا من كتبي الى غاشم . انما امدح نور روحي . ولا غذاء لبدني الاقوة هذا البدن لشد ما حررت نفسي من الناس جميعا » . ومن كلماته : « كن كالبحر واخبا جواهرك في نفسك » .

ويقول في كتاب بسير تامة : انا الله انا الله انا الله فارغ من الحقد والكبر والهوى ! وهو يلوم الحلاج ويسميه لص الطريق لانه لم يستطع كتمان اسرار الطريق ومع ذلك يمدحه ! ويقول عن العقل ان هذا العقل الذي يفقد نفسه بجرعة من الخمر لا يقوى على المعرفة الالهية

ويقول : ان اول ما صدر من عالم الغيب نور الرسول صلوات الله عليه وخلق الله من هذا النور مائة بحر من النور . وهكذا يصف صدور العالم عن الله عز وجل كغيره من الصوفيه الكبار المتفلسفين

ويشير الى الوحدة فيقول : « ان النقش هو النقاش »

ويظهر ان العطار في ارائه الصوفية لم يتجاوز الحدود التي وقف بها من سبقه . كما يظهر ان رفعة مكانته راجعة الى تفننه في تصوير المعاني الصوفية بلغته الشعرية الفارسية

ابن هود

633 ـ 700 هـ (1235 ـ 1300 م)

بدر الدين الحسن بن علي ابن امير المؤمنين ابي الحجاج يوسف[1]

قال المناوي : ... هو المغربي الاندلسي نزيل دمشق المعروف بابن هود كان فاضلا قد تفنن وزاهدا قد تسنن . عنده من علوم

---

(1) كانت سرقسطه واعمالها من شرق الاندلس بيد بني هود تغلبوا عليها ايام الطوائف .

الاوائل فنون وله طلبة وتلاميذ ومريدون فيه انجماع عن النـــاس وانقباض وانفراد واعراض عما في هذه الدنيـا من اعـراض وكان بفكرته غائبا عن وجوده . ذاهلا عن بخله وجوده لا يبالي بما ملك ولا يدري اية سلك . قد اطرح الحشمة وذهل عما ينعم جسمه ونسي ما كان فيه من النعمة حتى برق بصره والجمه عيه وحصره سنـة سبعمائة

ووصفه الذهبي فقال : الشيخ الزاهد الكبير ابو علي بن هـود المرسي احد الكبار في التصوف على (طريق الوحدة) . كان ابوه نائب السلطنة بها عن الخليفة المتوكل حصل له زهد مفرط وفـراغ عن الدنيـــا . فسافر وترك الحشمة وصحب ابن سبعين واشتغل بـالطب والحكمة وقرع باب الصوفية وخلط هذا بهذا . وكان غارقا في الفكر عديم اللذة فواصل الاحزان فيه انقباض . وكان اليهود يشتغلون عليه في كتاب الدلالة (1) .

وقال : قال شيخنا عماد الدين الواسطي : قلت له اريد ان تسلكني فقـــال من اي الطريق الموسوية او العيساوية او المحمدية ؟ وكان يضع في يده الجمر فيقبض عليه وهو لاه عنه فاذا احرقه رجع اليه حسه فيلقيه

---

(1) كتـاب « الدلالة » من مصنفات موسى بن ميمون في اصـول الديـانة اليهودية

واخبر عنه (الكتبي) فذكر ما سبق وزاد : انه دخل اليمن وقدم الشام وكان ذا هيبة ووقار وشيبة وسكون وفنون وكان على راسه قبع كشف ؟ وعلى جسده دلق . وحمل مرة الى والي البلد وهو سكران اخذوه من حارة اليهود فاحسن الوالي به الظن واطلقه وقال : سقاه اليهود خبثا منهم ليغضوا منه بذلك . واسلم على يده جماعة منهم سعيد وبركات وكان يحب « الكوارع المغمومة » [1] فدعاه بعض اليهود الى بيت واحد منهم وقدموا له ذلك فاكل ثم غاب ذهولا على عادته . فاحضروا الخمر فلم ينكر حضورها فاداروها فشرب قدحا تشبها بهم [2]

وكان يلبس لبادا ينزل على عينيه ويغطي به حاجبيه .

وتكلم عنه ابن ابي حجلة فقال : ابن هود شيخ اليهود عقدوا له العقود على ابنة العنقود . فاكل معهم وشرب ودخل من عمران في جحر ضب خرب فاتوا اليه واشتغلوا عليه فانقلب ارضهم واسلم بعضهم وكان له في السلوك مسلك عجيب ومذهب غريب لا يبالي بما انتحل ولا يفرق بين الملل والنحل فربما سلك المسلك على ملة اليهود واليهود على ملة هود وعاد وثمود وربما اخذته سكتة واعترته بهتة فيقيم اليوم واليومين شاخص العينين لا يفوه بحرف ولا يفرق بين المظروف والظروف

---

(1) لعلها من الطعام المعروف في تونس « مدفونة بالهرقمة »

(2) فوات الوفيات ج ا ص 249 ـ .

وقال المناوي له شعر كثير وكلام يسير مات سنة 699 ه ودفن بقاسيون وكان والده متوليا نيابة عن اخيه امير المؤمنين المتوكل

ومن شعره في (الوحدة)

قـــال :

علم قومي في جـــهل ان شاني لاجـــل

انـا عبـــد انـا ربٌّ انـا عـــز انـا ذل

انا دنيـا انا اخـــرى انـا بعض انـا كـل

انـا معشوق لـــذاتي لست عني الدهر اسلو

وقـــال :

فؤادي من محبوب قلبي لا يخلو وسري على فكري محاسنة يجلو

الا يـا حبيب القلب يـــا من بذكـره

على ظـاهري من باطني شاهـــد عـدل

تجليت لي منـــي عـــلي فـــاصبحت

صفاتي تنـادي ؟ مـا لمحبوبنا مثـــل

اوري بذكــر الجـــزع عنه وبانـة

ولا البانـ مطلوبي ولا قصدي الرمـل

واذكر سعدي في الحديث مغالطا
بليلى ولا ليلى مرادي ولا جمل

ولم ار في العشاق مثلي لانني
تلذ لي البلوى ويحلو لي العذل

سوى معشر حلوا النظام ومزقوا الشباب
فلا فرض عليهم ولا نفل

مجانين الا ان ذل جنونهم
عزيز على اعتابهم يسجد العقل (1)

عبد الكريم ابن ابراهيم الجيلي

767 ـ 820 هـ (1365 ـ 1417) م

من احفاد الشيخ عبد القادر الجيلاني عاش في اليمن واخذ الطريق عن الشيخ شرف الدين اسماعيل ابن ابراهيم الجبرتي وسافر الى الهند. الّف في التصوف عشرين مجلدا منها كتابه المعروف «الانسان الكامل» في معرفة الاوائل والاواخر ومنها «الناموس الاعظم» وله تفسير للقرآن

(1) فوات ج ا ص 251

قال في كتابه الانسان الكامل : [1]

« ولقد كنت غرقت في هذا البحر الغزير وكاد يهلكني موجه في قعره الخطير وانا يومئذ في سماع بمدينة « زبيد » عام 776 ه وكان هذا السماع في بيت اخينا الشيخ العارف شهاب الدين احمد الرداد ، وكان شيخنا استاذ الدنيا القطب الكامل المحقق الفاضل ابو المعروف شرف الدين اسماعيل ابن ابراهيم الجبرتي حاضرا يومئذ في السماء فناديت باعلى صوتي اللهم اني اعوذ بك من العلم المهلك ادركني ياسيدي ادرك ، فكان يراعيني الشيخ في نفس السماع مراعاة من له الامر المطاع فنقلني الله ببركته الى المعراج القويم الذي هو على الصراط المستقيم

وفي الصفحة 133 يفسر معنى (الانسان الكامل) ويصرح ان المعني به هو محمد ﷺ وانه يظهر على حالات متعددة ويقول : « اجتمعت به وهو في صورة شيخي شرف الدين اسماعيل الجبرتي ولست اعلم انه النبيء ﷺ وكنت اعلم انه الشيخ وهذا من جملة ما شاهدته فيها بزبيد سنة 796 ه »

وفي آخر الصفحة 119 (يتحدث عن حادث عاينه في بلاد الهند

---

(1) ط دار الكتب العربية الكبرى ، مصر

بمدينة كوشي سنة 790 ويأخذ منه حجة بان في نار جهنم لذة للمعذبين !
ويقول بخصائص الحقيقة المحمدية على المنهاج الذي قرره الشيخ
محي الدين بن عربي في الفصوص)

وله اراء شبيهة كل الشبه بـاراء ابن عربي منها القول
بوحدة الوجود ويقول « ص 120 » : ان من اهل النار اناسا عند الله
افضل بكثير من اهل الجنة ادخلهم دار الشقاوة ليتجلى عليهم فيها فيكون
محل نظره من الاشقياء وهذا سر غريب وامر عجيب يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد .

ويقول : ان الله تعالى لما خلق محمدا ﷺ من كماله وجعله
مظهرا لجماله وجلاله خلق كل حقيقة في محمد ﷺ من حقائق اسمائه
وصفاته ثم خلق نفس محمد من نفسه وليست النفس الاذات الشيء » ؟

ويشرح هذا المعنى في الباب الستين من كتابه (الانسان الكامل)
ويقول : ان هذا الباب عمدة ابواب هذا الكتاب بل جميع الكتاب
من اوله الى آخره شرح لهذا الباب » .

الخــاتمة

نكتفي بما قد تم تدوينه في هذا الكتاب الذي بذلنا الجهد ليكون في طريق المعنى المفهوم من اسمه (الحقيقة التـاريخية للتصوف الاسلامي) وقد رجعنا الى كثير من امهات الكتب المخطوطة والمطبوعة واشرنا الى مراجع النصوص المنقولة منها (صفحة وكتابا)

وسهلنا العبارة مع توخي الايجـــاز الذي لايختل بـه المعنى حرصا على تصوير الموضوع في وحدة متماسكة الاجزاء لمن لا يعرفها كاملة . وعرفنا بمن اشتهر في البلاد التونسية من الزهاد والصوفية وبزواياهم وبالطرق التي كانت لها في البلاد مراكز واتبـــاع . ورفعنا الستر عن تعاليمها الظاهرة والخفية عقائدية كانت او سياسية

ولفائدة التاريخ التونسي كشفنا عمـــا كان مجهولا من بعض الاماكن او المعالم او القرى البائدة والخفية

هذا واذا كنـا من المتحمسين في الرد على المذهب الصوفي فـلانه كان بدعـة في الاسلام ولانه يعتمـد الجبرية والسلبية ويستخف بالنشاط العقلي . وللتوهم عنده آفاق مفعمة بالتحدي والمبالغات - ومع ذلك كله فاني لا اخفي كل الاعجاب والاكبار بالخلق الذي يتحلى بـه البعض من اصحاب (الملامة) واصحاب (الفتـــوة) حتى صرت اود لو يقحم

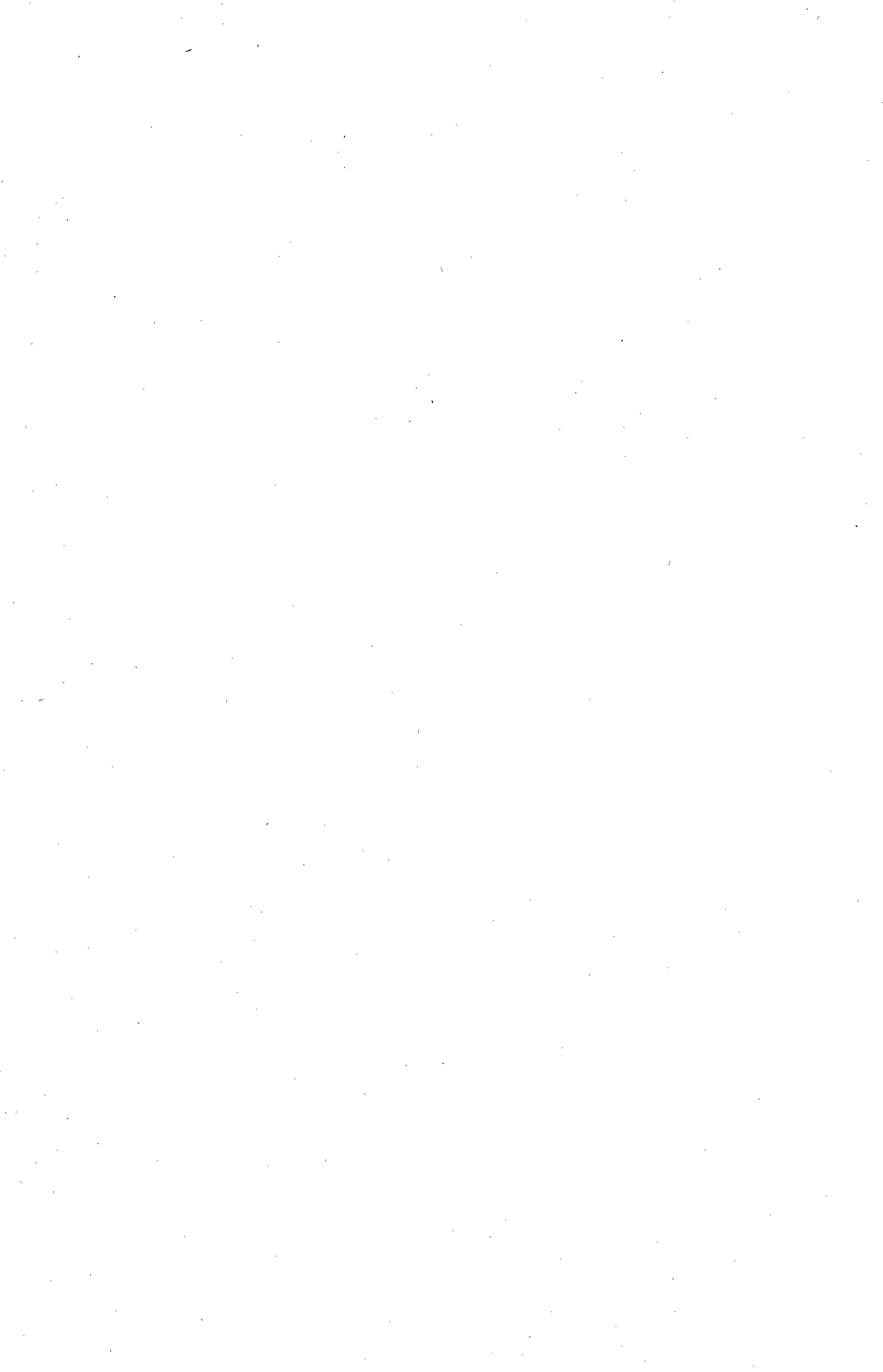
لادب هذين المذهبين مكان في برامج التربية والتعليم الخاصة بمدارسنا التونسية . فاذا استخلصنا منهما اصولا تتماشى مع قواعد علم النفس التربوي نكون قد هيأنا الاسباب لنشر الفضيلة بين الناس . وروح الانسان للفضيلة احوج من حاجة عقله للعلوم . وخير مثال لهذا اللقاح نجده في ميدان الادب يتجلى في شخصيات طاغور وجبران ونعيمة والشابي

اعتراف وشكر

واخيرا اقدم شكري لمن تفضل فساعدني وامدني بما استفدت منه لهذا الكتاب واخص بالذكر منهم مع التقدير والاحترام استاذنا الجليل السيد حسن حسني عبد الوهاب على ما تفضل وامدني به من المخطوطات النادرة اطال الله حياته وادام به النفع

تونس في 1384 هـ 1964 م

محمد البهلي النيال



فهـرست المـواضيع

وفهرسة

لما في التعاليق من التعريف ببعض ألاعلام والشؤون الخفية

اعتذار

ظهرت في الكتاب اغلاط مطبعية مع الاسف فالرجاء تصويبها على ما بالجدول الآتي قبل الشروع في قراءته

ص	س	الخطأ	الصواب
أ	2	التصوف	التصرف
4	4	للتصرف	للتصوف
6	4	حالا	حلا
9	9	بالصحيقة	بالصحيفة
13	15	وصهيب زمر	وصهيب مر
18	14	من الجراح	ابن الجراح
23	16	ثم الصوف	ثم التصوف
24	1	حيمة	حيمه
24	6	طائفة	طائلة
27	3	فرسخوها	مرسوخها
28	11	الغربي	القرني
29	10	برقعة	بمرقعة
33	6	الزهوى	الزهرى
35	14	لكم	بكم
	15	ان يحفف	ان يخفف
36	1	عن	عز
	2	وقل	قل

ص	س	الخطأ	الصواب
36	4	الاية (71)	الاية (78)
	7	يظلمونا (الاية 260	يظلمون الاية 160)
39	12	ابودر	ابوذر
48	6	وتحقير	وتحقر
56	7	تقيه	تقيـة
59	8	قال لو	قال له
65	2	فركوه	فرموه
67	6	مضطفعا	مضطجعا
68	7	اربعين	اربع من
78	2	في الادياني	في الاديان
79	4	وابي	ولابي
81	3	حققها	حققه
84	8	العلاج	الحلاج
86	4	لمعرفه	لمعرفته
87	1	واتقل	وانتقل
88	13	التبصرة	البصرة
91	1	التجنيد	الجنيد
97	6	الصوف	التصوف
109	4	التخليص	التلخيص
110	11	صاحب	صاحبه
111	14	القلوب بـ	القلوب بو
114	3	الطعات	الطاعـات
153	15	حلاقات	حلقات

ص	س	الخطـأ	الصـواب
157	9	الرابطين	الرباطين
160	14	اول	الاول
166	17	حلاقات	حلقات
182	11	ينادين	يناديه
184	5	بد ذلك	بعد ذلك
191	5	واربعمائة	ست واربعمائة
194	12	1421	421
197	9	بولده	بوالده
201	6	213 هـ	513 هـ
202	15	يعزي	يعزى (وتكرر الغلط)
206	8	المعداوي	المهدوي
218	5	المروغي	المزوغي
257	7+2	قبر ابنه عبد الله	قبر محمد ابن عبد الله
314	7	بقلب	بلقب
	17	فانتصف	فانتصب
315	11	الشريائي	الشرياني
325	6	يقضة	بقظة
327	10	يظمر	يظهر
328	1	كالصهر	كالطهر
330	6	عمر	محمد
	9	نسخها	شيخها
332	3-2	عمر	محمد
	14	الخطبي الحسيني	الخطابي الحسني

ص	س	الخطأ	الصواب
333	4	الاخطر	الاخظر
347	11	والتعليقة مكررة بالصفحة التي قبلها	اوقعني ـ اوقفني
377	11	الفتان	الفتيان
	15	واحد	واحدا
382	10	المغريزي	المقريزي
384	8	مستعدلا	مستدلا
		في التعليق جملة مكررة	
385	4	المتثقلين	المتنقلين
387		في آخر الصفحة بيتان من الشعر على غير وضعهما	
388	10	الهواء	الهوى
		في التعليق : المصور	المصدر
389	5	حضوة	حظوة
390	4	مني لي	مني الي
391	7	وواصطه	وواسطة
336	3	اجتمع	اجمع
	17	صفره	سفره
397	5	سبعة سنوات	سبعة اعوام
	13	وتنزح	وتنزوج
403	15	باركة	باركه
404	4	وأدب	ودأب
	11	يبل	اقبل
	13	اعبد	اعبد
		فاطمعت	ما اطمعت

ص	س	الخطأ	الصواب
408	10	محاسنة	محاسنه
359	11	الجور	الجوهر
360	3	شرفية	شرقية
	16	حرا	حراً
		القاتلة	القائلة
361	8	الوعض	الوعظ
	9	الفلفسة	الفلسفة
		وكفر	وتكفير
	11	وقد يتنفس	ولم يتنفس
	14	شمال	الشمال
	15	مظهر من	فظهر في
		مذهبا	مذهب
362	6	بن نجيج	بن نجيح
363	2	صفرة	صفوة
365	6	من المولود بن	من المولدين
366	16	الولدين	الوليد بن
367	18	الفصل	الفص
369	4	ابن فرحان	ابن برجان
372	14	وكان من في	وكان من
373	11	كتبه غموض	وكتبه كلها غموض
374	16	الى وليد	الى وليه
	17	بفهم	لفهم
375	6	بشثه	بشتته
376	11	الشقيق	الشفيق
	12	المشدد علشيه	المشدد عليه